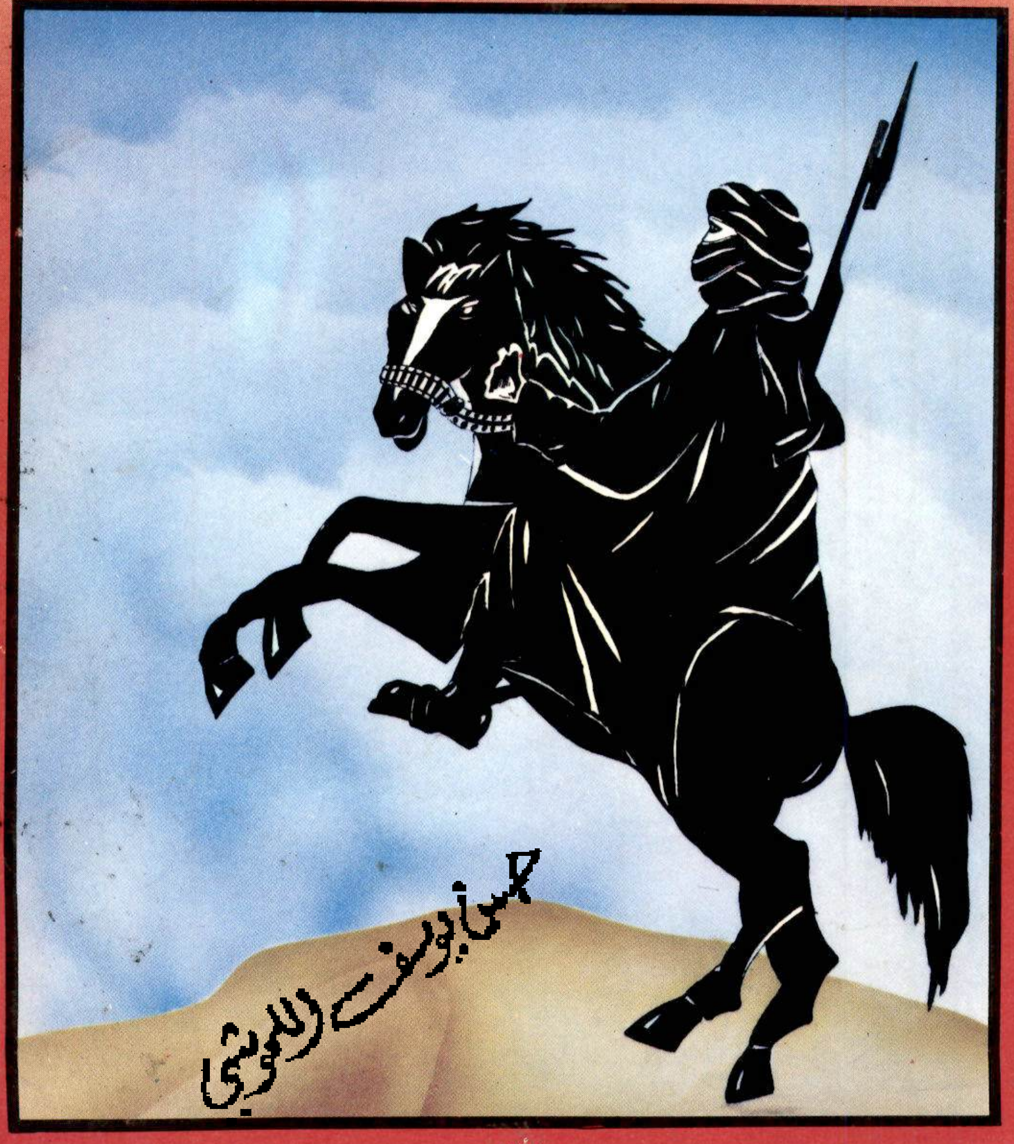
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي
سلسلة موسوعة معارك الجهاد رقم (5)

حسين أبو يوسف اللويثي

المقاومة الوطنية ضد الغزو الايطالي

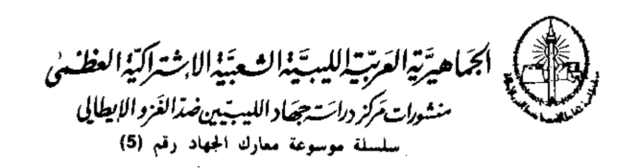
في منطقة بوكماش (1912 م)



تأليف:
مصطفى حامد رحومة
باحث / بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالي


الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي
سلسلة موسوعة معارك الجهاد رقم (5)

حسن أبو سيف الموهبي

المقاومة الوطنية ضد الغزو الايطالي

في منطقة بوكماش (1912م)

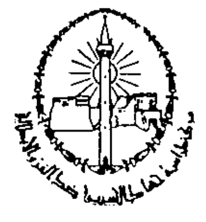
تأليف :
مصطفى حامد رحومة
باحث / بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

رقم الايداع 316/89/ دار الكتب

الطبعة الأولى

1399م. و. ر ـ 1990م.

مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي



طرابلس ـ ص. ب 5070

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

الإهـــداء

«إلى المجاهدين الأجداد

الذين بذلوا أرواحهم

فى سبيل الوطن العزيز

فى كفاحهم للغزاة الإيطاليين»



مقـــدمـة

يتناول هذا الكتاب دراسة جانب من حركة المقاومة الوطنية ضد الغزو الإيطالى « ـ 1912م» وذلك بمنطقة بوكماش قرب الحدود التونسية، ويعتبر هذا الجانب من قطاعات المواجهة بالمرحلة الأولى من الجهاد الوطنى من الأمور الجديرة بالاهتمام لكثرة أحداثه العسكريـة خلال المـدة الواقعـة بين شهـرى ابريل ـ وأكتوبر 1912م، إذ أن المنطقة المشار إليها، كان يتم عن طريقها وصول المؤن والأسلحة والعتاد الحربى، من جهة تونس، إلى مواقع المجاهدين حول طرابلس، الأمر الذى جعل الحكومة الإيطالية تحاول السيطرة عليها، عندما تبين لها ذلك، غير أن هذه الأهمية لم تثر إهتمام القيادة الوطنية، لأخذ الإحتياطات المسبقة لحمايتها، إلا بعد أن توجَّهت إليها القـوات الإيطاليـة، فحرَّكت حينئذِ قوات من المجاهدين لمواجهتها بالمنطقة، فاستمرت تقاومها، حتى تم توقيع معاهدة أوشى لوزان فى 18 اكتوبر 1912م، وسجلت بذلك عدة أحداث عسكرية حقق فيها المجاهدون عدة انتصارات.

لقد ظل هذا الدور الوطنى مطمـوساً إلى حـد ما من قبـل المؤرخين العرب ولم يمنح حقه من الدراسة إلا بطريقة عابرة، وبإيجاز حجبت أهمية هذا الكفاح الوطنى، الذى قام فوق قطعة غالية من تراب وطننا العزيز، بذل فيها الكثيرون أرواحهم رخيصة وورووا بدمائهم الطاهرة رمالها الذهبية، مسجلين أروع المواقف البطولية النادرة عبرة للتاريخ.

قد يجد المتتبع لحركة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، أنها لها علاقة عميقة بتاريخ الدول الأخرى، لمشاركة هذه الدول بتدخلها فى صنع أحداثه السياسية والعسكرية والاقتصـادية، حيث أن مجيء الإيـطاليين لغـزو ليبيا، وتصدى المجاهـدين لهم فى مواقـع مختلفة ونـظرة بقية الـدول لهذا الحـدث

التاريخي الهام، وتحديد مواقفها منه سلباً أو إيجاباً حسب وضع كل دولة منه، فى جميع الأحوال، قد ساهم فى المادة التاريخيـة لهذا البلد، وعكس صـوراً مختلفة من الآراء.

والجدير بالاهتمام هنا، أن معظم الدول الأوروبية شاركت فى صنع هذا الحدث التاريخى سواء من الجانب الإيطالى، أو الجانب الوطنى والتركى، وأن هذه المشاركات اعتمدت بكل تأكيد على اتصالات مختلفة تضمنتها المراسلات والتقارير القنصلية، والعسكرية والصحفية، والدراسات المتعلقة بذلك.

وقد دخلت معظم هـذه الاهتمامـات المدونـة ارشيفات الـدول المعنية بالذكر سلفاً، وأصبحت جزءاً من تاريخها، قامت بشأنه عدة دراسات تناولت هذه الارتباطات التاريخية لمثل هـذا الحدث، وأخـذت من جانب معـين فى معظمها، إلى الجهة التي انبثقت منها أو من أجلها. وإذا أردنا إعادة كتابة تاريخ بلادنا لا بد أن نرجع للمصادر المعنية مهما كان نوعها، لنستخلص منها ما يفيدنا فى نظرتنا إلى الطرح الجديد فى هذا الموضوع.

إن الدراسات الوطنية المتعلقة بتاريخ هذا البلد، كانت قليلة جدّاً وإذا تفحصنا بعضاً منها على سبيل المثال ووضعنـاها مـوضع التسـاؤل، نجدهـا اعتمدت ولا شك على مصادر أجنبية فى معظم الأحوال وهو أمر لا مفر منه فى الواقع، لقلة المصادر الوطنية.

وما دمنا بصدد الكتابة حول معارك بوكماش، فإن هذا الجانب تناوله حسب معرفتنا بشكل أوسع من الجانب الوطنى، المرحوم الشيخ الطاهر أحمد الزاوى فى كتابه «**جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب**»، لكن ما كتبه حول هذا الموضوع كان مختصراً جداً لمثل هذا الحدث من حركة المقاومة الوطنية سجلت فيه 11 معركة بجانب الحوادث الأخرى فى الاعـداد والتنظيم والإدارة... وهو معذور فى ذلك لشمولية اهتمامه بأحداث الجهاد ككل ومشكور لعطائه الوفير للمكتبة الليبية.

أما المصدر الثاني فهو الأستاذ خليفه التليسي فى كتابه «معجم معارك

الجهاد فى ليبيا» (1911 ـ 1932) وهذا الكتاب وضع لدراسة المعارك التي خاضها المجاهدون ضد جحافل الطليان الغازية، لذا عطاؤه هو الآخر كان موجزاً اقتصر على الهدف الذى وضعه، معتمداً على المصادر الإيطالية أمثال بولاتي Polatti فى موسوعة معاركنا، وهو مشكور لاهتمامه هذا. إضافة إلى ذلك كتاب «صفحات خالدة من الجهاد فى ليبيا»، للشيخ سليمان البارونى «مجموعة مراسلات وخواطر ومقابلات» جمعتها ابنته زعيمة، تعلقت بحركة المقاومة الوطنية. ثم محمد صالح الجابري، «يوميات الجهاد الليبى فى الصحف التونسية» وهذا الكتاب عبارة عن مقتطفات من الصحف التونسية تابعت حركة جهاد الليبيين، كان بعضها حول المنطقة ذاتها، لكنها كانت مبالغة فيما نشرته، بينما نجد من كان أكثر اهتماماً بهذا الموضوع، مثل:

1 ـ **الجانب الايطالى؛** كانت الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا تنشر يومياً بروما تقارير الضباط والمراسلين حول أحداث المنطقه، ومن بينها التقارير التى كان يبعث بها، الجنرال غاريوني Garioni قائد الحملة الايطالية بالمنطقة نفسها. وقد ترجم مركز دراسة جهاد الليبيين معظم أعدادها الأولى.

2 ـ **الجانب التركى:** كان يشبه الجانب الايطالى فى مراسلاته مع استانبول للتقارير التى تتناول أحداث المعارك بالمنطقة، ولّما كان جزءاً من الجانب الوطنى، فإنه كان أقرب إلى الواقع من الجانب الايطالى حتماً. غير أن هذه التقارير لم أتمكن من الاطلاع عليها كلها، عدا الدراسة التى عُرِّفت لديّ «بالتقارير العسكرية التركية». وهو كتاب ترجم اخيراً إلى اللغة العربية بمركز الجهاد. مع بعض الوثائق التركية التى تتعلق بالمراسلات بين المجاهدين.

3 ـ **المقابلات،** كان يوجد عدد كبير من المجاهدين الذين شاركوا فى حركة المقاومة الوطنية بالمنطقه، ولا زالوا على قيد الحياة، وتمت مقابلتهم من باحثى مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى. أفادت البحث بالرغم من أنها مختصرة إلى حد ما، ولكنها هامّة للدراسة، وهو جانب هام لم يستفد منه المؤرخون القدامى بشكل فعلى فى وقت كان بإمكانهم ذلك بمعاصرتهم لمعظم المشاركين والمجاهدين الاحياء حينذاك. لقد اطلعت على معظم هذه

المصادر والمراجع والدراسات التى أشرت إليها سلفاً، وحاولت أن استقى منها ما يفيد الموضوع من معلومات، ولملمة لبناته المبعثرة بين طيات صفحاتها. وقد أخذ جل وقتى ولعدة سنوات، الجمع والتفتيش وفى النهاية عرضتها فى ثلاثة فصول بعد أن نسقتها على النحو التالى:

- طرحت فى الفصل الأول: المنطقه التى دارت بها المعارك من حيث الموقع الجغرافى والاهمية الاستراتيجية مبرزاً المساعى الايطالية التى سبقت الانزال على جزيرة فروة، وكيف تنادي المجاهدون لصد القوات الايطالية بالمنطقة مع التعرض لشرح أحداث بعض المعارك.

- أما الفصل الثانى، فقد طرحت فيه للدراسة والتحليل، معركة سيدى سعيد باعتبارها إحدى المعارك الحاسمة التى تغير فيها الموقف الوطنى، وما ترتب عليها من نتائج.

- بينما طرحت فى الفصل الثالث: كيف غير المجاهدون استراتيجية المواجهة وكيف نقلوا مقر قيادتهم إلى المنشية، مع دراسة المعارك التى جرت أحداثها بعد ذلك، مثل «معركة سيدى على» وزوارة، وسيدى عبد الصمد والمنشية. ولا ينكر أى مطلع مدى المعاناة التى صادفت المضى، فى لملمة هذا الموضوع لتشعب مصادره وتشتت معلوماته وكان من بينها:

1 ـ العمل المتواصل بمركز دراسة جهاد الليبيين والمشاركة فى المشاريع التى كان يقوم بها المركز من وقت لآخر.

2 ـ توزع المعلومات بين التقارير والكتب والوثائق والمقابلات الشفوية المسجلة بالأشرطة المسموعة، بجانب الحاجز اللغوى، الايطالية والانكليزية والفرنسية، وحاجة المطلوب للترجمة من تلك اللغات.

لقد ذُلِّل معظم الصعوبات بفضل جهود العاملين بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى، من باحثين وموظفين ومصورين وغيرهم، بأقسامه وشعبه المختلفة، ولا يفوتنى أن اتقدم لكل منهم شخصياً بجزيل الشكر والتقدير والعرفان، وعلى رأسهم الدكتور محمد الطاهر الجرارى أمين

عام مركز الجهاد ولاستاذى الجليل/ د. عقيل محمد البربار لتفضله بمراجعة هذا الكتاب وإبداء ملاحظاته الهامة فى إنجاز هذا العمل.

وأود فى النهاية أن أنبه إلى أن هذه الدراسة ليست فى واقعها تاريخ الحركة الوطنية فقط ولكنها تعرضت للتحرك الايطالى ايضاً، ذلك التحرك الذى سبّب فى وجود المقاومة الوطنية بالمنطقة المعنية، كما أنها لم تتعرض لدراسة قادة المجاهدين، أو القادة الايطاليين بقدر ما تتعرض لسرد وتحليل الأحداث العسكرية، وبالقدر الذى يتسع له البحث الذى قصد به. ومن هنا فإنه لايجوز المطالبة بما لم يدخل في خطة البحث ومنهجه منذ البداية من استعراض لسير الزعماء ومواقفهم، ومتابعة الجزئيات والتفاصيل أكثر مما طرح، حيث أن الفترة المدروسة تعتبر معاصرة إلى حد ما وأن كثيراً من الوثائق لم يتم الحصول عليها، وابراز مضامينها، وفيها يغنى عن التنويه بالمجهود الذي بذل بالإمكانيات المتوفرة بعيداً عن الحساسيات المفتعلة.

وعليه فإن هذه الدراسة لا تطمع فى أكثر من أن تكون مساهمة متواضعة لتبيان وإبراز جانب من تاريخ جهاد أجدادنا الوطنى الزاخر بأحداثه الرائعة ضد جحافل القوات الايطالية الغازية.

والله الموفق

مصطفى حامد رحومة الزواغى

الفصل الاول

إحتلال جزيرة فروةبوكماش
وبداية المقاومة الوطنية بالمنطقة

تمهيد - وصف المنطقة - أهميتها الإستراتيجية -
إحتلال جزيرة فروة وبوكماش - تجمع المجاهدين -
تنظيم أحوالهم - بداية المقاومة.

أرادت الحكومة الايطالية أن تجعل من ليبيا، مستعمرة لها على الساحل الافريقى الشمالى، المواجه لها من الجنوب، وذلك بعد أن فشلت فى السيطرة على تونس، لفوز فرنسا بها اثر معاهدة باردو فى مايو 1881م، ثم بعد أن هزم جيشها فى معركة عدوة 25 مارس 1896م، أمام (مينالبك) إمبراطور الحبشة حينذاك.

لقد بدأت الحكومة الايطالية فى محاولاتها الاستعمارية تجاه ليبيا بالطرق الدبلوماسية، لكى لا تتورط فى هزيمة أخرى أمام الرأى العام العالمى، وتتمكن من رفع معنوياتها، التى أصبحت محل انتقادات فى إيطاليا وخارجها.

لذلك: اتصلت بالدول الكبرى حينذاك «بريطانيا - فرنسا - روسيا - ألمانيا والنمسا» لتتفق معها على التوسع فى ليبيا، والتدخل فى شئونها سلمياً، فى الوقت نفسه اتصلت بالحكومة العثمانية التى كانت ليبيا ضمن ولاياتها بالشمال الافريقى، وما بقى لها دون احتلال - لتسمح لها ببعض الاصلاحات داخل ليبيا، مبررة طلبها بأن هذه الولاية أصبحت مهملة فى جميع أحوالها، بخلاف البلدان الأخرى المجاورة لها. تلك البلدان التى نالت حظها من العناية والاهتمام من بقية الدول الاستعمارية، التى احتلتها كما كانت تدعى.

ونظراً للظروف الصعبة(*) التى كانت تمر بها الحكومة العثمانية، حينذاك، فقد سمح للايطاليين بمزاولة بعض النشاطات بهذه البلاد، ومن ثم بدأ التدخل الايطالى السلمى الذى تميز فى البداية بالنشاط التجارى، والمالى، حيث فتح فرع لمصرف روما بمدينة طرابلس منذ عام 1907م وبدأ يزاول أعماله، فلعب بذلك دوراً كبيراً فى تسهيل مهمة التدخل الايطالى السلمى الذى تمثل فى:

1 ـ مساعدة أفراد الجالية الايطالية المتواجدين على الأرض الليبية على شراء الأراضى من المواطنين الليبيين، وفتح المدارس والمستشفيات والملاجىء. الأمر الذى أدى إلى تزايدهم واتساع دائرة نشاطاتهم.

2 ـ قام فرع المصرف هذا بتمويل بعض النشاطات الصناعية، حيث ساهم فى إنشاء مصنع لطحن الحبوب بطرابلس، ومعاصر لزيت الزيتون فى كل من طرابلس والخمس وغيرها. كما أنشأ مصنعاً آخر لصناعة الصابون، ومصنعاً لصناعة الثلج بطرابلس أيضاً. وبعض المصانع الأخرى بمدينة بنغازى.

3 ـ تعددت وكالاته التجارية فى كثير من المدن الليبية الأخرى كبنغازى ودرنه وزوارة وغدامس، بقصد السيطرة على النشاط التجارى بالبلاد.

4 ـ ساهم هذا المصرف أيضاً فى تمويل بعض الرحلات الاستكشافية قبيل بداية الغزو لدراسة أوضاع ليبيا الاقتصادية والعسكرية. وكان من بينها رحلة الكونت سفوزرا والمهندس Filippo تلك الرحلة التى أسر أفرادها عند بداية المقاومة الوطنية من قبل الليبيين بالجبل الغربى. وبقوا فى الأسر حتى بداية عام 1913م.

(*) الظروف الصعبة تمثلت حينذاك فى ـ الأوضاع الداخلية المتردية من الناحية السياسية الاقتصادية والتحدى الاستعمارى للدولة العثمانية، والديون التى ترتبت عليها من حربها ضد روسيا نتيجة الغرامة الحربية التى فرضت عليها ـ ثم تهديد دول البلقان بالثورة على تركيا.

وقد قام الرحالة بدراسة أوضاع البلاد الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، ومدى الاستفادة منها، وإمكانية السيطرة عليها عسكرياً إذا ما فشلت المساعى السلمية، وكانت الحكومة الايطالية تدعم معظم هذه التحركات من أجل إيجاد وسيلة ناجحة تجعل منها مبرراً مقبولاً لدى الدول الاستعمارية الأخرى، يمكنها من هذا التدخل المزمع.

إن الاعمال السلمية للتدخل فى شئون البلاد الليبية لم تمكن الحكومة الايطالية من تحقيق هدفها، وهو السيطرة الكاملة والمنشودة على البلاد، دون مقاومة أهلها، ذلك أن هذه الاعمال، أيقظت مشاعر المواطنين الليبيين ونبهتهم إلى خطورة التدخل الايطالى هذا، وقد أشعرتهم أيضاً بتدخل الحكومة العثمانية فى أخذ التدابير اللازمة لمواجهة التدخل الايطالى فى السيطرة على البلاد. الأمر الذى جعلهم يعبِّرون على ذلك بعدم الرضا بطرق مختلفة ومتعددة، منها المظاهرات والاحتجاجات المتكررة، التى كانوا يرسلون بها إلى الدولة العثمانية، والحث على معارضة النشاط الايطالى فى ليبيا مهما كان نوعه - السياسي والاقتصادي - ومطالبة الدولة العثمانية بالوقوف فى وجه هذا التدخل.

وقد استجابت الحكومة العثمانية لمطالب المواطنين، واحتجاجاتهم هذه بعزل الوالى أحمد فوزى عام 1909، وتعيين الوالى (إبراهيم ادهم باشا) بدله، وقد حاول الأخير القيام بعدة اصلاحات، حيث قام بتهديد من يتعاون مع الايطاليين من أهل البلد، وحث بدوره الحكومة العثمانية على معارضة الحكومة الايطالية. . . . إلخ.

أخذت بعض التدابير من طرف حكومة الولاية ضد النشاط الايطالى هذا واشتدت المعارضه الوطنية فعلاً. وحدت من النشاط الايطالى فى البلاد، الامر الذى أفشل المخطط الرامى إلى احتلال البلاد سلمياً، حتى أن الحكومة الايطالية بدأت تهدد فى النهاية بإعلان الحرب على تركيا بليبيا متّخذة المصرف ونشاطاته وسيلة لتنفيذها، وذلك منذ نهاية سبتمبر من سنة 1911م، وأخذت ترسل سفن أسطولها البحرى إلى الشواطئ الليبية وتستعد لغزو البلاد عسكرياً.

لم يكن موقف الحكومة العثمانية مماثلاً ورادعاً، حيث أنها عرضت على الحكومة الايطالية بعض التنازلات على أن تتم عن طريق المفاوضات، فلما لم ترض هذه التنازلات ايطاليا أعلنت عليها الحرب في 29 من سبتمبر 1911م، فلجأت الحكومة العثمانية إلى الدول المعتبرة ، وطلبت منها التدخل لحل قضية ليبيا بينها وبين ايطاليا سلمياً وعن طريق المفاوضات.

لقد سبقت الحكومة الايطالية تركيا فى مشورتها لهذه الدول وتم لها الاتفاق معها بعدم التعرُّض لها إذا اقتصر تحركها بليبيا فقط، لذلك التزمت الصمت، تجاه هذه القضية، وتذرعت بأنها لا تستطيع التدخل دون غيرها.

لذلك وجَّهت الحكومة الايطالية اسطولها تجاه الشاطىء الليبى لتبدأ بإحتلال مدنه الساحلية منذ أول اكتوبر 1911م، حيث بادرت بذلك فعلاً فى اكتوبر من نفس السنة، فوجهت قوتين الأولى نحو طبرق، والثانية تجاه طرابلس لتحتلهما فى وقت واحد وتفوت الفرصة أمام بريطانيا فى الشرق وفرنسا فى الغرب، حسب رأى قادتها حينذاك، بالرغم من الاتفاق المسبق بعدم التعرض لها.

احتلت القوات الايطالية مدينة طبرق يوم 4 اكتوبر، ومدينة طرابلس يوم 5 منه ثم درنه يوم 16، والخمس يوم 21، وتوجهت قوات أخرى من ايطاليا مباشرة إلى بنغازى فاحتلتها يوم 21 من اكتوبر أيضاً.

لقد واجه المجاهدون الليبيون هذا الاحتلال منذ البداية بمقاومة عنيفة، وكانت أشدها فى مدينة بنغازى حيث استمرت لمدة يومى 19، 20 من اكتوبر 1911م وكذلك فى بقية المدن الأخرى، غير أن هذه المقاومة لم تكن رادعة فى البداية لإهمال هذه المدن من قبل السلطات التركية، باستنفار القوات المتواجدة بها وتحصينها، وتحريض المواطنين على أخذ الحيطة قبل وقوع عملية الغزو بمدة كافية. إن الحكومة التركية لم تكن ترغب فى البداية الدخول فى حرب ضد ايطاليا، إذ بقيت تنتظر تدخل الدول الأوروبية الأخرى، التى اتصلت بها فى هذا الشأن، غير أنها لم تستجب لها، بل حاولت تفويت الفرصة على الحكومة التركية نفسها، بتحقيق القوات الايطالية بعض الأهداف

التوسعية على التراب الليبى، وذلك عندما اتصلت بقيادتها العاملة بليبيا مبلغة إياها التريث فى المواجهة حتى تشعرها بذلك. فى الوقت الذى أخذت السفن الايطالية مواقعها على مقربة من هذه المدن لقصفها، وخاصة مدينة طرابلس.

لم تشعر الحكومة العثمانية قادة حامياتها بضرورة المواجهة العسكرية إلا فى الثالث من اكتوبر، وذلك عندما بدأ القصف المدفعى من السفن الايطالية لمدينة طرابلس والمدن الأخرى. الأمر الذى أخَّر الاستعداد الوطنى للمواجهة العسكرية.

من هنا بدأت حركة المقاومة الوطنية الفعلية ضد الغزو الايطالى، وتكونت معسكرات التجمع حول المدن التى وقع عليها الاحتلال لاستقبال المتطوعين، وقد حصلت عدة معارك حول هذه المدن فى البداية كان منها معركة جوليانه حول بنغازى فى 19، 20م اكتوبر، ومعارك الهانى، وشارع الشط خلال الثلث الأخير من الشهر نفسه حول مدينة طرابلس، ثم المرقب حول الخمس، وجرت أحداث معارك أخرى حول طبرق ودرنة خلال هذا الشهر سنة 1911م.

إن المعارك هذه وغيرها استمرت بشكل متواصل حول المدن الساحلية المعنية بالذكر، واستمر فى الوقت نفسه تدفق المتطوعين على معسكرات المجاهدين، التى أسّست حول المدن المحتلة، وجاء المواطنون من كل مدينة وقرية وريف للمشاركة فى مكافحة القوات الايطالية الغازية، أينما حلت بالساحل الليبى، وقد تمكن المجاهدون الليبيون بتعاونهم هذا برغم ظروفهم ورداءة سلاحهم وقلة تدريبهم، ونقص عتادهم الحربى من التصدى للغزاة، ومحاصرتهم داخل المناطق التى احتلوها فى البداية، تحت حماية قصف المدفعية الثقيلة التى كانت على السفن الحربية، دون أن يحرزوا أى تقدم يذكر حول المواقع التى نزلوا فيها أول مرة. واستمر الوضع العسكري الايطالى، كما هو عليه فى البداية حتى مطلع عام 1912م، يتلقى الضربات القاسية من قوات المجاهدين، فى وضع لا يحسد عليه، بل كان موضع نقد من كثير من الكتاب والصحفيين.

لقد تحسَّن وضع قوات المجاهدين فعلاً فيما بعد، بتدفق المتطوعين والأسلحة والعتاد الحربى والمؤن من داخل البلاد وخارجها، وارتفع مستوى التدريب والتنظيم، والإستعداد والمواجهة على طول وعرض قطاعات المواجهة حول «طرابلس والخمس وبنغازى ودرنة وطبرق» وأصبحت القوات الايطالية فى موقع دفاع أمام التحركات الوطنية، الأمر الذى جعل الحكومة الايطالية تفكر فى فتح جبهات جديدة لتجذب نحوها الرأى العام الايطالى، والأوروبى، الذى أصبح ينتقد الحملة الايطالية على ليبيا، لفشلها فى السيطرة على البلاد. ويشير إلى ما كانت تكلف هذه الحملة من أموال من خزينة الدولة الايطالية، دون أن تلمس لها مردودات على الساحة الليبية.

وعندما شعرت الحكومة الايطالية باشتداد المقاومة الوطنية، ومدى تأثيرها، عملت على توسيع نطاق المواجهة على الساحل الليبى، من ناحية، وضد الاتراك فى مواقع أخرى من ناحية ثانية.

إن الحكومة الايطالية اعتقدت أن فتح جبهات جديدة على الساحل الليبى يشتت جهود المجاهدين بتوزعهم على قطاعات المقاومة، وبالتالى يقلل من صلابة المقاومة الوطنية حول المواقع السابقة الذكر كطرابلس والخمس وبنغازى والمدن الأخرى. وتبحث بالتالى إذا نجحت فى التوغل إلى دواخل البلاد. فى الوقت نفسه عملت على ضرب تركيا فى أي مكان يمكن أن يضعف من مساعدتها للمجاهدين الليبيين حينذاك، ويظهرها أمامها أنها قادرة على مواصلة القتال أكثر منها، لترضخ إلى الأمر الواقع.

وجهت القيادة الايطالية العاملة بليبيا اهتمامها، تجاه المنطقه الغربية المتاخمة للحدود التونسية الليبية لتتمركز بقربها، وتتخذ من تلك المنطقة منطلقاً للسيطرة على طرق الامداد، التى كانت تمر منها المساعدات العسكرية من تونس إلى ليبيا، حتى تستطيع ايقافها بكل الوسائل، وربما تجد بالتالى منفذاً للتوغّل إلى الجبل الغربى، وتتعقب قوات المجاهدين من الخلف، تلك القوات التى كانت ترابط حول طرابلس مثلاً.

وضعت هذه القيادة الايطالية خطة للتحرك تجاه المنطقة المعنية بالذكر بقصد احتلالها، على أن تبدأ بإنزال بحرى على جزيرة فروة، لتتخذها قاعدة الانطلاق لاحتلال المناطق المواجهة لها على البر.

حاولت القوات الايطالية البحرية تأمين خطة تحركاتها تجاه هدفها الأخير، الذى ورد ذكره آنفاً، فعملت على اختيار المواقع الساحلية الواقعة غرب طرابلس حتى جزيرة فروة، لكنها لم تتمكن من احتلالها، الأمر الذى جعلها فى النهاية تقتصر على جزيرة فروة. ومنها تنطلق القوات الغازية إلى البر واحتلال قصر بوكماش(*)، وهو ما حدث بالفعل. إن المنطقة الغربية المعنية بهذه الدراسة، اكتسبت أهمية خاصة إبان المقاومة الوطنية، ضد الغزو الايطالى بالمرحلة الأولى، حيث إن الأسطول الايطالى كان يقف دون وصول البواخر التركية وغيرها إلى الشاطىء الليبى لجلب المساعدات والمؤن للمجاهدين، والجنود الأتراك، وكان بعضاً من هذه المساعدات، يأتى عن طريق تونس، بعد أن يصل إليها من البلدان العربية والإسلامية استجابة لنداء الجهاد وتعبيراً بالسخط على القوات الايطالية الغازية، وتحمُّسا لأداء الواجب الدينى، الذى تقره الشريعة الإسلامية وتحث عليه بالوقوف إلى جانب المجاهدين المسلمين فى كل مكان.

لم تتمكن القوات الايطالية من تنفيذ أهدافها، التى كانت تصبو إليها، وحتى فى هذه المواقع بقيت أيضاً فى حماية القصف المدفعى من سفن الاسطول، وكلما اقتربت منها قوات المجاهدين قصفتها هذه السفن بقنابلها،

(*) قصر بوكماش: يعرف بهذا الاسم منذ القدم نسبة إلى المنطقة التى تحيط به، كما يعرف أيضاً بقصر صالح. اتخذته الحكومة التركية كمركز مرور لمراقبة الحدود الليبية الغربية مع تونس، واستمر على هذا الحال، حتى إبَّان الاحتلال الايطالى لليبيا، وفترة الاستقلال، ولازال يحتفظ بهذا الاسم حتى يومنا هذا، كما أنه لازال فى حالة جيدة يتخذه اليوم صيادو السمك بتلك المنطقة مقرّاً لهم. وقد زادته جزيرة فروة أهمية أخرى لانطلاق المسافرين إليها للتنزه بها منه بواسطة القوارب الصغيرة. كما أن المنطقة القريبة منه، مياهها ضحلة ورمالها نقية، وممتعة للسباحة والاصطياف.

غير أن المجاهدين كانوا يتقدمون بكل جرأة وشجاعة دون مبالاة، الأمر الذى جعل خسائرهم كبيرة فى كثير من المعارك.

لم تكن نتيجة التحركات الايطالية لمنطقة فروة وبوكماش مرضية لآمال وتطلعات قادة الحملة الايطالية هذه، لتصدى المجاهدين لقواتهم بهذه المنطقة، منذ أن نزلت على بر بوكماش من الجزيرة فى ابريل 1912م، حيث استمرت المقاومة حتى معاهدة أوشي لوزان اكتوبر 1912م وقد سجلت عدة معارك كان النصر للمجاهدين فى معظمها وكان من بينها «معركة بوكماش، بونومة، طويلة غزالة أو يوم الجمعة ومعركة سيدى سعيد، وسيدى على، وزوارة والمنشية: نقصر لدراستها فى هذا الكتاب بشىء من التفصيل.

الوصف الجغرافى للمنطقة:

قبل الحديث على التحركات العسكرية، لابد أن نتعرف على المنطقة التى جرت بها أحداث المعارك بين المجاهدين والقوات الايطالية، حتى يتيسر لنا ذكرها فى المتن، دون تعريف.

فمنطقة بوكماش هذه تقع إلى الغرب من مدينة طرابلس بحوالى مائة كيلو متر، وتمتد من الشرق إلى الغرب حتى الحدود التونسية، مسافة 60 كيلو متراً، وتشمل مساحة واسعة تطل على البحر بنفس المسافة المذكورة، وتضم عدة أسماء محلية منها زوارة وزلطن وبوكماش ورقدلين، وسيدى سعيد، وسيدى على، والجميل والمنشيه كما تمتد إلى الجنوب حتى مشارف الجبل الغربى، حيث سهل الجفارة.

يغطى معظم سهول المنطقة السبخ، وخاصة فى الجزء الغربى منها، حيث تمتد هذه السبخ من الشرق إلى الغرب، وكان أشهرها وأكثرها اتساعاً سبخة الملاحة، التى تمتد من بوكماش شرقاً، حتى الحدود التونسية غرباً، ثم سبخة زوارة، التى تبدأ من قصر العلالقة بصبراته فى الشرق، وتنتهى

بمشارف بوكماش فى الغرب، كما تأخذ عدة اسماء مثل سبخة تلّيل(*)، ومليتة والمنقوب وزوارة .

تواجه هذه المنطقة المعنية بالذكر من الشمال «جزيرة فروة» بالبحر، وهى تمتد مع طول الساحل من الشرق إلى الغرب مسافة 16 كيلو متراً، ويبلغ أقصى عرض لها مسافة 1،5 كيلو متر من الشمال إلى الجنوب، أما أقصى بعد لها عن الساحل 4 أربعة كيلو مترات، وذلك فى أقصى الغرب منها، بينما تقترب من البر كلما اتجهت إلى الجنوب الشرقى، حتى ربوة «سيدى سعيد»، حيث تقترب كثيراً ويقل مستوى عمق المياه فى البحر، وخاصة فى أيام الصيف، والليالى الهادئة والمقمرة، حتى إن الناس يذهبون مترجلين إليها أثناءها، لانخفاض مستوى المياه الفاصل بينها وبين الشاطىء هناك، وهى خالية من السكان تماماً وصحراء رملية تنمو بها بعض شجيرات النخيل وتكثر بها المستنقعات، مياهها مالحة لا تصلح حتى لشرب الحيوانات الأمر الذى جعل القوات الايطالية التى حلت بها تنقل جميع متطلباتها من الماء من إيطاليا.

يسمى رأسها الغربى «برأس مخابز» حيث أنزل الايطاليون قواتهم بسلام لعدم وجود حراس بها، عندما أرادوا احتلالها.

أما المنطقة المقابلة للجزيرة فهى عبارة عن منطقة سهلية تكثر بها السبخ خالية من السكان حتى مدينة زوارة حينذاك، عدا بعض الأبنية والمواقع كان منها:

1 ـ **قصر بوكماش**، الذى جعلت منه القوات الايطالية منطلقاً لتحركاتها بالمنطقة فى بداية عملياتها العسكرية بعد أن احتلته.

2 ـ **ضريح الولى «سيدى سعيد»**، يوجد إلى الشرق من قصر بوكماش

(*) تلّيل: موقع يعرف بقصر تليل بمنطقة العلالقة بصبراته جرت حوله عدة معارك بين المجاهدين والقوات الغازية خلال سنة 1918م، ويمر به الطريق الساحلى، ويوجد به نصب تذكارى لهذه المعارك حتى يومنا هذا.

مسافة 20 ك.م. حيث كان يوجد هناك مسجد يربض فيه قبره، يزوره سكان المنطقة وسكان مدينة زوارة أيضاً، وهو يقع على ربوة عالية تطل على البحر يواجهها شاطىء رملى جميل كما يواجه طرف الجزيرة الشرقى أيضاً، ويبعد هذا الموقع مسافة 30 ك. م. عن مدينة زوارة فى الشرق، وتحيط بمنطقة الضريح بعض أشجار النخيل الباسقة فى المنخفضات القريبة، اتخذ منها المجاهدون مقرًّا لاقامتهم، عند حدوث الغزو الايطالى للمنطقة وأثناء عملية المواجهة وذلك فى الطرف الشرقى من قطاع المواجهة حينذاك.

3 ـ **بلدة زلطن**: تقع إلى الجنوب من المواقع السابقة بعدة كيلو مترات، وهى قرية صغيرة ومحمية لبعدها عن البحر، أقام فيها المجاهدون مركز قيادتهم، ومستشفى الهلال الأحمر، الذي كان قد ساهم فى اسعاف الجرحى والمصابين من جرّاء التصدى للقوات الايطالية. كما أن هذا الموقع كانت تصله الامدادات بسهولة.

4 ـ **سيدى على**: موقع لضريح الولى «على» وهو عبارة عن مبنى صغير يبعد إلى الشرق من سيدى سعيد مسافة 6 كيلو مترات وموقع لمعركة جرت هناك فى 14 يوليو 1912م تحيط به بعض الروابى والمناطق السهلية، اتخذها المجاهدون حواجز أثناء المواجهة.

5 ـ **رقدالين**: تقع هذه القرية إلى الشرق من زلطن، ويوجد بها سوق كبير. وكانت ملتقى لطرق القوافل التى تأتى من تونس حينذاك وقاعدة انطلاق للمجاهدين فى تلك الفترة.

6 ـ **مدينة زوارة**: تقع إلى الشرق من سيدى على تطل على البحر، نتعرض للحديث بشأنها فى الفصل الثالث من هذا الكتاب، حيث أنها كانت مركزاً تلتقي فيه طرق القوافل، ومطمع الايطاليين لتوسعهم بالمنطقة منذ البداية.

7 ـ **الجميل**: بلدة تقع إلى الشرق من رقدلين وإلى الجنوب من مدينة زوارة يوجد إلى الشمال منها عدة كثبان رملية حينذاك كان من بينها ربوة

«الولى عبد الصمد، وسيدى ميلاد» وهى تمتد من الشرق إلى الغرب، جرت بها عدة معارك عرفت بأسماء أولياء(*) مدفونين هناك.

8ـ **المنشية**: تقع إلى الشرق من بلدة الجميل اتخذها المجاهدون موقعاً أخيراً لقيادتهم عندما سقط موقع سيدى سعيد فى أيدى القوات الايطالية عندما تحولوا إلى الشرق من زلطن، وتوجد معالم أخرى نتعرض للحديث بشأنها فى حينه.

أمّا من الناحية الاستراتيجية، فقد كانت عبارة عن مراعٍ تمر بها طرق القوافل التى كانت تربط تونس بليبيا عن طريق البر حينذاك، وساهمت مساهمة فعّالة فى المقاومة الوطنية ضد الايطاليين فى الشق الغربى من ليبيا وفى مقاومة الفرنسيين فى تونس. عندما لجأ الثوار التونسيون إلى الحدود الليبية وتعاون معهم الليبيون فى مكافحة هذا الغزو الفرنسى لتونس، فى الوقت نفسه ساهم التونسيون في دعم المجاهدين الليبيين فى كفاحهم ضد الايطاليين.

إن القوات الايطالية عندما قامت بغزو المدن الساحلية، سيطرت على الساحل ومنعت السفن الأجنبية من استعمال الموانئ الليبية، الأمر الذى جعل المؤن والعتاد الحربى والأسلحة، التى كانت تأتى إلى قوات المجاهدين والاتراك

(*) ملاحظة: إن المتتبع لحركة المقاومة الوطنية ضد القوات الايطالية فى هذه المنطقة يلمس أن: أحداث المعارك جرت فى معظمها حول أضرحة الأولياء وهذا راجع إلى عدة أمور أهمها:
1 ـ أن الأضرحة هذه موجودة فى أماكن حصينة إلى حد ما يمكن الاحتماء بها من رصاص قناصة العدو وقنابله، والصمود فى مواجهة ذلك العدو نفسه. والزائر لهذه المناطق اليوم يرى نفس الظروف التى كانت عليها حينذاك.
2 ـ إن هذه الظاهرة لم تكن مقتصرة على منطقة بوكماش وحدها وإنما كانت موجودة فى مناطق أخرى كثيرة فمثلاً المعركة التى جرت حول ضريح سيدى عبدالله بدرنه، وسيدى رويفع الأنصارى بالجبل الأخضر، ثم سيدى عبد الغنى قرب مدينة بنغازى وسيدى المصرى حول مدينة طرابلس. وسيدى الزروق قرب مصراتة... الخ.
3 ـ نجد أن الأمر يرجع بالدرجة الأولى إلى أهمية الموقع حيث يقع الضريح مثل سيدى سعيد وسيدى عبد الصمد، وبالدرجة الثانية إلى التبرك به.

على الساحة الليبية، عن طريق تونس بطرق سرية عبر هذه المنطقة المعنية بالذكر وذلك بواسطة طرق القوافل التالية، سواء أكانت تأتى من تركيا أو من البلدان الأخرى:

1 ـ **الطريق الأول** ، يبدأ من بن قردان وينتهى ببلدة زوارة ويمر قرب بوكماش موازياً للساحل، ثم يتجه من زوارة شرقاً باتجاه طرابلس، حيث مقرّ قيادة المجاهدين بالعزيزية، وقد توقف السير على هذا الطريق باحتلال الايطاليين لقصر بوكماش لقربه من البحر، حيث أصبح السير عبره غير آمن.

2 ـ **الطريق الثاني**، يمر إلى الجنوب من الطريق الأول، وموازياً للطريق الأول منطلقاً من بن قردان بتونس مارّاً بزلطن، ثم رقدلين، ومنها يتفرع إلى اتجاهين الأول يتجه صوب مدينة زوارة والثانى صوب مدينة رقدلين، ومنها إلى مقرِّ قيادة المجاهدين بالعزيزية جنوب مدينة طرابلس بينما يلتحم الفرع الأول بالطريق الأول. وقد استمر هذا الطريق حتى بعد الغزو إلى الوقت الحالى معروفاً فى المنطقة.

3 ـ **الطريق الثالث**، يربط بين رقدلين وبين بن قردان ويختلط بفروع الطريقين الأول والثانى، ويؤدّى نفس الغرض الذى تؤدّيه بقية الطرق من جهة تونس، بالرغم من أنه أبعد من الطريقين السابقين. وقد استمرت المساعدات تتدفق على المجاهدين من تونس إلى أن احتلت القوات الايطالية ساحل بوكماش حيث أن قوات المجاهدين ابقت على الطريق الثانية مفتوحة، باعتبارها خلفهم وأيسر من غيرها، ومنعوا القوات الايطالية، التى كثيراً ما حاولت السيطرة عليها، فى طلعاتها المتكررة إبّان تواجدها حول قصر بوكماش، مستهدفة القوافل التى كانت تمر بها[1].

احتلت هذه المنطقة مكانة هامة، فى حركة المقاومة الوطنية ضد الغزو الايطالى بالمرحلة الأولى لموقعها قرب البحر من ناحية الغرب، عندما كانت السفن التركية أو السفن التى كانت تؤجّرها تركيا لنقل المؤن والعتاد الحربى إلى المجاهدين، تلجأ إليها وتفرغ حمولتها قرب ساحل المنطقة هذه، ثم تنقل إلى

مراكز قيادة المجاهدين، لتوزّع عليهم فى معسكراتهم، أو لقربها من تونس، عندما كانت المساعدات، التى تأتى عن طريق تونس نفسها، وتصل إلى بن قردان، وتنقل منها بواسطة القوافل إلى مقار المجاهدين لتوزيعها أيضاً.

استمرت الحالة هذه حتى نهاية 1912، وبداية 1913م أي حتى بعد انسحاب الجنود والضباط الاتراك من البلاد، وأثرت تأثيراً حسناً فى وضع قوات المجاهدين، حول طرابلس والخمس، وأخيراً حول بوكماش، وذلك لما لمس من أحداث المعارك التى جرت بالمناطق المذكورة كمعركة بئر طبراز 19 ديسمبر 1911م ومعارك قرقارش يناير 1912م حول طرابلس، ثم معارك المرقب قرب الخمس، خلال الأشهر الأولى من عام 1912م. الأمر الذى جعل الصحف الايطالية تنتقد الحملة العسكرية على ليبيا، وتحرِّض الرأى العام الايطالى ضدها، لفشلها فى تحقيق نجاحات ملموسة ضد المجاهدين الليبيين. مما جعلها تفكر فى احتلال هذه المنطقة، وتجذب اهتمام الرأى العام الايطالى لتحركها المزمع القيام به عبرها، لتعبر عن قدرتها لمواصلة التوسع بالبلاد. وقد تعدّدت الأسباب التى دفعت الحكومة الايطالية بالتوجه لاحتلال منطقة بوكماش هذه وكان أهمها:

1 - **تدهور العلاقات بين فرنسا وايطاليا:** عندما شعرت الحكومة الايطالية بنشاط حركة إمداد المجاهدين عبر طريق تونس، وتسربها بواسطة السفن الفرنسية بدأت تعترض السفن الفرنسية القادمة إلى الموانئ التونسية، وتقوم بتفتيشها. حيث قامت السفينة الايطالية اغوردات (Agordat) بأسر السفينة الفرنسية قرطاج (Cartage) يوم 16 من يناير عام 1912م، وكانت محمّلة بطائرة، وعدد من الضباط العثمانيين كان منهم (18) ثمانية عشر ضابطاً معهم (11) أحد عشر ممرضاً من جماعة الهلال الأحمر التركى، وقد أطلق سراح الممرضين، بينما نقل الضباط بعد أسرهم، إلى إيطاليا للتحقيق معهم. ثم السفينة تاريجيانا(TARIGIANA) يوم 25 فبراير 1912م قرب بوكماش، وأرسلت إلى طرابلس للتحقيق مع بحارتها[2].

لقد طوردت سفن فرنسية أخرى يوم 26 من فبراير نفسه. الأمر الذى جعل الحكومة الفرنسية، تبعث بأسطولها إلى المياه التونسية وتواجه التحدى الايطالى هذا.

ارتفع مستوى التحدى هذا بين الدولتين إلى درجة كبيرة وبدأت الصحف الفرنسية والايطالية تطرح المثالب بين الدولتين، ورفعت التسعيرة الجمركية على السلع المتبادلة بينهما.

وقد شعرت إيطاليا بأن فرنسا ستساهم فى تدفق المساعدات على المجاهدين من جهة تونس فوجَّهت اهتمامها نحو المنطقة المعنية[3].

2 ـ فشل المساعى السياسية الايطالية فى ضم طرابلس وبرقة للتاج الايطالى: أعلنت ايطاليا بعيد إحتلالها للمدن الساحلية ضم طرابلس وبرقة للتاج الايطالى. غير أن هذا الإعلان قوبل بفتور كبير من قبل الدول الأخرى، ورفضته تركيا رفضاً قاطعاً، حتى بعدما ضمّنه القانون الايطالى الصادر فى 28 فبراير 1912م[4] وأن الحال لم يتغير على جبهة المقاومه الوطنية بليبيا، بل ازداد حدة ونشاطاً، وسجل تقدماً ملحوظاً لأوضاع المجاهدين الليبيين أمام القوات الايطالية.

3 ـ التظاهر الايطالى بمظهر القوة: كانت الحكومة الايطالية بجانب ما ذكر سلفاً، تهدف إلى اشعار الحكومة التركية، أنها قادرة على مواصلة الحرب، وأنها قادرة على ضربها فى أى مكان يمكن أن يلحق بها ضرراً، سواء فى ليبيا أو خارجها، حيثما وجدت لدى تركيا قوات يمكن ضربها، فصعَّدت بذلك ايطاليا العمليات العسكرية ضد تركيا. ومن ضمن الاجراءات التى اتخذتها الحكومة الايطالية فى هذا التحدِّى قيامها بضرب موانئ اليمن «قنفدة والصليف والحديدة» تم قصفها لميناء بيروت في فبراير سنة 1912م من جهة البحر. كما عملت على احتلال جزر الدوديكانيز ببحر إيجه. وقد عملت الحكومة الايطالية أيضاً على تنفيذ هدفها الرامى إلى محاصرة المقاومة الوطنية بليبيا من جهة الغرب، بتحركها على طول الساحل من طرابلس حتى بوكماش. لقد هدفت

أيضاً إلى إقناع الرأى العام الايطالى من جهة، والأوروبى من جهة أخرى، الذى أصبح ينتقدها فى حملتها على ليبيا، التى ظهر عليها الفشل واضحاً فى مطلع عام 1912م، وذلك بتحركات مشبوهة على ساحات كثيرة كما اتضح.

فى الوقت نفسه كانت تنوى استدراج الحكومة التركية للتفاوض معها بشأن المسألة الليبية سلميّاً، وأن الحرب معها لم يكن ذا جدوى.

ولّما كانت منطقة بوكماش وزوارة من المناطق الساحلية الهامة مع ضوء ما ذكر، فقد جذبت اهتمام الحكومة الايطالية منذ البداية، غير أن اشتداد المقاومة الوطنية حول طرابلس لم يمكنها من التوسع فى تلك المنطقة، برغم المحاولات المتكررة وقد تميز هذا الاهتمام بأن وجّهت القيادة الايطالية العاملة بطرابلس حينذاك، حملة بحرية إلى مدينة زوارة لقصفها فى شهر نوفمبر 1911م، بقصد احتلالها لكنها لم تتمكن من ذلك ثم عادت إليها مرّة أخرى فى 17 يناير 1912م، وحتى هذه المرة فشلت..

استمرت المحاولات الايطالية فى قصف المدن الساحلية الواقعة غرب طرابلس مثل الزاوية وصبراتة ومرسى زواغة، وذلك بقصد اشغال المجاهدين عن التفرُّغ إلى حرب طرابلس من ناحية والتمركز بها من ناحية أخرى، غير أنها لم تحقق أهدافها المرجوة باستعداد ضمها للمواجهة لقد عولت الحكومة الايطالية فى ابريل 1912م فعلاً على احتلال جزيرة فروة وتوابعها وذلك لتنفيذ الهدف المخطط له، والذى تحركت من أجله، في هذه المنطقة، التى شعرت أنها ساهمت فى استمرار حركة المقاومة الوطنية حول طرابلس من ناحية ، وأن تركيا يمكن أن تمد المجاهدين عن طريقها بسلام من ناحية أخرى.

احتلال جزيرة فروة وبوكماش:

المحاولات السابقة للاحتلال: فى الوقت الذى كانت تدور فيه رحى المعارك حول طرابلس والخمس ودرنه وطبرق وبنغازى فى مطلع عام

1912م، كانت الحكومة الايطالية تبحث عن مراكز جديدة على الساحل الليبي، لاحتلالها، لتربك بها مقاومة المجاهدين الليبيين، التى أصبحت تحقق نجاحات ملموسة فى المواجهة المشار إليها أعلاه، والتى سبق احتلالها، بسبب الاستعدادات التى كانت لدى القوات الايطالية.

بلغت إمكانيات القوات الايطالية فى مطلع عام 1912م، حوالى 95389 مقاتلاً و 600 ضابط من الناحية البشرية بينما بلغ عدد الحيوانات التى أرسلت إلى ليبيا حتى شهر ديسمبر من عام 1911م حوالى (200) مئتى كلب، 5600، خمسة آلاف وستمائة جواد، (9200) تسعة آلاف ومئتى بغل، وكلها كانت ذات أهمية بالغة فى الدعم العسكرى.

أما الأسلحة والعتاد الحربى، فقد زودت هذه القوات بمدافع ثقيلة ومتوسطة بلغ عددها (400) أربعة مائة مدفع وزعت على مائة بطارية بالمواقع العسكرية كما زودته بكميات هائلة من الذخيرة والعتاد الحربى من مختلف الأنواع.

وقد بلغت كميات الأغذية حوالى (40،000) أربعين ألف قنطار من الخشب للوقود، و(6000) ستة آلاف قنطار من الدقيق، (43000) ثلاثة وأربعون ألف قنطار من البرسيم (30،000) ثلاثين ألف قنطار من البسكويت واللحوم المحفوظة بجانب (7000) سبعة آلاف طن من الماء ثم (20،000) عشرين ألف طن من الشعير يليه (1700) ألف وسبعمائة لتر من النبيذ[5].

أما قوات المجاهدين فقد كان دعمها البشرى محدوداً والمادى مهدداً، بالحصار الايطالى من الخارج عن طريق البحر، ومن الداخل بصعوبة وصول المساعدات إلى مراكز المجاهدين. إضافة إلى ذلك فإن إمكانيات البلاد الداخلية، مما تنتجه من المحاصيل الزراعية لا تتعدى مستوى نفقات الإعاشة، إذ ان إمكانيات البلاد كانت متواضعة جدّاً لما حل بها من جفاف فى السنوات السابقة لعملية الاحتلال، بجانب إهمال الحكومة التركية للأوضاع العسكرية والاقتصادية بها قبل ذلك.

قبل أن تحدد الحكومة الايطالية هدفها النهائى فى احتلال جزيرة فروة بدأت بجس نبض المناطق القريبة من طرابلس، فأرسلت تنفيذاً لأطماعها التوسعية بوارجها الحربية لقصف المدن الساحلية الواقعة غرب طرابلس، كما سبقت الاشارة إليها.

خرجت فى البداية لقصف مدينة الزاوية من جهة مرسى دبلة، غير أنها لم تحقق أى هدف، لاستعداد سكان المنطقة للمواجهة، ولصعوبة التحرك فى المنطقة الساحلية حيث المرسى، إذ تصدى لها المواطنون ومنعوها من انزال أى قوات هناك.

تواصلت هذه التحركات الايطالية مرة أخرى باتجاه مرسى زواغة غرب مدينة صبراته الأثرية، وقصفتها، وقد وجدت المجاهدين فى حراسة المرسى أيضاً، فقصفتهم بوابل قنابلها، وأصابت عدداً منهم بأضرار بليغة الأمر الذى أدى إلى استشهاد أحدهم وجرح آخر، كما يذكر المشاركون فى هذه الحراسات من بين المجاهدين بالمنطقة، وممن تمت مقابلتهم وكان من بينهم الجريح نفسه ويدعى عبد القادر بوهادى[6].

امتدت هذه المحاولات إلى مدينة زوارة التى تقع إلى الغرب من مدينة (صبراته) مسافة 40 ك.م، وكان مخطط الايطاليين يرمى إلى احتلالها منذ البداية، كما سبق أن أشرنا إليه، غير أن المقاومة الوطنية بها، حالت دون الأهداف الايطالية الرامية إلى احتلال المدينة حينذاك.

استمرت المحاولات الايطالية فى قصف المواقع الساحلية وتحين الفرصة للانقضاض على إحداها ما بين نوفمبر 11 ـ ابريل 1912م، وقد تكررت هذه المحاولات أكثر من 20 مرَّة خلال المدة المعنية بالذكر، وخصت مدينة زوارة وحدها بثماني طلعات وكان سكان المدينة يتصدُّون لها فى كل مرة، حيث يخرجون إلى البحر فى مجموعات مثيرة، عندما تقترب البوارج الايطالية من البر، ويثيرون فزع البحارة الايطاليين، بتحركاتهم على الشاطىء، واستعداداتهم للمواجهة، فتغادر هذه البوارج الحربية الساحل عائدة إلى

الوراء، وتعود بعد عدة أيام أخرى، فيتكـرر نفس المشهد، دون أن تحقق أهدافها، ترجع فى كل حالـة مبتعدة عن الشـاطىء بعد أن تقصف بعض القنابل على المدينة[7]. ولا يختلف الوضع كثيراً فى المواقع الساحلية الأخرى، حيث تجد من يتعرض لها إذا ما اقتربت منها.

وقد فشلت بذلك كل المحاولات بقصف الموانئ الساحلية دون احتلال أى ميناء منها. لحـرص سكان المنـاطق المجاورة لهـا ويقظتهم واستعـدادهم للمواجهة. ثم لتحاشى البحارة الايطاليين الهـزيمة إذا مـا أرادوا النزول إلى البر.

وكان ما يثـير الاهتمام هنـا، هو تنـظيم المجاهـدين لمراقبـة الساحـل وتصديهم للبوارج الايطالية، من المنطقة الواقعة غرب مدينة طرابلس وتمتد حتى مدينة زوارة المعنية بالذكر، حيث نظِّمت على أساس التقسيم إلى مواقع، ونقاط للحراسة رئيسية ما بين منطقة وأخرى مسافة 30 كيلو متراً وفرعية ما بين 2 ـ 3 كيلو مترات، وكانت تحت اشراف الرايد فتحى أوقيار، والرايد الطاهر من الضباط الاتراك فى جبهة طرابلس على أن يتم اختيار من يقوم بالحراسة فى كل نقطة من أقرب قبيلة لهـا ويكلف مشائـخ القبائـل بعملية الاختيار هذه، وأن يحرس ما بين 15 ـ 20 رجلاً فى كل مرة وبكل نقطة، تقوم هذه المجموعات بمراقبة الساحل، واستنفار سكان المنطقة المجـاورة أو القيادة إذا ما اقتربت سفن الاسطول من الشاطىء الأمر الذى جعل القوات الايطالية نفسها تتحاشى عمليات الانزال على المواقع المحروسة.

احتلال جزيرة فروة وبوكماش: اعتمدت الحكومة الايطالية تنفيذ الخطة التى سبق وأن أشرنا إليها فى البداية، تلك الخطة التى تهدف إلى احتـلال جزيرة فروة ثم بوكماش، على اعتبار أن هذه الجزيرة خالية من السكان وغير محروسة من قبل المجاهدين حينذاك، لانشغالهم بالمقاومة فى مناطق أخرى.

وقد اتضح أن الجزيرة تمتد من الشرق إلى الغرب مع طول الساحل الأمر الذى ساهم فى اتخاذها مركزاً لهذا التوسع، حيث إن إنزال قوات عليها

لا يشكل خطورة بالنسبة للقوات الايطالية الغازية فتتحرك بعدها لاحتلال قصر بوكماش. المواجه لها على البر[8].

ولما كانت هذه المنطقة قريبة من الحدود التونسية، فقد ساهمت فى تسرب المساعدات الخارجية للمجاهدين، تلك المساعدات التى تمثلت فى «الدقيق والزيت والأرز والأسلحة والعتاد الحربى، والنقود»، كما ورد فى روايات المجاهدين المسجلة بمركز دراسة جهاد الليبيين من قبل الباحثين. إن هذه المساعدات كانت تأتى من تركيا وبقية الدول العربية والإسلامية، التى تعاطفت مع المجاهدين الليبيين فى كفاحهم ضد الغزاة الايطاليين، عندما تعرضت بلادهم لهذا الغزو الغاشم، ولم يستسلموا لعدوهم، بل استمروا يتصدون له فى كل بقعة حل بها على الساحل الليبى. مما أثار إعجاب الكثيرين من محبى السلام.

ولما اشتد حصار الاسطول الايطالى للساحل الليبى، لم يبق منفذ أمام تسرب هذه المؤن، إلاً عن طريق تونس، حيث كانت تجمع فى مدينة بن قردان إحدى المدن التونسية القريبة من الحدود الليبية التونسية، بواسطة وكلاء كان منهم (عبد الجليل الزاوصْ) الذى لعب دوراً هاماً فى ذلك، عندما كان يشرف على «جمعية العزيزة عثمان الخيرية» لجمع التبرعات فى تونس[9].

إن تمركز القوات الايطالية الغازية فى رأى قادتها، بتلك المنطقة، يمكنهم من محاصرة المجاهدين، وبالتالى لايشكل عليهم خطورة، ثم يساعدهم على مراقبة المساعدات التى كانت تأتى للمجاهدين، والعمل على ايقافها عند التعرض لها. من ذلك كله قررت الحكومة الايطالية أن تتحرك لاحتلال جزيرة فروة هذه، فتتجمع بها الطلائع الأولى من القوات، ثم تنطلق منها إلى البر المواجه لها، حيث قصر بوكماش، وتبقى الجزيرة مقراً للقيادة والقوات الاحتياطية.

بدأت التجهيزات الايطالية بإعداد هذه الحملة، منذ أول ابريل، حيث جمعت قوات قوامها(10,000)عشرة آلاف مقاتل، من بين المدن الايطالية، توجهت منها إلى أغوستا لتبدأ منها الرحلة إلى جزيرة فروة، وكلَّف الجنرال

غاريونى (GARIONI) بقيادة هذه الحملة، وقد كان عدد رجالها كبيراً لمثل المنطقة المقصودة. لكثرة سكانها، وبعد موقعها، عن مركز تجمع المجاهدين حول طرابلس. بدأت هذه الحملة رحلتها، على عدة سفن من أغوستا بالجنوب الايطالى، مساء السادس من ابريل 1912م، وأخذت تتحرك باتجاه الساحل الليبى، حتى مشارف مدينة زوارة، حيث توقفت على بعد(15)خمسة عشر ميلاً شمال هذه المدينة، فى صباح 8 الثامن من الشهر نفسه، لتكمل استعدادها، حيث انضمت إلى هذه الحملة سفينتان، قدمتا لنفس الغرض من طرابلس هما «السفينه أغوردات والسفينة إيريدى(EREDI) بالإضافة إلى المدمرة كانابو، وكانت هذه السفن التى قدمت من طرابلس، قد شاركت فى البداية عندما تم احتلال مدينة طرابلس. إن القيادة الايطالية تعودت على إيهام قادة المجاهدين، باخفاء نواياها فى تنفيذ مخططاتها التوسعية بالمدن الساحلية، لذلك كلِّفت مجموعة من السفن لمحاصرة مدينة زوارة، باعتبارها أقرب المدن التى يمكن أن يتحرك منها مقاتلون لمواجهة الإنزال المقصود على جزيرة فروة، بينما تحركت بقية السفن لتنفيذ الهدف المزمع عمله، وذلك فى اليوم نفسه.

توقفت البوارج الحربية التى توجهت إلى الغرب على بعد 6 أميال من جزيرة فروة، وبدأت فى الوقت نفسه، فى عملية الإنزال على رأس مخابز بواسطة القوارب الصغيرة، تحت جنح الظلام مساء الثامن من ابريل، دون أن تصادفها أية مقاومة أرضية، لخلو الجزيرة من السكان كما هو معروف وقد تم هذا الانزال دون مخاطر[15] لظروف اعتقد أنها واضحة من خلال ما طرح. عندما استقرت القوات الايطالية على الجزيرة صباح اليوم التالى 9 من ابريل. بدأت قيادتها بإشراف الجنرال غاريونى، تبحث على طريقة مأمونة الجوانب للتحرك نحو البر، حيث منطقة بوكماش، باعتبارها أقرب المناطق إلى الجزيرة ويمكن مراقبتها حتى بالعين المجردة من الطرف الجنوبى للجزيرة.

وقد كلف الضابط كاكاش(Cacase) أحد مساعدى قائد الحملة على رأس مجموعة من الجنود، باستطلاع الساحل المواجه للجزيرة فى صباح اليوم

العاشر من الشهر نفسه، أى فى اليوم الثانى من اتمام عمليـة الانزال عـلى الجزيرة.

قـام هذا الضـابط بتفقد المنـطقة جيـداً، وأعد مـا حصل عليـه من معلومات فى تقارير وسلمها للجنرال غاريونى، بعد عودته مباشرة، فتأكد منها غاريونى أيضاً، وعلى ضوئها وضع خطة التوجه إلى الساحل لاحتلاله.

اعـداد الحملة: تم تكليف 3 مجموعـات لتنفيذ عمليـة احتلال قصر بوكماش من:

1 ـ مجموعة المشاة بقيادة النقيب بيانكى Bianche

2 ـ مجموعة البحارة بقيادة الملازم البحار كوميلو Comilo

3 ـ مجموعة سلاح الهندسة بقيادة الملازم كارِّيا Carria[11].

تحركت هذه المجموعات بإتجاه الساحل، حيث قصر بوكماش، منذ فجر الحادى عشر من الشهر نفسه، أى فى اليوم الثالث من احتلال جزيرة (11) فروة. وبوصول هذه القوات إلى الشاطىء دفعت بمجمـوعة من الأريـتريين لاقتحام القصر بقصد احتلاله، حيث كان يوجد به مجموعة من المجاهدين لحراسته، فأبدت مقاومة بسيطة، لكنها تركته عندما تراكم عليها القصف من جانب القوات الغازية، فاحتلته القوات الايطالية، واستقرت به، بعد ذلك، مجموعة من القوات، تحت حراسة السفن الحربية الراسية بعيداً فى الشمال. إن احتلال القوات الايـطالية للقصر مكنهـا من الاحتماء بـه، أمام هجـوم دوريات المجاهدين التى تكرّرت عدة مرات دون جدوى[12].

بمجرد أن وقع القصر فى أيدى القوات الايطالية انتشر خبره فى مدينة زوارة، حيث توجد حامية تركيه قليلة العدد، تحت امرة «البكبـاشى موسى مبارك اليمنى»(*) كما يوجد بها عدد من الليبيين.

(*) موسى مبارك اليمنى: يعتقد أنه عربى من اليمن جاء ضمن الجيش التركى المتواجد بليبيا حينذاك، وشارك المجاهدين الليبيين فى مقاومتهم ضد الايطاليين الغزاة لهذه المنطقة حتى معاهدة أوشى لوزان ثم انتقل إلى برقه حيث اشـترك مرة أخـرى مع الشيخ عمر المختار فى كفاحه ضد الايطاليين هناك حتى استشهد، عليه رحمة الله.

وقد أخذت التدابير اللازمة لمواجهة هذه الأخطار التى فاجأت قائد الحامية بالمنطقة وسكانها حيث كُلِّفت مجموعة من قوات المجاهدين بالذهاب إلى بوكماش قوامها 30 رجلاً لطرد القوات الايطالية التى احتلت مبنى القصر.

تحرَّكت هذه المجموعة إلى منطقة بوكماش وقامت بمهاجمة القوات الايطالية التى احتلت القصر، مستعملة أسلحة البنادق، غير أن هجومها على هذه القوات لم يؤثر فيها لاحتمائها بمبنى القصر والسفن الراسية فى البحر، الأمر الذى أفشل هذه القوات فى تحقيق أهدافها.

وقد ورد فى حديث أحد المجاهدين... «أننا أحطنا القصر من جميع الجهات وأخذنا نضرب، ولكن تحصنهم بمبنى القصر مكنهم من الصمود بداخله...» وأضاف أيضاً أنه جرح عدد من المجاهدين، كما أصاب المجاهدون بعضاً من أفراد العدو فى القصر، مما يؤكد أن القوات الايطالية لم تخرج من القصر.

اتصلت هذه المجموعة بمقر القيادة المرسلة منها بزوارة مرّة أخرى وكلفت بمزيد من الدعم البشرى والمادى حتى يمكن مواجهة القوات الايطالية التى فاقتها عدداً وعدة، إذ يبدو ما أرسل من قوات المجاهدين فى البداية قليل جداً إذا ما قورن بالقوات الايطالية الغازية الواردة فى التقرير الخاص بعدد القوات الايطالية سالف الذكر.

ونظراً لأهمية هذا الموقع بالنسبة للمجاهدين، وخطورة الحدث لما سبق ذكره، فقد بدأت تؤخذ التدابير بجدية فائقة للوقوف فى وجه هذه القوات ودحرها مهما كلف الثمن. فاستنفرت قوات المجاهدين بدعوتها للتجمع من المناطق المجاورة لقصر بوكماش والبعيدة عنه، على حد سواء، لتقف ضد هذا الخطر، الذي أصبح يهدد طرق الامداد مباشرة من جهة الغرب، وخاصة الطريق الأول الذي كان يمر بقرب الساحل عند قصر بوكماش بجانب السيطرة البحرية على طول الساحل بواسطة الاسطول.

إن الحكومة الايطالية بدأت فى هذه الفترة تصعد من محاصرتها

للاسطول العثماني في شرق البحر المتوسط، وتراقب تحركاته بين موانئ الشام، وتركيا، الأمر الذى ادى إلى صعوبة وصول الامداد إلى القـوات التركيـة والفرنسية المرابطة فى ليبيا.

بداية التجمع الوطني حول بوكماش

لما كانت التحركات الايطالية تجاه فروة وبوكماش، قد جاءت متأخرة، وأن حركة المقاومة الـوطنية بـدأت منذ اكتـوبر 1911م عنـدما حـل الغزو الايطالى بالمدن الليبية، تحول معظم المواطنين القادرين على حمل السلاح إلى المدن، التى سبق وأن احتلت من قبل القوات الايطالية، للمشاركة فى ذلك.

وقد هب سكان هذه المنطقة كغيرهم من السكان للتطوع بمعسكرات المجاهدين التى أقيمت قرب طرابلس، فمنهم من التحق بمعسكر العزيـزية وسوانى بنيادم جنوب مدينة طرابلس، ومنهم من التحق بمنطقة جنزور غرب المدينة نفسها. . .

إن عملية التحاق المجاهدين بالمعسكرات لم تقتصر على مدينة طرابلس فحسب، بل هب المواطنون من كل مكان فى ليبيا للإنخراط فى حركة المقاومة الوطنية، التى أسست حول المدن التى شملها الاحتلال الايطالى فى البداية مثل «طبرق ودرنه، وبنغازى، والخمس». وحملت أسماء محلية، كمعسكر المدور حول طبرق. وعين بومنصور قرب درنـه، ومعسكر بنينه حول بنغـازى، ومعسكر المرقب بالخمس، ليتصدى منها المجاهدون للقوات الايطالية، إذا ما خرجت من خنادقها واسوارها، التى اقامتها حول المدن المعنية بالذكر تحت حماية قصف المدفعية من السفن البحرية، التى كانت مرابطة قربها بالبحر.

ولما كانت معسكرات مدينة طرابلس أقرب منطقة لبوكماش وضواحيها، فقد التحق محاربو هذه المناطق بها. واستمرُّوا يواصلون القتال هناك، حتى تم احتلال القوات الايطالية لجزيرة فروة وبوكماش حيث كان الاهتمام مركزاً على أحداث مدينة طرابلس.

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا، كيف قدم المتطوعون إلى جبهة بوكماش مادام الوضع متوتّراً حول المدينة؟

اتضح أن قوات المجاهدين، كانت تواجه القوات الايطالية على طول الساحل بما فيهم القاطنين قرب منطقة بوكماش، ولم يبق ما يكفى للمواجهة والتحدى بالمنطقة الجديدة، لذلك لا بد أن يدبَّر أمر هذا الموضوع من قبل القيادة الوطنية العاملة حول مدينة طرابلس، باعتبارها القيادة الرسمية بالشق الغربى من ليبيا وقد كانت تحت امرة العقيد نشأت بك(*).

لذلك عقد قادة المجاهدين بهذا الشأن اجتماعاً عامّاً، للتشاور في كيفية التخطيط لمواجهة القوات الايطالية في منطقة بوكماش، وتم عقد هذا الاجتماع بجنزور، وقرروا فيه، أن يتحول مجاهدو المنطقة الغربية بالنسبة لطرابلس إلى منطقة بوكماش، وعليه تم أمر هؤلاء المجاهدين بالتحول إلى هناك. وقد أكَّد أحد المجاهدين فى هذا الشأن بقوله «كنا بالهانى- يقصد منطقة طرابلس- وقد جاءنا الخبر بنزول الايطاليين على فروة وخروجهم إلى قصر بوكماش، فتحولنا إلى زوارة بقيادة محمد سوف كما كان معنا فرحات الزاوى والياورنى، العلالقة والعجيلات ونوايل والجميل يذهبوا ومشينا بعد العصر»، ويضيف أيضاً أن هذه المجموعات مرَّت بالعجيلات والجميل واتجهت غرباً لتستقر أمام بوكماش فى طويلة غزالة[16].

يتفق هذا القول أيضاً مع ما أوردته التقارير العسكرية التركية إلى حد

(*) نشأت بك: هو اسماعيل نشأت بك: كُلِّف بقيادة المجاهدين، بعد عودة الوالى ابراهيم أدهم باشا إلى تركيا قبيل مجيء القوات الايطالية إلى ليبيا، اثر مشكلة حدثت بين ابراهيم هذا والقنصل الايطالى. وقد كلف نشأت رسمياً بقيادة المجاهدين بعد أن بدأت القوات الايطالية باحتلالها لمدينة طرابلس، أول اكتوبر 1911م، وعين والياً وكومندانا للجيش التركى المتواجد بساحة طرابلس، وقد قدم إليه من باريس على فتحى أوقيار الذى تولى معه قيادة العمليات العسكرية، واستمر بالمنطقة، حتى تم توقيع معاهدة أوشى لوزان لحل قضية ليبيا بين ايطاليا وتركيا، فعاد إلى تركيا بجيشه بعد أن سلَّم القيادة للمجاهدين فى مؤتمر العزيزية، تنفيذاً لتطبيق بنود معاهدة أوشي لوزان هذه.

ما، من حيث قدوم مجموعات من المجاهدين إلى منطقة بوكماش، وإن لم يحددها بوضوح كافٍ من حيث العدد والمناطق حسب الجدول التالى:

جدول يبين عدد المجاهدين الذين قدموا إلى المنطقة

القبيلة أو البلدة	الشاة	الفرسان	القادة
النوائل	380	70	حرب بين نصر الفائلى
العجيلات	350	35	بوعجيلة الدالي، والشيخ
العلالقة	350	30	صالح بن الحاج
الصيعان	300	20	سعيد بن زائد/ وعلى النعير
الرجيان والزنتان	130	5	عثمان بن ضو ونصر بالحاج
زوارة		200	سليمان البارونى
الزاوية			سلطان بن شعبان
المجموع	1512	385	عبد الرحمن العروسى

ملاحظة:

لم تذكر التقارير أسماء القادة، إنما أخذت من خلال المقابلات التى أجريت مع المجاهدين الذين شاركوا في هذه المعارك والموجودة بمركز دراسة جهاد الليبيين.

ثم قدمت مجموعات أخرى فيما بعد من جهات مختلفة، عندما استمرت المقاومة بالمنطقة من كل من نالوت وكباو والحرابة والرحيبات والحوامد والمجابرة، ووريمة والقديرات والسعفات ويفرن وغريان والنواحى الأربعة وغيرها... وتوالى مجىء هذه المجموعات تباعاً غير أنه لم يرد ذكرها فى جدول التقارير العسكرية التركية المرقوم أعلاه، على اعتبار أن هذه المجموعات المدرجة، قدمت من جهة طرابلس إلى هذه المنطقة، وأن المجموعات الأخرى جاءت من بلدانها فيما بعد. وربما لم تصل منذ البداية.

تمركزت هذه المجموعات المشار إليها فى البداية على النحو الثانى، **الزنتان والرحيبات بقصور الدرن، العلالقه فى طويل الصنور، أما النوائل** والصيعان فقد تمركزوا بطويلة غزالة نفسها، وعرف معسكرهم هذا بمعسكر طويلة غزالة.

أما مجاهدو زوارة والسعفات والحميدات فقد تمركزوا حول هضبة ضريح «سيدى سعيد» ونزلت مجموعات الزاوية وصرمان بالظليلة [18]. أنظر خريطة شكل 1 لمعرفة المواقع. أما المجموعات الأخرى التى قدمت فيها بعد فقد أخذت مواقعها بين المجموعات السابقة. وقد دعا الشعراء الشعبيون الناس للانخراط فى حركة الجهاد، يشحذون الهمم، وكان للشعر الشعبي أثر طيب فى نفوس العرب الليبيين حينذاك، فقال أحد الشعراء(*) حاثّاً الشباب على التطوع مايلى:

منين صار البريح وصارت خوضة فى البلاد	كل من هو مسلم صحيح يسجِّل نفسه للجهاد
كونوا للهول صبارة كونوا أكبار العزائم	ماعشنا للهول ولا تخوفنا هزائم[19]

إلى آخر القصيدة، وعلى أساس ذلك وغيره تقدمت أعداد هائلة للتطوع، والانخراط فى المقاومة، ومن يتقدم تعطى له بندقية وذخيرة، ويلتحق بالمجاهدين، وقد يتم التطوع عادة تحت اشراف مشائخ القبائل وأعوانهم، حيث إنه كان يكلَّف بالاشراف على كل مجموعة من قبيلة عدد 3 ثلاثة أو أربعة (4) مجاهدين يعرفون بشوّاش المحلات يقومون بمساعدة شيخ القبيلة، لتسجيل من يعرفونه من القبيلة أنه يستطيع أن يلتحق بالمجاهدين للمشاركة فى صد القوات الغازية وقد وضع هذا النظام عندما استمرت حركة المقاومة الوطنية، وأصبحت فى حاجة إلى مثل هذا النظام، فى استدعاء المتطوعين، وتنظيمهم وتدريبهم إلى غيرها من الأمور الأخرى. لقد حدد أحد المجاهدين أنه سجل من زوارة نفسها حوالى 700 مجاهد ذهبوا إلى جبهة القتال وتمركزوا جنوب الضريح المعنى بالذكر، فى البداية[21].

(*) قال هذا الشعر المجاهد المرحوم/ سالم موسى الحرّان قبل وفاته، وذلك عندما سجلت منه مقابلة عام 1978م، وترد القصيدة كاملة فى الملحق رقم 6

أمّا عن عدد المجاهدين الذين قدموا فى البداية لمواجهة القوات الايطالية فى بوكماش فقد ذكرت صحيفة طنين أنه بلغ (15) خمسة عشر ألفاً[22]، وقد اختلفت فى ذلك مع الجدول الذى وضعته التقارير العسكرية التركية. والبالغ 1512[23] مجاهداً، وكذلك مع ما ذكره مجاهد آخر عندما قال إن عدد المجاهدين بالمنطقة بلغ 1552 مجاهداً[24] وهنا نجد اختلافات واضحة، غير أن الوقت الذى تم فيه حصر هذه القوات لم يحدَّد هل هو فى البداية أم فى الوسط أم فى النهاية؟ وهنا لا نجد الإجابة الصحيحة فى هذه الأقوال، ولذلك أرى حسم الموضوع بالمتوسط وعليه يكون عدد المجاهدين حوالى 4000 مجاهد جاءوا فى البداية ثم توالى مجيئهم فيما بعد وأدَّى إلى زيادة عددهم.

أمّا عن القيادات المحلية فلم نجد ما يحدد أسماء كل منها لذلك نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر: مجموعة زوارة كانوا بقيادة سلطان بن شعبان يساعده بو بكر بوسنوقه ثم عريبى بن فطيس، والشيخ ساسى الناكوع والشيخ صالح الزوالى على مجموعة وريمة. أما جماعة خويلد فقد كان يقودهم بلقاسم العائب، وينوبه فى زوارة أحمد قريرة وعلى محمد حاسوبه لتسلم رواتب المجاهدين[25] وقد كان لكل مجموعة من ينوبها كما اتضحت قياداتهم بالجدول المرقوم من قبل.

أما بالجبهة المعسكر مجموعات طويلة غزالة كانت بقيادة الشيخ محمد سوف المحمودى، حيث جاء على رأس المجموعة، التى قدمت من طرابلس، كما اتضح، ثم الشيخ سليمان البارونى ومحمد فرحات الزاوى، والأخيران كانا يتحركان بين بوكماش وطرابلس، حسب اعتقادى[26].

إن محمد فرحات الزاوى، وسليمان البارونى، كانا من ضمن مجلس (المبعوثان) عند وقوع الغزو الايطالى على ليبيا، لذا كانا الشخصيتين القويتين فى المنطقة، يشرفان على حركة المقاومة الوطنية، بالتعاون مع الضباط الاتراك الذين كانوا تحت قيادة «حقى بك» المكلَّف من قيادة طرابلس.

عندما تـواجدت هـذه المجموعـات فى المنطقـة كانت مسلحـة ببنادق «بوقوس، وماوزر، وبوصوان، وبودزة» وغـيرها من الأسلحـة الأخرى التى حصلوا عليها من إحدى السفن التى قدمت إليهم من تركيا وأرست غرب بوكماش، فأفرغت شحنة هائلة من الأسلحة والعتاد الحربى، قام المجاهدون بنقلها إلى مراكز إقامتهم، لتأمينها والاستفادة منها، لحاجتهم الماسَّـة لمثلها، للظروف الحرجة التى يعيشونها، وتتطلب منهم المزيد من الاستعـداد لمقابلة عدوهم، الذى يفوقهم، عدداً وعتاداً، بجانب ذلك أنهم كانوا مسلحين من قبل لمشاركة معظمهم فى معارك طرابلس.

تجمع المصادر على أن القوات الايطالية، التى قدمت لاحتلال المنطقة، بلغت حوالى(14000) أربعة عشر ألف مقاتل مكونة من:

- لواء المشاة 60 التابع لحـامية صقليـة والكتيبة السـادسة الاريـترية واللواء التاسع من الرماة.
- فصيل من الفرقة الحادية عشر «القناصة».
- مجموعة من قطع المدفعية من عيار (149م/م) بالإضافة إلى مدفعية السفن الحربية، التى سـاهمت فى قصف مواقـع المجاهـدين فى المعارك التى جرت قرب الشاطىء، كان منها معركة سيدى (سعيد) وسيدى (على) على سبيل المثال[27].

مضافاً إلى ذلك كله التدريب العسكرى الجاد، والتقنية الحديثـة التى تفقدها قوات المجاهدين.

التنظيم والقيادة بالمنطقة

أدَّى تجمع المجاهدين المفاجىء، بقطاع المواجهة حول بوكماش إلى إيجاد تنظيم لخدمتهم، فى التموين والعلاج، وحل القضايا والمشاكل، التى غالباً ما تحدث، بين المجاهدين، وكذلك صرف الرواتب وتوزيع الأسلحة والإمداد والذخيرة، وتنظيم الحراسات، بالمناوبة ... إلخ، وعادة ما يساهم فى مثـل

هذه الأعمال، مأمورو المحلات ومشائخ القبائل، وأعيانها، لمعرفتهم بشؤون الأفراد التابعين لقبائلهم، حيث أن هؤلاء المشائخ والاعيان عادة ما يكونون من قمة رجال القبيلة، ويمثلون فى الغالب زعامتها المباشرة.

إن عملية التنظيم والقيادة كانت منسقة فى منطقة بوكماش حيث كان يوجد عدد من الضباط الاتراك كان على رأسهم البكباشى موسى مبارك اليمنى، بجانب ذلك، كان عدد من الأعيان ومشائخ القبائل يتولّون تنظيم الأفراد بمساعدة مأمورى المحلات فعندما تصدر الأوامر من القيادة العليا توزَّع على القيادات المحلية ومنهم إلى المأمورين للتنفيذ.

إن مأمورى المحلات يقومون بتوزيع وتنظيم المجاهدين بالجبهة كل حسب دوره، وينفِّذون أوامر القيادة، بشأن التحرك، والمواجهة والهجوم، أو التصدى، بينما يراقب مشائخ القبائل أوضاع الملتحقين من اتباعهم عن كثب من خلال مواقعهم فى أى قرية، يعرفون من أتم دوره فى الجبهة، ومن يستحق العودة إلى ذويه، ومن الذى سوف يحل مكانه قبل مغادرته للجبهة. فيأمرونه بالذهاب ليستبدل بمن أتى دوره فيها، كما يكلَّف عادة آخرون باشعار من يتضرر من المجاهدين، ورعاية أحوالهم.

وبطبيعة الحال، فإن بساطة التنظيم والقيادة، حينذاك وعملية الضبط والربط، وارتباط الأفراد بقبائلهم، جعلت من مسائخ القبائل واعيانها زعامات كان لها دورٌ هامٌ فى الأمر والنهى، وأثرت تأثيراً حسناً، مكنت حركة المقاومة الوطنية من الاستمرار على مختلف الجهات عبر سنوات الكفاح الوطنى ضد الغزو الايطالى، وحوَّلت المقاومة، من المركزية إلى كافة المدن والقرى والأرياف أيضاً، وأينما وطأت أقدام القوات الغازية.

بلدة زلطن مقر قيادة المجاهدين بالمنطقة: عادة ما يكون مقرُّ القيادة العسكرية، بعيداً عن خطوط المواجهة الأمامية ليؤمن من العدو، حسب الاستراتيجية العسكرية المتبعة، فإذا ما سقطت القيادة فى أى مجموعة فإنها تصاب بالإرتباك وتنهزم.

لذلك فقد اتخذ المجاهدون بلدة زلطن لبعدها، عن البحر وتوسطها بين معسكرات المجاهدين وإمكانية مرور القوافل التى تحمل الامداد من تونس بها حينذاك، مقرّاً لقيادتهم.

وقد جمعت فيها تجهيزات المجاهدين من أسلحة وذخيرة وعتاد ومؤن، ومستلزمات عسكرية أخرى، لتوزع منها على بقية قطاعات المواجهة المتقدِّمة فى منطقة «طويلة غزالة» «وسيدى سعيد» حيث يتولى مساعدو قادة المحلات نقلها إلى المراكز المتقدمة وتوزيعها على المجاهدين، حسب نظام محدد.

فمن حيث الذخيرة توزّع حسب وفرتها. بينما، الدقيق والحبوب والنقود توزع على صاحب الحصان، ضعف ما يأخذه دونه. إذ أن صاحب الحصان يحتاج إلى علف حصانه بجانب قوته.

وتعتبر القيادة مقرّاً للمقعدين من بين المجاهدين فى بعض الأحوال كما أقيم هناك مستشفى تحت اشراف أطباء الهلال الأحمر التركى المصاحبين للمجاهدين، وقد كان عبارة عن مجموعة من الخيام يتم فيها علاج الجرحى، وكانت هذه الخيام من النوع الكبير، تضم الواحدة منها مائة نزيل، غير أن الأطباء كانوا أقل من المستوى حسب قول بعض المجاهدين الذين عولجوا به، فلا توجد العناية الكافية، لقلة الإمكانيات، وكثرة الجرحى، إذ قال أحد الجرحى بهذا المستشفى، عندما أصيب فى إحدى معارك بوكماش، وكُسِرتْ رجله، بأنه أخذ إلى هذا المستشفى، وعانى من الألم كثيراً، دون أن تقدم له أيَّة اسعافات تذكر، لو لم يساعده أحد النزلاء الآخرين فضمد جراحه دون الأطباء(28).

وقد أشيع أيضاً أن مجموعة الأطباء، كانت من الألمان، فهذا صحيح لما كان من علاقة وطيدة بين الدولة العثمانية وألمانيا، وأن هؤلاء الألمان لم يكسبوا ثقة المصابين والمرضى، وهو أمر يحتاج إلى التساؤل، غير أن الإمكانيات التى كان عليها وضع المجاهدين حينذاك، لا تمكن توفير أكثر من ذلك لظروف أهمها:

آ ـ الحصار الايطالى، ووضع تركيا المتردى، فى عجزها عن مد المجاهدين بما يحتاجون إليه من أدوية ومعدات طبية.

ب ـ كثرة المصابين فى المعارك بسبب التضحيات التى كان يبذلها المجاهدون لإقدامهم فى ساحات القتال دون تردد أو مبالاة. الأمر الذى مكَّن القوات الايطالية من إحداث اصابات كثيرة بين صفوفهم.

جـ ـ اختلاف المعدات العسكرية وتفوقها لدى القوات الايطالية، بالنسبة لما كان لدى قوات المجاهدين.

استراتيجية المجاهدين فى المواجهة

اتضح أن القوات الايطالية تمركزت بجزيرة فروة، واحتلت قصر بوكماش المواجه للساحل الجنوبى للجزيرة، وبدأت تترصد لقوافل الإمداد التى تأتى من الطرق القادمة من تونس، وإلى تحركات المجاهدين أيضاً.

رأت قيادة المجاهدين توزيع قواتها، بشكل يتناسب وإمكانية المواجهة، كى لاتحدث تحركات القوات الايطالية، ثغرات فى صفوف المجاهدين تترك دون مراقبة، ويكون الجيش الايطالى حيثما وجد فى متناول قوات المجاهدين.

وبهذا الخطة المرتقبة تبدأ حركة المجاهدين ميسورة خلال قطاعات المواجهة، لذلك وزعت قوات المجاهدين على مراكز متعددة، حول بوكماش، شكلت بها خط دفاع على شكل وتر مثلث يبدأ من سيدى سعيد شرقاً ثم يميل نحو الغرب باتجاه الحدود التونسية الليبية، مارّاً جنوب قصر بوكماش مركز تواجد القوات الايطالية بالمنطقة.

وقد بلغ طول خط الدفاع هذا 30 ك.م. تقريباً حفرت مجموعة خنادق على امتداده من الشرق إلى الغرب، فى أماكن متباعدة عن بعضها شيئاً ما حسب المواقع المهمة فى خط الدفاع والمواجهة.

وقد كانت هذه الخنادق، التى حفرها المجاهدون عميقة إلى حد ما،

يختبىء فيها المراقبون لتحركات القوات الايطالية طول النهار، فى مقدمة خطوط دفاع المجاهدين ومراكز تجمعهم، حيث كان يدفع للحراسة بالمشاة أثناء النهار، ليتمكنوا من الاحتماء بالخنادق، بينما يكلَّف الفرسان بالليل ليتحركوا على خيولهم بقربها، وذلك الأمر يساعد حراس النهار على الإحتماء من قصف مدفعية السفن الايطالية الراسية على مقربة من الشاطىء بالبحر.

أما فى الليل فالمدى البصرى قصير بسبب الظلام، لذلك تترك مهمة الحراسة للفرسان، يتحركون خارج الخنادق ذهاباً وإياباً.

إن هذه الحراسات كانت تقسم بين المجموعات والمحلات، كل معسكر حسب الجهة التى تواجهه، فتقسم كل محلة أفرادها، على مجموعات للقيام بالحراسة عن طريق التناوب فى أماكن معينة بخطوط الدفاع الأمامية كما هو معروف(29).

استمر وضع المجاهدين هذا فى حالة جيدة مدة 3 أشهر ابتداء من ابريل حتى نهاية شهر يونيو، دون أن تضعفه تحركات القوات الايطالية المتوالية ودون أن تتصدَّع خطوط دفاعهم التى أقاموها لمواجهة القوات الايطالية هذه، فكلما حاول الغزاة الخروج عليهم تصدوا لهم، وأرجعوهم على أعقابهم خاسرين، ولم يتمكن الايطاليون من تحقيق أى هدف يذكر، ليقظة المجاهدين، واستماتتهم فى القتال طوال المدة التى مكثوا فيها يحاصرون القوات الغازية بالمنطقة، ولم يقتصروا على ذلك، بل هددوا القوات الايطالية هذه بالخروج من قصر بوكماش فى البداية.

وقد أوضح الأستاذ خليفة التليسي فى كتابه «معجم معارك الجهاد فى ليبيا»(30) بأنه جرت عدة معارك نتيجة محاولات يائسة من العدو لفك الحصار الذى ضرب حوله هناك، حيث كانوا يظهرون فى مجموعات باتجاه خنادق المجاهدين فيقوم المجاهدون بالتصدى لهم، ويردونهم على أعقابهم، حتى يدخلونهم نطاق القصف المدفعى من البوارج الحربية الراسية بالبحر أمام الشاطىء، فتقصفهم، عند اقترابهم منها، وتجعل بذلك حائلاً بينهم وبين الجنود الايطاليين المتراجعين من تقدمهم، تاركين وراءهم عدة غنائم فى كل

مرة، كان المجاهدون يقومون بجمعها للإستفادة منها، كالأسلحة والعتاد الحربى».

إن استعدادات المجاهدين للمواجهة تبرهن على ذلك بوضوح، حيث استطاعت أن تكبح جماح القوات الايطالية الرامى إلى فتح ثغرة فى صفوف المجاهدين من الغرب للتوغل عن طريقها إلى الجنوب، والتمركز على الطريق الثانى بقصد عرقلة امداد المجاهدين من الغرب.

وقد تقلص المد الذى خطط له قادة الحملة الايطالية هذا، أى أنه بمجرد أن تم إنزال الجنود الايطاليين على الجزيرة واحتلُّوا قصر بوكماش، تنادت قوات المجاهدين لمواجهتها، وإن دل ذلك على شىء فإنّه يعبّر عن مدى حرص قيادة المجاهدين على أمن وسلامة طرق الإمداد التى كانت تأتى من تونس وإبقائها مفتوحة، وعلى حماية الجزء الغربى من البلاد حتى لا يحدث ارباك بين صفوف المجاهدين ويعرقل تحركهم بالداخل، إذا ما توغّلت القوات الايطالية بسهل الجفارة، وصعدت إلى الجبل الغربى.

نتعرض إلى دراسة هذه المعارك، التى دارت أحداثها فى المنطقة بين قوات المجاهدين والقوات الايطالية، خلال المحاولات السابقة، التى كانت تقوم بها القوات الايطالية باتجاه الجنوب، والجنوب الغربى، بشكل مختصر إلى حد ما، وخاصة المعارك التى وقعت فيها خسائر بشرية بين الطرفين.

1 ـ معركة بوكماش الأولى 13 ابريل 1912م:

عندما استقرت القوات الايطالية بقصر بوكماش، حاولت التوسُّع بالخروج إلى الجنوب تنفيذاً لمخطط قادتها الرامى إلى اعتراض طريق القوافل، وبهدف إفشال استعدادات المجاهدين، التى تعد العدة هى الأخرى حينذاك للهجوم.

تحركت كتيبة من القوات الايطالية هذه بقصد القيام بهجوم مباغت على تحصينات المجاهدين جنوب بوكماش فجر يوم 13 من إبريل، فاستعدت لها

قوات المجاهدين التى قدمت فى حينها إلى المنطقة، وردَّتها على أعقابها، إلى قصر بوكماش نفسه، وحاصرتها حوله، حتى فر معظم أفراد هذه القوات إلى البحر ناجياً بجلده، وتحصن البعض الآخر داخل القصر.

حاول المجاهدون ارغام من تحصَّن بالقصر على الخروج منه، أو يقومون بقصفه ونسفه، واستمروا يحاصرون هذا القصر عدة أيام، لكن لم يتم تنفيذ المجاهدين بنسف القصر فتراجعوا فى النهاية.

وقد بعث، الشيخ محمد فرحات الزاوى ببرقية إلى العقيد نشأت بك بالعزيزية يخبره فيها، بأن المجاهدين سيطروا على القوات الايطالية وحاصروها بالقصر، ويضيف أن اثنين تطوعا لنسف القصر إذا رفض الجنود الايطاليون الخروج منه. وختم برقيته هذه منوهاً بالانتصارات التى حققها المجاهدون، طالباً المزيد من الأسلحة والعتاد الحربى[31].

وبناء على البرقية التى أرسلها محمد فرحات الزاوى إلى العقيد نشأت بك قام العقيد نشأت بدوره بإرسال برقية إلى الهادى كعبار بغريان يوصيه فيها، باستئناف نقل المؤن من تونس، حيث أنها تراكمت بتونس، عندما توقفَّت بسبب قدوم القوات الايطالية إلى جزيرة فروة، واحتلالها لقصر بوكماش. وتوقَّع أنها لا تشكل خطراً على استئناف سير القوافل بتلك المنطقة، حيث إنه أوضح فى البرقية، بأن القوات الايطالية التى نزلت ببوكماش لا تشكل خطراً على استئناف حركة القوافل إلى بن قردان، حيث إن الطريق الثانى لا زال بعيداً عن عرقلة الايطاليين، لوجوده خلف خطوط دفاع المجاهدين الأمامية[32] وعليه استأنفت القوافل حركتها فى جلب المؤن من بن قردان وقد أرسلت هذه البرقية بتاريخ 15 ابريل 1912م أى بعد المعركة السابقة بيومين فقط.

وقد بعث نشأت بك هذا ببرقية أخرى إلى الهادى كعبار، باعتباره مدير غريان حينذاك، ومشرفاً على حركة نقل المؤن، من بن قردان، يوصيه فيها بكثرة المؤن فى بن قردان، ويحثه على مضاعفة عدد الإبل التى كانت تنقل المؤن فى السابق، وذلك بأن يضاف 2000 ألفى جمل للإبل السابقة، حتى

يمكن نقل المزيد من المؤن، وتعويض المدة التى توقفت فيها عمليّة النقل، ثم أن المؤن عادة تصل عن طريق البحر، فتتواجد بكميات هائلة فى مدة قصيرة.

ربَّما كان القصد من زيادة عدد الإبل، استغلال الفرصة، التى سنحت لهم نتيجة محاصرة القوات الايطالية، والاحتفاظ بكميات كافية من المؤن والعتاد الحربى، وغيره من المعدات العسكرية، إذا ما تعرضت الطريق إلى حصار القوات الايطالية فتتوقف الإمدادات، أو تحاشياً لضياع الوقت باستعمال أعداد محدودة من الإبل، لا تكفى لنقل المزيد من المؤن لبطء حركتها، لجيش يتحرك على ثلاث جبهات «بوكماش ـ طرابلس ـ الخمس» لفترة طويلة مهما كان الأمر.

وإذا عُدْنَا إلى أحداث المعركة، فى مسألة نسف القصر، أو خروج القوات الايطالية منه، فإننا لا نجد فى مصادر أخرى ما يؤكد هذا الخبر. ويحتمل أن محمد فرحات الزاوى، أخبر عن ذلك، لرفع معنويات المجاهدين، أو أن الايطاليين، عندما حاصرهم المجاهدون بالقصر، تدخلت السفن البحرية، وابعدت بقصفها طلائع المجاهدين، ولم يحدث ما توعّد به المجاهدون من نسف للقصر، وهو أمر واقع لما تبين من معطيات تؤكِّد على ذلك.

2 ـ معركة بوكماش الثانية، 23 ابريل 1912م:

عندما عادت قوات المجاهدين، بعد الحصار السابق للقوات الغازية بقصر بوكماش خططت القيادة الايطالية لهجوم آخر، على قوات المجاهدين، حيث خرجت بعد عشرة أيام من المعركة الأولى إلى الجنوب من القصر نفسه، فتصدت لها قوات المجاهدين، المتمركزة هناك، واشتبكت معها فى معركة ضارية استمرت عدة ساعات صباح التاريخ المعنون أعلاه، حيث انتهت بتراجع القوات الايطالية، بعد أن فقدت عدداً من جنودها، بين قتيل وجريح، وطاردتها القوات الوطنية كالعادة حتى البحر، ثم عادت عندما تدخلت السفن الحربية بقصفها.

بمجرد أن انتهت هذه المعركة أُعِدّ تقرير بشأنها من قبل القيادة الايطالية حددت فيه الخسائر، التى تضم مقتل ضابط و(63) ثلاثة وستون جندياً بين قتيل وجريح[33].

أما غرنفيتش فقد أوضح أن قتلى الايطاليين 3 جنود وأربعة ارتيريين والجرحى 50 جندياً[34]، والواقع أن الفارق بين الخبرين كان بسيطاً على أن الوصف الأول للخسائر، كان أقرب من الثانى، باعتباره جزءاً من المعركة. وأن غرنفيتش اعتمد على التقارير الايطالية فى دراسته وقد ذكر القائد غاريونى أن الباخرة (إريجينا ديتاليا) (Irigina Ditalia) الصحية قامت بنقل الجرحى إلى ايطاليا فى 25 من الشهر نفسه وكان من بينهم الرئيس بيانكى Bianche الذى قاد جزءاً من عملية الانزال الأولى على جزيرة فروة، ثم احتلال قصر بوكماش[35].

أما عن خسائر المجاهدين، فقد أوضح الجنرال غاريونى فى تقريره الذى أرسله إلى روما حول المعركة، والذى يصف فيه المعركة، بأنها كانت قاسية، وأن خسائر المجاهدين فيها كانت كبيرة بلغت حوالى «400 شهيد» كان من بينهم ضباط أتراك صُرِعوا فى المعركة مع خيولهم[36].

ويتضح من ذلك أن الضباط كانوا موجودين بين المجاهدين، غير أن عدد الشهداء كان مبالغاً فيه إلى حد ما حسب اعتقادى، من حيث تجمعات المجاهدين المحدودة، وربما كانت خسائرهم كبيرة، لكن لم تصل إلى هذا العدد المرقوم أعلاه. استناداً إلى أقوال بعض المجاهدين، ممن شاركوا فى خوض هذه المعركة[37].

وأن خسائر المجاهدين كانت ترتفع بسبب تحركهم السريع أثناء المعركة، مما يجعلهم فى متناول القناصة الايطاليين، وقذائف مدفعيتهم، إذ إن المنطقة التى جرت بها أحداث المعركة كانت مكشوفة، وأن المجاهدين لم يتحصنوا فى خنادقهم، إضافة إلى ذلك، أن القوات الايطالية عندما تراجعت إلى الوراء، وطاردتهم قوات المجاهدين كثّفت مدفعية الاسطول الايطالى من اطلاق قذائفها عليهم.

كما أن المجاهدين لا يملكون أسلحة ثقيلة، تلك الأسلحة التى يملكها الجنود الايطاليون، كما هو معروف لدينا.

وعلى كل حال فإن خسائر قوات المجاهدين فى هذه المعركة تصل إلى 250 مئتين وخمسين شهيداً. وأن نتائجها لم تكن مؤثرة حيث أن تراجع القوتين فى النهاية أفضى الساحة التى جرت فيها المعركة دون تغيير يذكر.

إن التقارير العسكرية التركية، لم تتعرض لأحداث هذه المعركة، وهذا يرجع إلى عدة أسباب أهمها:

إن الايطاليين باغتوا المجاهدين، وجابهم من قصدوا من قوات المجاهدين بالتجمعات الغربية، وانتهت المعركة فى وقت قصير حسب اعتقادى. أو أنه لم يوجد منهم من يؤرخ لأحداث المعارك بالمنطقة فى البداية. على اعتبار أنها حدثت بعد أيام قليلة من قدوم المجاهدين إلى المنطقة وبمعنى آخر أنه لم توضع ترتيبات رسمية مسبقة لخوضها بمفاجأة القوات الايطالية وهذا الاعتقاد اقرب إلى الواقع لتصدى المجاهدين للقوات الايطالية التى هاجمتهم بطريقة مفاجئة وانتهت بعد فترة قصيرة.

3 ـ معركة بونومه(*):

موقع المعركة كان على مقربة من الحدود التونسية الليبية جنوب غرب بوكماش، حيث توجد بعض الروابى والكثبان الرملية، التى تغطيها أعشاب الاستبس الطبيعية والأشواك، بين أطراف سبخة الملاحة الممتدة من الشرق إلى الغرب وقد جرت أحداث هذه المعركة فى 21 من مايو 1912م.

خرجت القوات الايطالية فجر يوم المعركة من قصر بوكماش، عندما رصدت قافلة تموين قادمة من تونس إلى المجاهدين، عبر الطريق الثانى، فى محاولة للتصدى لها وأسرها.

(*) بونومة: تسمية أطلقت على هذه المعركة نسبة إلى الموقع، اطلقها المجاهدون بينما لا توجد فى المصادر الايطالية، إنما تعرف فى المراسلات العسكرية التركية بمعارك سيدى سعيد، باعتباره أشهر موقع كان معروفاً فى المنطقة.

ضمت هذه القوات (5) خمس كتائب من الجنود الايطاليين تصحبها (3) مدافع رشاشة، ومدفعا ميدان آخران، بالإضافة إلى عدد من الفرسان، كما استنفرت البوارج الحربية فى البحر، لقصف قوات المجاهدين إذا ما لزم الأمر[38].

بمجرد أن ضبط المجاهدون تحركات القوات الايطالية هذه تجاههم، استعدوا للتصدى لها، بقيادة المجاهد: محمد سوف المحمودي، حيث تحركت قوات المجاهدين إلى الغرب، باتجاه تحركات القوات الايطالية. إن قوات المجاهدين كانت تضم الفرسان والمشاة، انتشرت فى مساحة واسعة تصل إلى كيلو مترين من الشرق إلى الغرب، بقصد إظهار قوتهم، أمام القوات الايطالية، ومنعها من التعرض للقافلة المشار إليها أعلاه[39].

بدأت المعركة بين الطرفين قرب الملاحة، حيث اصطدمت قوات المجاهدين بمقدِّمة القوات الايطالية من المشاة فى المكان المشار إليه سلفاً، صباح ذلك اليوم، واستمر الاشتباك متواصلاً حتى المساء، وقد تحركت نجدة من الفرسان لمساندة المجاهدين من المعسكرات الوطنية الأخرى المجاورة لتشارك فى هذه المعركة، الأمر الذى مكّن المجاهدين من الصمود برغم كثرة عدد مقاتلى القوات الايطالية.

وقد تراجعت القوات الايطالية لتتجمع من جديد، وتعيد الكرة، وفعلت ما أرادت أن تفعله، فتصدى لها المجاهدون مرة أخرى بشدة متناهية، فى قتال ضارٍ، بعد منتصف النهار، الأمر الذى اضطر القائد الايطالى «غاريونى» إلى الدفع بالدعم الاحتياطى من المقاتلين والمدفعية الجبلية، مما أرغم قوات المجاهدين على التراجع، بسبب كثافة نيران المدفعية الايطالية تجاههم، كما حادت القافلة المقصودة عن طريقها إلى الجنوب أيضاً، وسلِمت من كيد العدو الذى حاول أسْرها.

اعادت القوات الوطنية الكرة على ألقوات الايطالية، بتنادى المجاهدين من المعسكرات المجاورة عند المساء، واشتدت المعركة، حيث قدمت نجدات

من مقر القيادة ببلدة زلطن، ومن مركز تجمع سيدى سعيد، مكونة من فرسان ومشاة، وحاول القائد الايطالى قصفها بالمدفعية الجبلية والميدان ليعيق تقدمها، ويعرقل إمكانية مساهمتها فى المعركة، وبرغم ذلك فقد هاجمت القوات الايطالية، وأدت دورها كما يجب، فتراجعت القوات الايطالية عندما اشتد وطيس المعركة إلى الشمال لتحتمى بمدفعيتها الموجودة على السفن الحربية البعيدة المدى، فطاردتها قوات المجاهدين حتى هناك، ثم رجعت هى الأخرى إلى معسكراتها فى الجنوب والشرق.

أسفرت نتائج هذه المعركة عن خسائر عدة بين الطرفين، عن الجانب الايطالى جرح(19) تسعة عشر جندياً كان من بينهم ضابطان، وقتل جندى واحد، وأصيب(7)سبعة جنود أريتريين بجروح[40].

أمّا من الجانب الوطنى فقد استشهد 8 ثمانية مجاهدين وجرح حوالى 21 إحدى وعشرون آخرون[41].

وتفيد هذه المعركة، أن معنويات المجاهدين كانت مرتفعة، بتصديهم للقوات الايطالية، وتمكنهم من المحافظة على ابقاء طريق القوافل والإمداد مفتوحاً، ثم انجاح حماية القافلة، التى كانت مستهدفة من القوات الايطالية هذه.

ازداد قادة الحملة الايطالية قلقاً، من فشل خططهم إلى التوغل تجاه الدواخل، وعدم تمكنهم من تحقيق أى هدف يذكر. وذلك عندما اتضح لهم أن السيطرة على أى منطقة لم يكن سهلاً، برغم كل المحاولات وتعدد الجبهات، التى فتحت على طول الساحل الليبى من الشرق إلى الغرب، إذ أن جبهة بوكماش تعتبر السادسة من نوعها بعد (طرابلس والخمس، وبنغازى ودرنه، وطبرق).

لقد أرادت القيادة الايطالية بفتحها لهذه الجبهات تشتيت جهود قوات المجاهدين، والسيطرة على حركة المقاومة الوطنية ومحاصرتها من جهة البر والبحر، حتى لا تتركز فى مكان واحد، أو أكثر، وتشكل بالتالى خطراً عليها،

ولم تترك القيادة الايطالية لهذا الغرض مكاناً مناسباً إلا أنزلت به قوات، إذ تم الاستمرار فى ذلك فى خليج بومبه بين طبرق ثم احتلال قصر أحمد بمصراته[42].

إن معركة (بونومه) هذه تعتبر من المعارك الهامة فى المنطقة لفشل القوات الايطالية فى السيطرة على الجانب الغربى من خطوط دفاع المجاهدين ولصمود المجاهدين أنفسهم أمام تحدياتها، للتوغل تجاه الجنوب، كما اتضح، وكبح جماح طموحها فى أسر القافلة التى شوهدت قادمة إلى المجاهدين تحمل مؤناً ومعدات عسكرية جلبتها من جهة تونس.

لقد نوَّهت التقارير العسكرية الايطالية، ببسالة الجنود الايطاليين، بأنهم حاربوا خارج خنادقهم، وضد عدو «يقصد المجاهدين» يفوقهم عدداً ويبدى مقاومة عنيفة متحصِّناً بخنادقه، ونتساءل... أين العدد والعدة؟، وأين التحصينات، التى كانت لدى المجاهدين؟ أمام تلك الكتائب، التى أرسلت من قبل الايطاليين إلى ميدان المعركة، إضافة إلى المدفعية، فهي كافية أن تحمى القوات الايطالية، فما كان لدى قوات المجاهدين، لايساوى إلا القليل، بالنسبة لما كان لدى القوات الايطالية، غير أن استماتة المجاهدين فى القتال هى الوسيلة الأساسية التى جعلت التقارير العسكرية الايطالية هذه تشعر بمدى صمود المجاهدين وتفانيهم فى القتال، وارتفاع معنوياتهم، فى نفس الوقت يمتدح الجنود الايطاليين بأنهم قاوموا قوات المجاهدين[43].

وقد وصف الشاعر الشعبى المعركة بأنها عظيمة أيضاً، وبقيادة محمد سوف المحمودى[*1] فقال:

جا ظاهر قدى بونومه[*2] يلقى المحلة جاملة متمومه

(*1) يقصد القوات الإيطالية التى تقدمت باتجاه بونومة

(*2) نقلت هذه الأبيات عن المجاهد المرحوم محمد سالم كاموكه، من شريط رقم 1/51، وقد وردت على لسان الكثيرين، ممن تمت مقابلتهم بالمنطقة الغربية، والمقصود منها، خروج القوات الايطالية تجاه بونومة، وتصدى المجاهدين لهم هناك.

فيهـا محمـد سـوف حـده غـوفـه يـقود المحلة بنـواشـينـه[*3]
راكـب ضـائـله مـكـرومـه[*4] كمش[*5] فج[*6] جـاغـربـيـنـا

لقد وردت رسالة من الأمير على نجل المناضل الأمير عبد القادر الجزايرى الذى كان يقاتل إلى جانب المجاهدين ببوكماش وسيدى سعيد. إلى صحيفة «لايدش تونسيان (le depeche Tunisien)تضمنت ما يلى: «يشرفنى جداً، أن أزودكم بأخبار القتال الذى دار يوم 20 مايو[*7]، بالغرب من بوكماش،

لقد زحف الايطاليون فى أعداد كبيرة تناهز الخمسة آلاف مقاتل بين فرسان برسيلليري «رماة» ومشاة، وكانوا يشكّلون عدة طوابير، ويهدفون إلى قطع طريق القوافل الشعبية، وعندما تقدموا مسافة 1،600 كيلو متر تقريباً، هاجمهم الاتراك والعرب بشجاعة نادرة وبرغم مساندة المدفعية الثقيلة والمدفعية الرشاشة، ونيران الاسطول للقوات الايطالية، فقد صدَّت حتى البحر، وأنزلت بها إصابات فى الأرواح تقدر بمئة وخمسة وثلاثين (135) قتيلاً وارب-مائة (400) جريح، وكانت معركة حامية الوطيس، وكان قتالاً عنيفاً، استمر من الساعة الواحدة ظهراً إلى الساعة السابعة مساء.

أما خسائر العرب والاتراك فقد بلغت خمسين جريحاً، وحوالى(15)خمسة عشر قتيلاً، وقد غنم العرب فى ميدان المعركة كمية من الذخيرة (الخرطوش) والفؤوس والعتاد والمعدات الأخرى، ومئات من الخوذات، واسترجعوا خنادقهم، وتحصّنوا فيها بشكل رائع جدّاً وقد وصلتهم نجدة مؤلّفة من ألف

(*3) نواشينه: يقصد الشاعر بها، النياشين التى كان يلبسها.
(*4) ضائله مكرومه: يقصد الشاعر بها الفرس التى كان يمتطيها محمد سوف المحمودى.
(*5) كمش: مسك.
(*6) فج: الفراغ الواقع فى خطوط الدفاع الغربية.
(*7) 20 مايو: هذا التاريخ الذى حدده، لكن التقارير العسكرية الايطالية تقول إن أحداث المعركة جرت يوم 21 وأعتقد أن التاريخ الثانى هو الصحيح لعدة اعتبارات أهمها أن الرسالة وصلت متأخرة وأن التاريخ لم يكن مؤكداً لدى الامير على.

فارس لمواجهة أى هجوم جديد من الايطاليين، لقد شاهدت كل ما سبق ذكرهُ بأم عينى»[44].

«توقيع الأمير على نجل عبد القادر الجزايرى»

لقد علقت الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا على هذه الرسالة بأنها غير صحيحة البتة بشأن ما ورد فيها، من حيث عدد الجنود الايطاليين الخمسة آلاف، بأنه عدد كبير. وأن عدد الاتراك والعرب كان كبيراً، وقد هزموا ولاذوا بالفرار، وتكبدوا خسائر فادحة، وأن قتلاهم جندى واحد وجرحاهم 26 مقاتلاً بينما أرى أن ما قيل فى هذه الرسالة من قبل الايطاليين، يعتبر تغطية إعلامية لما أوضحت من خسائر بالنسبة لقواتهم، إذ ان خسائرهم ذكرت قبل ذلك وكانت أكثر مما أوضحوا.

صحيح أن الأمير على بالغ بالقول فى الخسائر، ولكنها لم تكن أقل بكثير مما أوضح، وأن تراجع القوات الايطالية، كان مؤكداً، ومشاركة القوات بالشكل الذى طرح قد تم فعلاً غير أنها تراجعت، بعد أن هزمت، الأمر الذى جعلها تعيد الكرة فى اليوم الثالث على المجاهدين.

معركة الملاحة: لما هزمت القوات الايطالية فى المعركة السابقة، ورجعت دون أن تحقق أهدافها بأسر قافلة التموين التى كانت، راجعة من تونس، كما سبقت الإشارة إليها، عمدت إلى التحرك مرة أخرى تجاه الجنوب يوم 7 من جمادى الآخرة 1330هـ الموافق 23 من مايو 1912م بقصد التحكّم الفعلى فى طريق قوافل التموين الثانى.

لقد وضع القائد غاريونى خطة جديدة لهذا التحرك، هدفت إلى ارسال عدة مجموعات من قواته فى اتجاهات متلاحقة لتساند بعضها البعض على النحو التالى:

(*) هذه الرسالة نشرتها الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا بتاريخ 31 مايو 1912م ص 3137 ـ 3138.

1 ـ تحركت المجموعة الأولى لتتمركز ما بين سبخة بـوكماش وسبخـة البريقة جنوب قصر بوكـماش، لايقاف النجـدات، التى يمكن أن تصل إلى المجاهدين من الشرق، وتضم هذه مشاة ومدفعية .

2 ـ تقدمت المجموعة الثانية من القوات الخفيفـة إلى مسافـة 8 كيلو مترات باتجاه الجنوب، ثم لحقت بها مفرزة أخرى أقل منها لاستطلاع طريق القوافل الثانية.

3 ـ تقدمت مجموعة ثالثة من القوات الايطالية، تضم كتيبتين من لواء القنـاصـة، وسريـة مـدفعيـة سريعـة الـطلقـات، بقيـاذة الجنـرال إليـاردى (ELIARDI) من جزيرة فروة بالشرق، بـاتجاه قـوات المجاهـدين المتمركـزة بسيدى سعيد، وقد هدفت من تحركها هذا تعطيل القوات الوطنية هذه، عن المشاركة فى صد القوات الأولى التى تقدمت نحو الجنوب.

أما استراتيجية قوات المجـاهدين، فقـد تمثّلت فى التصدى لمجمـوعة القوات الأولى التى تحركت فى البـداية بـين المستنقعات، فتعـرضت لقصف مدفعى مكثَّف من قبل هذه القوات، حيث نشبت بينهما معركة عنيفة، دامت عدة ساعات هناك، كما تصدت القوات الوطنية المرابطة بسيدى سعيد بدورها للقوات التى قامت بمهاجمتها من جزيرة فروة، خارج خنادقها مسافة(4)أربعة كيلو مترات، واستمر الاشتباك بينها متواصلاً حتى منتصف النهار.

أما المجموعة الثانية من القوات الايطالية، فقد توغّلت باتجاه الجنوب حتى وصلت الى طريق القوافل الثانية، حسبما خطط لها فى البداية، فوجدتها خالية من أى أثر لحركة القوافل، ثم رجعت إلى الشمال دون هدف[45].

وبالرغم من التحركات الايطالية هـذه، فإنها لم تسجّـل أى تطورات تذكر، كما أنه لم تحدث خسائر بين الطرفين، حيث انتهت المعركة بـتراجع القوتين إلى مواقعهما السابقة عند المساء.

وفشلت هذه المحاولة الايطالية فى التصدى لقوافل التموين التى كانت تهدف إلى الاستيلاء عليها[*9].

معركة يوم الجمعة بطويلة غزالة: 14 من جمادى الآخرة الموافق 30 من مايو 1912م.

عرفت هذه المعركة لدى المجاهدين بطويلة غزالة نسبة إلى الموقع المعروف لديهم بهذا الاسم، وعرفت لدى التقارير العسكرية الايطالية بمعركة 30 مايو، بينما عرفت لدى التقارير العسكرية التركية بيوم الجمعة نسبة إلى اليوم الذى جرت فيه أحداثها.

حدث أن كانت قافلة تموين عائدة من تونس باتجاه زلطن، حيث مقر قيادة المجاهدين هناك. وكانت محملة بالمؤن، والعتاد، عمدت القيادة الايطالية إلى اعتراض هذه القافلة، فشكلت لذلك قوة ضاربة تتكون من عدة كتائب وقطع مدفعية جبلية، ومدفعية ميدان حسبما ورد فى التقارير العسكرية الايطالية[46].

بدأت حركة القوات الايطالية هذه من قصر بوكماش، وجزيرة فروة حيث تحركت المجموعة الأولى، من القصر نفسه منذ الساعة الخامسة من صباح 30 مايو نفسه بهدف وضع كمين للقافلة المعنية بالذكر.

لّما كانت قوات المجاهدين منتشرة، فى منطقة شاسعة حول بوكماش تنتظر أى تحرك من القوات الايطالية، لذلك تحركت المجموعة الثانية من القوات الايطالية من الجانب الشرقى من الجزيرة تجاه سيدى سعيد لتمنع قوات المجاهدين المتمركزة هناك، من المشاركة فى صد القوات الأولى التى تقدمت باتجاه الجنوب، كما جرت العادة فى المعارك السابقة.

استعدت قوات المجاهدين هى الأخرى، عندما علمت بتحركات

(*9) وصف الشاعر الشعبى هذه المعركة بقصيدة شعر شعبى توجد فى الملحق تحت رقم «11».

القوات الايطالية هذه، فى الوقت المناسب، حيث تمركزت مجموعة من القوات بظهرة (خليفه بن سالم)(*10) وأعدت خنادق واستحكامات للمواجهة، حتى تتمكن من التصدى للقوات الايطالية، التى يمكن أن تتوجه إلى هناك، وربما تشكل خطراً على بقية مواقع المجاهدين الأخرى.

تحركت القوات الايطالية فى اربع كتائب صوب الموقع المعنى بالذكر على أرض مكشوفة، حتى اصطدمت بقوات المجاهدين، وبدأت المعركة واشتد وطيسها قرب بلدة زلطن، حيث تحركت مجموعة من فرسان المجاهدين من سيدى سعيد لنجدة إخوانهم هناك. وقد ساهموا بقدومهم هذا مساهمة فعَّالة فى صد القوات الايطالية، برغم الخسائر التى لحقت بهم، وبخيولهم، إذ أنهم تركوها عندما اشتدت المعركة بسبب كثافة نيران المدفعية، واحتموا بالروابى والكثبان الرملية والشجيرات البرّية، التى كانت تغطى تلك المنطقة، بدلاً من الهجوم على خيولهم. وقد أحسنوا بذلك صنعاً لتفادى القصف دون جدوى، حيث أن حركتهم بخيولهم أمام الرماة أكثر عرضة للإصابة بخلاف الاحتماء بالروابى أو الحواجز.

كما اشتركت فى الوقت نفسه السفن الحربية الايطالية، بقصف قوات المجاهدين ومواقعهم القريبة من البحر بسيدى سعيد، بِقَصْد التمويه، وشغل المجاهدين المتمركزين هناك من المشاركة فى المعركة الأساسية جنوب بوكماش فى الجنوب الغربى من مواقعهم هذه إذ ان تحرك القوات الايطالية إلى الجنوب كان الهدف منه أسر القافلة العائدة من تونس، غير أن قوات المجاهدين، فطنت لذلك فى الوقت المناسب، وأسرعت لنجدة المواقع القريبة من هدف التحرك الايطالى، برغم القصف المدفعى الكثيف، وذلك بتحرك قوات الفرسان، التى تتكون من(250)مئتين وخمسين فارساً، من بين مجاهدى الزاوية وزوارة وصرمان وممن كان هناك من فرسان المجاهدين، من بقية القبائل

(*10)ظهرة خليفه بن سالم: موقع نسب إلى أحد المواطنين بين بوكماش وسيدى سعيد وهى عبارة: عن ربوة عالية بعض الشىء وقريبة من البحر اتخذها المجاهدون ساتراً فى تصديهم بهذه المعركة للقوات الايطالية.

الأخرى، واتجهت هذه القوات جنوباً صوب بونومة جنوب غرب بوكماش سالكة ممرات منخفضة بين الكثبان الرملية، تصدت لطرد القوات الايطالية التى تحركت نحو الجنوب قبل ذلك.

إن القوات الوطنية هذه مرّت بسبخة الملاحة، وقوبلت بقصف مدفعى كثيف، من قبل مدفعية العدو المصاحبة للكتائب الأولى، كما شاركت فى التحرك الوطنى هذه قوات من المشاة من بين قبائل الزاوية وزوارة وصرمان، وبقية القبائل التى كانت متواجدة هناك. وذلك عندما قامت بالهجوم على ميسرة القوات الايطالية، وقد جرت بينهما معركة كبيرة اضطرت اثرها القوات الايطالية إلى التراجع والانسحاب تجاه قصر بوكماش، بعد أن تكبّدت خسائر جمة فى الأرواح والمعدات العسكرية، بلغت 40 قتيلاً و 80 جريحاً[47].

ولم تتمكن القيادة الايطالية من تحقيق أهدافها المرجوة فى الإستيلاء على القافلة، أو البقاء فى الطريق الثانى للقوافل، برغم ما دفعت من قوات لتنفيذ هذا المخطط، إذ ان القافلة بمجرد أن شعر أصحابها بتحرك القوات الايطالية تجاههم. ابتعدوا بها نحو الجنوب تاركين الطريق، التى نصبت فيها الكمين، فى الوقت نفسه عطّلت قوات المجاهدين المتمركزة فى الشمال تحرك القوات الايطالية هذه لمطاردة القافلة، عندما حادت بعيداً عن موقع هذه القوات.

أما خسائر المجاهدين، فقد بلغت 75 شهيداً و 80 ثمانين جريحاً واسترجعت مواقعها التى زحفت عليها القوات الايطالية فى البداية، حيث ظهرة (خليفه بن سالم) ولم يتأثر خط دفاعها من هذا التحرك[48].

معركة بوكماش الثالثة: توالت طلعات القوات الايطالية باتجاه الجنوب بهدف السيطرة على إحدى القوافل التى كانت تمر من الطريق الثانى لها، وكان آخر هذه التحركات يوم 31 من مايو 1912م.

بدأت حركة القوات الايطالية فجر اليوم المعنى، من بوكماش تجاه الجنوب كما هى العادة، وبمجرد أن شعرت القيادة الوطنية بالمنطقة، بهذه التحركات الايطالية، قامت بتقسيم قوات المجاهدين إلى أربع مجموعات،

وتوزيعها فى مسافة طويلة من خطوط الدفاع المقابلة للقوات الايطالية، واستعدت فيها للمواجهة، حتى خرجت عليها القوات الايطالية الغازية، واشتبكت مع إحدى هذه المجموعات، ثم هبت بقية القوات لنجدتها. وحاولت بذلك وضع القوات الايطالية المتقدمة فى كماشة، الأمر الذى جعلها تتراجع إلى الوراء، فطاردتها قوات المجاهدين، إلى أن وصلت إلى موقع (قطعاية النعجة)(*11) غرب قصر بوكماش، حيث بدأت القوات الايطالية بقصف قوات المجاهدين هذه لذلك عادت إلى مواقعها التى انطلقت منها أول الأمر تحاشياً لأضرار القصف المدفعى، وانتهت المعركة دون أن تسجل أية أضرار تذكر بين الطرفين. غير أن صحيفة البيان تعرضت لهذه المعركة، بأن ذكرت، أن اليوزباشى محمود بك اكرم(*12) نجل (رجب باشا)(*13) قاد مجموعة من المجاهدين، وتصدى لعدة مئات من الايطاليين ثم «أحاطوهم من كل جانب وسدوا فى وجوههم المسالك، حتى حصروهم بين نارين...»(49).

ويتفق أحد المجاهدين ممن شاركوا فى هذه المعركة، حول هذه النقطة، مع ما طرح بالقول «فى تقسيم المجاهدين أنفسهم إلى مجموعات» غير أنه لم يذكر تاريخ المعركة هذه، وتابع تقرير الصحيفة «ثم أفنوهم على بكرة أبيهم» وهذا لم يرد فى بقية التقارير، وقد بالغت فى ذلك الصحيفة، حيث أننا لم نعثر على أى تقرير يذكر أية خسائر حسبما اتضح. ماعدا ذكر الاشتباك، والعودة للقوات الايطالية. ثم عودة قوات المجاهدين إلى الوراء كما ذكر.

وعلى كل حال فإن تطلعات القيادة الايطالية فى المنطقة بالسيطرة على طرق القوافل والامداد فى الجنوب لم تتحقق، وإن تحركاتها هذه لم تشكل

(*11) قطعاية النعجة: موقع سمى بهذا الاسم غرب قصر بوكماش.

(*12) محمود بك اكرم: أحد الضباط الاتراك الذين كانوا بين قوات المجاهدين بالمنطقة، وربما قاد إحدى المجموعات فى هذه المعركة وهو نجل رجب باشا.

(*13) رجب باشا الذى كان واليا على طرابلس من قبل تركيا (1906 ـ 1908) وكان قد وقف ضد التدخل الايطالى السلمى فى شئون البلاد حينذاك وعندما قامت ثورة الاتحاد والترقى بتركيا عزلته وجىء بأحمد فوزى بدلاً منه.

خطراً على حركة الامداد التى كان للمجاهدين من جهـة (بن قردان). إذ استمرت القوافل تروح إلى الحدود التونسية الليبية وتعود محملة بما تجده من مؤن ومعدات عسكرية بطريقة منتظمـة عبر الـطريق الثانى، وإذا مـا شعر أصحابها بأى تهديد من قبل القوات الايطالية، فإنهم يتركونها، ويلجأون إلى الجنوب، حتى تصل بأمان إلى المواقع الموجهة إليها. ويرى «بـريبا راسينتى (BRIBA RASENTI) فى قيادة الحملة الايطالية على بـوكماش بـأن (تنظيم الإستطلاعات والهجمات فى مناطق غير واضحة، ولا معروفة ضـد عدو لا يمكن الاجهاز عليه، لايستقر فى مكان واحد، ونادراً ما يصد دون قصد فى المواقع التى يصل إليها. . .)[50] من الصعب عليها تحقيق أهدافها بنجاح.

وعليه لم تستطع قيادة القوات الايطالية هذه، وضع قـوات فى طريق القوافل الثانى تستقر بعيداً عن نطاق القصف المدفعى من السفن البحرية، لتقف حائلاً دون تسرب الإمداد، برغم التحركات التى قامت بها، ووصلت فى بعضها إلى مسافة عشر كيلو مترات باتجاه الجنوب خلال شهرى ابريـل ومايو.

ويبرر القائد غاريونى فشله فى محاولاته هذه «بأن المنطقة مجدبة تماماً، والتحرك فيها كان صعباً لامتداد السبخ الملحـة»[51] لذلـك لجأت القـوات الايطالية إلى الاحتماء وراء نطاق القصف المدفعى، ولم تستطع أن تصد قوات المجاهدين، وتمنعها من التمركز خارج نطاق القصف المدفعى هذا.

ويتّضح من طرح المعطيات السابقة أن شدة تصدى قوات المجاهدين هى التى أجبرت القوات الايطالية على العودة، وراء نطاق القصف المدفعى، لا كما يرى القائد غاريونى بـأنها لاتستطيـع التمركـز فى الأراضى المزحـوف عليها، بأنها ملحة وسبخ كما يشهد بريباراسينتى أيضاً.

وقد شكلت قوات المجاهدين بتمركزها حول بوكماش حصاراً للقوات الايطالية حول قصر بوكماش امتد من الشرق إلى الغرب مسافة 30 كيلو متراً

ابتداءاً من سيدى سعيد شرقاً وانتهاءً بالحدود الليبية التونسية غرباً، وأفشلت بذلك مخططات الحملة الايطالية الرامية إلى التوغل نحو الجنوب، الأمر الذى جعلها توجه اهتمامها فى النهاية إلى الشرق، وتترك المحاولات السابقة . . . وهو ما سيتضح فى الفصول اللاحقة.

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

منطقة المعارك بالحدود الغربية

شكل رقم (1)

هوامش الفصل الأول

(1) General Kurny Askaki, tarih ve states, kitat buskamliei esmanli Italianl Harbi 1911-1912 Ankara 1981p:

هذا الكتاب ترجم من المركز عن طريق محمد الاسطى، د/ على غزازى، وسيعرف بالتقارير العسكرية التركية اعتباراً من هذا الهامش.

(2) التقارير العسكرية التركية، ص:

(3) فون غريفنتش، الحرب الليبية الايطالية، تعريب عماد الدين غانم، لا زال مخطوطاً ص3 ص51.

(4) فون غريفنتش، المصدر السابق، ص 76،

(5) عقيل محمد البربار. تقرير القنصل الأمريكى Rod بطرابلس عام 1911، مجلة الشهيد، العدد الخامس، منشورات مركز جهاد الليبين لعام 1984م ص 201

(6) عبد القادر بوهادى، مقابلة على شريط رقم 23/1 ثم عمر على الطرابلسى مقابلة على شريط رقم 2/1

(7) مقابلة سالم موسى الحران رقم 81/1

(8) خليفه محمدالتليسي، معجم معارك الجهاد فى ليبيا 1911 ـ 1931، بيروت دار الثقافة ط1 ـ 1972م، ص: 304 ثم غرينفتش ج3 ص: 52

(9) مصطفى حامد رحومة. المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الايطالى 1911م ـ 1912م، رسالة ماجستير، تحت الطبع، ص 293 ـ 294 من المخطوط.

(10) مملكة ايطاليا. الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا. بتاريخ 15/4/1912م، ص 2241 وستعرف فى الهوامش اللاحقة: الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا.

(11) تقرير أرسله الجنرال غاريونى إلى ايطاليا يذكر فيه طريقة تنفيذ عملية احتلال جزيرة فروة وبوكماش. مثبت بالجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا. بتاريخ 16/4/1912 ص 2255 ثم فون غريفنتش ص 77 ـ 78.

(12) خليفه محمد التليسي ص: 304 ثم محمد يوسف بوسهمين، 65/1

(13) محمد يوسف بوسهمين، مقابلة 3 شريط رقم 65/1

(14) ذلك ما قاله بوسهمين المعنى بالذكر مثبت بشريط رقم 65/1

(15) محمد يوسف بوسهمين 85/1

(16) على أحمد زايد مقابلة على شريط 31/1.

(17) التقارير العسكرية التركية، ص 30 من المخطوط المترجم.
(18) خليفه عمر مقابعه رقم 1/30.
(19) سالم موسى الحران 1/83 قصيدة تداولها المجاهدون حينذاك.
(20) رسالة من ساحة القتال. تصف حركة المقاومة الوطنية هناك، صحيفة البيان العدد 72 بتاريخ 18 يونيو 1912م.
(21) عبدالله الجمل، مقابلة على شريط رقم 1/62 ـ 1/63 ـ صبراته، على سبيل المثال.
(22) صحيفة البيان، رسالة اخذتها من صحيفة طنين التركية.
(23) التقارير العسكرية التركية، ص 30.
(24) سالم موسى الحران، أعد ورقة جمع فيها المشاركين من مجاهدى زوارة، لكن العدد الذى ذكره غير كاف كدليل لتجمع المجاهدين بالمنطقة.
(25) سالم موسى الحران، مقابلة على شريط رقم 1/83.
(26) خليفه زهيمة مقابلة على شريط رقم 1/74 الحميل. كما كشفت الرسائل التى بعثت من الجبهة على وجود هؤلاء الزعماء الوطنيين بالجبهة.
(27) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا ص 16 أبريل 1912، ص 2261.
(28) المرابط الهلاك ـ 1/13 ـ ثم على أحمد زايد 1/31.
(29) احمد خليفة زهيمة مقابلة على شريط 1/74 الجميل.
(30) التقارير العسكرية التركية. 1/31 ـ 32.
(31) مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى. شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف الجهاد برقية رقم 1128 بعث بها محمد فرحات الزاوى إلى القيادة الوطنية بالعزيزية بتاريخ 25 من ربيع الأول 1330هـ الموافق 13 ابريل 1912) ينوه فيها بانتصار المجاهدين، وعملية محاصرتهم للقوات الايطالية التى احتمت بالقصر.
(32) مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف الجهاد، برقية بعث بها سليمان البارونى تحمل توقيع نشأت بك من العزيزية تحت رقم 1282 بتاريخ 27 من ربيع الأول الموافق 15 ابريل 1912م يحرض فيها على استغلال الفرصة لنقل المزيد من المؤن إلى المجاهدين بزيادة عدد الإبل. مؤكداً على سلامة الطريق من القوات الايطالية الغازية. كما أكد ذلك، خليفه التّليسي فى كتابه معجم معارك الجهاد فى ليبيا. ص 305.
(33) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، بتاريخ 23 مايو 1912، ص 2581.
(34) فون غريفنتش، ج3 ص 87 ـ 88.
(35) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا 3 مايو 1912، ص 2581.
(36) يمكن الرجوع للتعرف أكثر على هذه المعركة إلى موضوع كتبه مصطفى حامد. مجلة الشعب المسلح، العدد 49 ص 23.
(37) على شلبى، مقابلة على شريط رقم 1/34 ومتابعة خليفه زهيمة على شريط رقم 1/80 على سبيل المثال.

(38) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا 22 مايو 1912م، ص 316 ـ 317.

(39) يمكن الرجوع فى ذلك إلى بحث نشر، بمجلة الشهيد العدد الثانى منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى لمصطفى حامد، ص 22/23.

(40) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا. تقرير حول المعركة بتاريخ 22 مايو 1912م ص 1929 من الأصل.

(41) مركز دراسة جهاد الليبيين شعبة الوثائق والمخطوطات/ ملف الجهاد، وثيقة رقم 162 تحمل برقية عممت على مراكز المقاومة الوطنية من قبل الرائد جمال، بتاريخ 22 مايو 1912م.

(42) للمزيد ارجع إلى الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا فى احتلال مصراتة 16 مايو 1912، ص 3462/ ثم إلى ـ مصطفى حامد ـ المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الايطالى 1911 ـ 1912 ـ ص 309 من المخطوط.

(43) مملكة ايطاليا الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا بتاريخ 25 مايو 1912م تقرير حول هذه المعركة أرسله الجنرال غاريونى إلى ايطاليا ينوه فيه ببسالة الجنود الايطاليين للرفع من معنويات الرأى العام الايطالى بإيطاليا، وكسب ثقة الايطاليين بذلك ص 3015 من الأصل.

(44) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، بتاريخ 31 مايو 1912م ص 3137 ـ 3138.

(45) تقرير حول المعركة أرسله الجنرال غاريونى إلى ايطاليا تضمن وصفاً كاملاً لتحركات القوات الايطالية فى هذه المعركة وأحداثها 25 مايو 1912ص 3015.

(46) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا ثم التقارير العسكرية التركية ص 31.

(47) التقارير العسكرية التركية، ص: 32 ـ 33.

(48) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا. بتاريخ 1 يونيو 1912 ص 3152.

(49) صحيفة البيان ورسالة من ساحة القتال بعث بها مراسل صحيفة طنين، ونشرت بصحيفة البيان هذه فى عددها 73 الصادر بتاريخ 18 يونيو 1912م.

(50) فون غريفنتش. الحرب الليبية الايطالية 35 ص 90.

(51) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا ص 3152 بتاريخ 1/6/ 1912.
ثم التقارير العسكرية التركية، ص 33.



الفصل الثاني

معركة سيدى سعيد
26 ـ 27 ـ 28 يونيو 1912م

الإعداد لها ـ أحداثها ـ مدى أثرها على حركة المقاومة الوطنية بالمنطقة ـ الظروف التى أثرت فى أحداثها.

لقد كان هدف القيادة الايطالية، من تحركاتها نحو الجنوب بعد احتلالها لقصر بوكماش، النفاذ وراء خطوط دفاع المجاهدين، ثم الخروج تجاه الغرب والجنوب الغربى، من جهة الحدود التونسية، والتوغل إلى الدواخل فيما بعد، ولّما لم تتمكن من ذلك، وجهت اهتمامها نحو الشرق بقصد احتلال مدينة (زوارة) التى كانت هدفاً رئيسياً منذ البداية.

لا يخفى أن الحكومة الايطالية قوبلت بانتقادات كثيرة فى حملتها على ليبيا، التى لم تتمكن من السيطرة عليها، أو تقضى على المقاومة الوطنية فيها، بالرغم من محاولاتها المتعددة، حتى بداية هذه المعركة، فى الوقت الذى كانت تترقب احتلال البلاد فى مدة قصيرة، واعتبرت حملتها هذه مجرد نزهة عسكرية، تتم فيها السيطرة خلال أيام محدودة، حتى أنها دعت عدداً من الصحفيين لمرافقة الحملة فى البداية، بقصد التنويه بهذه الانتصارات المرتقبة، غير أن المواجهة الوطنية، سفهت هذه التوقعات، منذ المعارك الأولى «الهانى شارع الشط حول طرابلس وجوليانة حول بنغازى، وكذلك المعارك التى جرت حول طبرق، ودرنه والخمس»، وإشتدت المقاومة الوطنية، الأمر الذى جعلها تضطرُّ إلى طرد عدد من الصحفيين، ولم تتمكن من السيطرة إلا على بعض المراكز الساحلية، لذلك كله بدأت فى تنفيذ استراتيجية جديدة، مفادها

احتلال المدن التى تقع على الساحل، من طبرق حتى بوكماش، فى الوقت الذى عجزت فيه عن التوغل باتجاه الدواخل، وعليه عدلت فى منطقة بوكماش عن المحاولات السابقة، واتجهت نحو الشرق بعد أن تحتل«سيدى سعيد» كما وجهت قوات أخرى من طرابلس إلى مصراته فى أول يونيو لاحتلالها وحركت قوات من طرابلس أيضاً نحو الغرب لاحتلال منطقة جنزور فى 8 من يونيو نفسه، ومن طبرق تحركت قوات لاحتلال خليج بومبة فى الغرب وذلك لتظهر نفسها أنها قادرة على مواصلة القتال على الأرض الليبية واحتلال كافة التراب الليبى أمام الدولة العثمانية، دون أن تضع حساباً لقوات المجاهدين المنتشرة على الساحة الليبية، التى لا يقودها إلى التضحية والفداء إلا حب الوطن والدين، ولم تفل عزيمتها القوات الايطالية مهما كانت، فقد تحسَّن وضعها على كل الجبهات التى تصدَّت فيها للقوات الايطالية، الأمر الذى جعل الحكومة الايطالية تشعر بالفشل بالقضاء على المقاومة الوطنية، وتوجِّه اهتمامها إلى الشرق، وبالذات إلى بحر إيجة لتحتل جزر الدوديكانيز التى كانت تابعة لتركيا وتهدد بالتالى الساحل التركى ومضيق الدردنيل على البحر المتوسط، إضافة إلى ذلك أن الحكومة الايطالية بدأت تحرِّض دول البلقان بالثورة على تركيا محاولة بذلك ارغام الساسة الاتراك على التفاوض معها لحل قضية ليبيا سلمياً. والغريب فى الموضوع هنا، أن تركيا لم تتحدّد الحكومة الايطالية أو تقطع معها العلاقات، أو تقوم بأى إجراء سياسى آخر بسبب غزوها للمدن الليبية، فيما سبق إلا بعد أن قامت ايطاليا نفسها، بغزو جزر الدوديكانيز وتهديد تركيا فى عقر دارها، فقامت بطرد 50 ألف ايطالى كانوا مقيمين على الأرض التركية وقررت رفع الضريبة الجمركية على السلع الايطالية التى ترد إلى تركيا بنسبة 100%، وأغفلت قبل ذلك تحديات ايطاليا فى ليبيا، وما قامت به من أعمال تعسفية ضد الليبيين[1].

لقد بدأ التململ والقلق يسودان نفوس الضباط والجنود الاتراك بجبهة القتال فى ليبيا، لتناقص الإمداد والمؤن إلى حد ما، وتدهور الأحوال الاقتصادية[2]، إذ بدأت رواتبهم تتأخر بسبب تواطؤ الدول الاوروبية الأخرى

بمساندتها للحكومة الايطاليـة، كتغاضى فـرنسا عن مـطاردة سفن الاسطوّل الايطالى للسفن التى كانت تحمل المساعدات من تركيا إلى المجاهدين وتفريغها قرب الحدود الليبية التونسية فى الغرب، ثم تنقل بطريق القوافل إلى مراكز تجمع المجاهدين قرب خطوط المواجهة الأماميـة، حول بـوكماش وطـرابلس والخمس، وقد أثَّرت هذه العملية فى حركة المجاهدين تأثيراً سلبياً إلى حد ما، إلا أنه لم يكن بدرجة كبيرة أضف إليه العجز المالى الذى أصاب الخزينة التركية، الأمر الذى جعلها تلجأ إلى الدول الكبرى للاقتراض[3].

وبالرغم من ذلك فقد استمرت المقاومة الوطنيـة على مـا هى عليه، وازداد تدفق المتطوعين على المشاركة فيها، من مناطق مختلفـة، يشدُّون أزر بعضهم البعض.

ونظراً لنشاط المجاهدين على طول الساحل الليبى فى تصديهم للقوات الايطالية، وبالأحرى فى منطقة بوكماش موضوع القصيد، وتمكنها من التصدى للقوات الايطالية، وحصرها فى مواقعها، التى احتلتها فى البداية تحت مظلة قصف مدفعية السفن الحربية، فقد دعا الجنرال غاريونى قائد القوات الايطالية بهذه المنطقة، إلى جلب المزيـد من الجنود والضبـاط والمعدات العسكـرية، لغرض تنفيذ المخطط الجديد الذى استهدف به الهجوم على سيدى سعيد، والتمهيد لاحتلال مدينة زوارة فيما بعد، ذلك الهدف الذى بعث من أجله إلى هذه المنطقة، وقد أكّد بعض التقارير على ذلك، بارتفاع عدد أفراد القوات الايطالية، فقد قال عنها بعض المجاهدين أنها وصلت إلى 45 ألفاً بين جندى وضابط[4]، غير أن هذا العدد مبالغ فيه إلى درجة كبيرة، وفى الحقيقة أن القـوات الايـطاليـة لم تتجـاوز 13 ألف مقـاتـل حسبـما ورد فى التقـاريـر الايطالية[5].

صحيح أن الحكومة الايطالية عززت قـواتها المـرابطة حـول بوكـماش وبجزيرة فروة، بعدد كبير من الجنود، وكميات هائلة من المعدات العسكرية، وذلك لتغطية عملية تحركها على طول الساحل المواجه لجزيرة فروة، والواقع

بين بوكماش فى الغرب (وظهارى ساسى)(*) فى الشرق حيث كان يواجه قوات المجاهدين من الجنوب، ولا بد من انتشار القوات فى المنطقة المشار إليها حتى تحمى مَيْمنَة القوات الايطالية هـذه. كما جهـزت السفن الحربيـة بمدفعيتهـا لتقصف مواقع قوات المجاهدين المتقدِّمة، إذا ما تصدَّت لتحركات القوات الايطالية هذه، وقد وضعت القيادة الايطالية أيضاً فى البحر عبّارات وقوارب صغيرة تحمل المقاتلين إلى البر، تحت حماية مدفعية السفن أثناء عملية الإنزال على الساحـل من قوات المجـاهدين أو التحـرك بمحاذاة السـاحل[6]. وقـد وضعت الترتيبات اللازمة لمواجهة التحركات الوطنية من أى جهة، بتقسيم القوات الايطالية إلى مجموعات تحمى بعضها البعض عند تحركها تجاه سيدى سعيد.

الاستعدادات الوطنية: اتضح مما سبق أن القوات الايطالية بدأت تعد العدة للهجوم على موقع سيدى سعيـد، وقد تـابعت القيادة الـوطنية هـذه الاستعدادات بحذر ودقة، وتأكّد لها أن الموقع المستهدف له أهمية كبيرة حيث كان مخيماً لجزء من قوات المجاهدين فى الشرق، ولعب دوراً هائلاً فى عرقلة القوات الايطالية عندما كانت تتحرك باتجاه الجنوب كما تبين سلفاً.

ولما كانت معظم قوات المجاهدين متمركزة إلى الجنوب من بوكماش، واهتمامها كان مركزاً هناك، اصبح عليها أن تغيّر وجهة اهتمامها نحو الشرق، لتواجه التحركات الايطالية الجديدة، وترابط حول موقع ضريح سيدى سعيد المستهدف من قبل القوات الايطالية، وحشد كافة الهمم لذلك، فتجـددت الدعوة إلى جلب المزيد من المتطوعين، وتوجيههم إلى المنطقة المعنية بالأمر، ونظراً لما شوهد من التدابير التى اتخذت من قبل القيادة الايطالية، وانتشار قواتها فى المنطقة المشار إليها آنفاً، فقد تأكَّد أكثر أن القوات الوطنية المتواجدة بالمنطقة لمواجهة مثل هذه الحشود التى دفعت بها القيادة الايطالية إلى المنطقة لا تكفى، لذلك أخذت تدابير احتياطية بدعوة المزيد من القوات من المناطق

(*) ظهارى ساسى: مجموعة روابى مرتفعة بعض الشيء تقع شرق قصر بوكماش وعلى مقربة من سيدى سعيد عرفت بهذا الاسم، ويمكن تحديدها على الخريطة شكل (2).

المجاورة، وقد شعر المجاهدون الليبيون بذلك، فاستجابوا لهذه الدعوة لخطورة العملية الجديدة وازداد عدد المتطوعين فعلاً سواء من زوارة عـلى اعتبار أن مدينتهم اصبحت أكثر عرضة للاحتلال، أو من الجبل الغربى، أو الزاوية، وصرمان أو العجيلات أو العلالقة أو سكان منطقة رقدلين والجميل وزلطن باعتبارهم من خط المواجهة الأمامية[7] وقد اثبتت التقارير العسكرية التركية بعض أعداد المشاركين فى هذه المعركة من بين الجموع المرابطة قبل ذلك فى المنطقة غـير أننا لم نعـثر على أسـماء بعض القبائـل التى لم ترد فى الجـدول اللاحق، والتى قيل عنها إنها شاركت فى هذه المعركة بالفعل.

جدول يبين عدد قوات المجاهدين التي شاركت بالمعركة*

القبيلة أو البلد	العدد	مجاهد	موقع المواجهة
1 زوارة	750	»	جنوب ضريح سيدى سعيد
2 الزاوية وصرمان	650	»	الظليلة
3 نالوت	300	»	خلف الزاوية والزنتان
4 النوائل	366	»	بونومة شرق طويلة غزالة
5 الصيعان	190	»	بونومة شرق طويلة غزالة
6 الرحيبات	60	»	بونومة شرق طويلة غزالة
7 العلالقة	329	»	بونومة شرق طويلة غزالة
8 العجيلات	320	»	بونومة شرق طويلة غزالة
9 الزنتان	60	»	
المجموع الكلى	3034	»	

(*) نقلاً عن التقارير العسكرية التركية

أما قوة الفرسان فقد بلغت 380 فارساً منهم 250 فارساً بقوا بسيدى سعيد، كما كانوا فى البداية بنفس الموقع، حيث كانوا يتحركون إلى الجنوب إذا ما دعت الضرورة ثم يعودون إلى مواقعهم الأولى. أما 90 فارساً فقد كانوا فى منطقة بونومه فى الجنوب والبقية ربما جاءت عندما تجدَّدت الدعوة للجهاد فى المنطقة كما اتضح.

غير أن أعداد قوات المجاهدين التى وردت بالجدول المعنون سلفاً، أقل مما تأكد أنهم حضروا وشاركوا فى هذه المعركة، حيث أن التقارير العسكرية التركية، غفلت عن ذكر عدد من أفراد القبائل التى شاركت فى المعركة مثل المجايرة والحوامد والرحيبات وترهونه والنواحى الأربعة، وبعض من غريان، وغيرها من القبائل، الأخرى ممن عرف أنها شاركت فعلاً فى المعركة، وذلك من خلال المقابلات وثبت أنها تعرضت لخسائر فى أفرادها بين جرحى وشهداء، وقد ذُكر بعض منها فى سيدى على أيضاً[8].

أما عن العدد الحقيقى فقد أوضحت التقارير العسكرية الايطالية أن قوَّات المجاهدين حوالى (4000 مقاتل) كما يؤكد على ذلك فون غريفنتش، بينما تذكر التقارير الامريكية أنها حوالى 6000 مقاتل تقريباً، واننى أرجح القول بأن عدد هذه القوات الوطنية ما بين 5000 ـ 6000 مقاتل» وذلك لقدوم أعداد هائلة من المجاهدين عندما استمرت المعركة لأكثر من يوم، إذ أن معظمهم كان من المنطقة نفسها التى جرت بها المعركة، ولم يتم تسجيلهم فى سجلات المرتبات التى كانت تعطى للمنخرطين فى سلك المقاومة بطريقة رسمية ومنظمة، وإن زاد هذا العدد أو نقص عما يعرف، فالأمر لا يثير التساؤل والحيرة بقدر ما يثيره مقارنته للقوات الايطالية البالغة 13 ألف مقاتل بمعداتهم العسكرية وأسلحتهم الحديثة بجانب التدريب العسكرى المنظّم والسفن الحربية، ومدفعية الميدان والمؤن والعتاد المتوفر لديهم مما يجلب بصفة مستمرة من ايطاليا على سفن شحن ضخمة.

ولو اتضح أن هذا العدد المعنى فى البداية صحيح فإن عدد القوات الايطالية يساوى بذلك 3 أمثال القوات الوطنية، وبرغم ذلك كله فقد

استمرت هذه المعركة 3 أيام متواصلة، وأثبت فيها المجاهدون جدارتهم ومدى صمودهم فى المعركة خلال فترة الأيام الثلاثة.

انتشرت قبيل بداية المعركة قوات المجاهدين حول الروابى، وتحت الشجيرات الصغيرة الموجودة هناك، والمعروفة «بالزيتاية» استعداداً لمواجهة القوات الايطالية على امتداد أربعة كيلو مترات من الشرق إلى الغرب، وأخذ المجاهدون يحفرون الخنادق فرادى وجماعات ليتحصنوا فيها، ويصدُّوا منها القوات الايطالية إذ كان يشترك أكثر من واحد فى حفرها، حيث يتفق أحياناً أربعة أو خمسة مجاهدين فى حفر خندق واحد عمقه إلى متر ونصف أحياناً، ليتمكنوا من إطلاق النار وهم بداخله واقفين دون أن يضبطهم الجنود الايطاليون، وإذا ما أفرغوا بنادقهم يجلسون بالتوالى فى الخندق نفسه لشحنها بالذخيرة مرة أخرى، ويعودون لمواصلة الإطلاق. وكان يغلب على سلاح المجاهدين بنادق (الماوزر) التى جاء بها الاتراك لهم، وكانت محل اعتزاز من قبل المجاهدين ولكثرة ما تحمل من طلقات وسرعة اطلاقها غير أن هذا السلاح فيه عيب أنه يترك كومة من الدخان فوق موقع الاطلاق، يمكّن العدو من ضبطه، وتوجيه القصف[9].

هذا وقد شمل انتشار المجاهدين فى منطقة شاسعة تحت قياداتهم الوطنية والتركية المنظمة توزع الأوامر العسكرية حسب الظروف والمتطلبات التى تفرضها المعركة، ومدى تقدُّم القوات الايطالية، بضرورة التصدى لها. برغم ما كانت تقوم به السفن الحربية الايطالية من قصف لتشتيت تجمعات المجاهدين هذه، وكلّما حفرت مجموعة جديدة أو تحولت أخرى من جهة الغرب حُدِّد لها موقف معين للمرابطة به، وقد استمرت هذه الاستعدادات حتى عشية 25 يونيو 1912، وهدفت القيادة الوطنية إلى ابقاء المجموعات كما هى عليه فى البداية دون تغييرها أو تفريقها، حتى إذا ما تراجعت إحداها أو تخاذلت تُعيّر من قريناتها، مما جعل هذه المجموعات تعمل بكل ما فى وسعها إلى النهاية، كى تمدح من بعضها، وتنال الثناء فيما بينها، لاقدامها ومدى تضامنها.

وقد لمست هذه الظاهرة من خلال تتبعنا لأحداث المعارك الأولى على طول الساحل ضد القوات الغازية، وربما تلمس بوضوح عند سرد أحداث هذه المعركة، وذلك فى اليوم الثانى منها، عندما تصدت إحدى المجموعات للقوات الايطالية المتقدمه نحوها وعز عليها، مغادرة مواقعها، حتى استشهد أكثر أفرادها بما فيهم قائد المجموعة نفسه.

بداية المعركة: حددت خطة المعركة من طرف القيادة الايطالية، وتقررت بدايتها فى صبيحة يوم 26 من يونيو 1912م، حيث تمركزت القوات الايطالية الغازية على طول الشاطىء الممتد بين بوكماش وسيدى سعيد، كما تنبهت قيادة القوات الوطنية إلى ذلك، ووضعت قواتها فى حالة تأهب كامل، حيث رابطت أمامها بالجنوب، وتم استنفار القوتين لخوض المعركة، وقد تأكد أن أحداث هذه المعركة استمرت 3 أيام متواصلة على النحو التالى:

اليوم الأول: فم الواد 26 يونيو 1912م

اليوم الثانى: الظليله 27 يونيو 1912م

اليوم الثالث: سيدي سعيد 28 يونيو 1912م.

وإذ تعددت أسماء مواقع المعركة هذه فإنها كانت متقاربة، بقدر تقارب أزمنتها على النحو الموضح أدناه.

فم الواد: وهو موقع قرب رأس جزيرة فروة الشرقى جرت أحداثه يوم الاربعاء فى الحادى عشر من رجب 1330هـ الموافق 26 من يونيو 1912م. حيث قامت القوات الايطالية بالتحرك من موقعين الأول من بوكماش باتجاه الشرق بقيادة العقيد كافاشوكى (Cavaciocckí) ويضم اللواء السادس وكتيبتى جنود القناصة (البرسيلليرى) رقم 27 ـ 28 من اللواء (11) تساندها الكتيبة السادسة من العساكر الأريتريين(*).

(*) العساكر الأريترية: قوات عسكرية من (اريتيريا) جلبتها الحكومة الايطالية من هناك لتساعد الجنود الايطاليين على الأرض الليبية فى شهر يناير 1912. أنظر الظاهر الزاوي: «جهاد الأبطال».

أما الموقع الثانى فقد تحركت منـه قوات اللواء لـوكيو(Lequio) وتضم فريقاً من جنود الفراتييرى من اللواء الخامس عشر والكتيبة (33) من لواء الرماة البرسيلليرى (11) والكتيبة السابقة من العساكر الاريترية، وهذا الموقع هو رأس مخابز فى الغرب من جزيرة فروة، وقد اتجهت شرقاً مع طول الجزيرة حتى وصلت على مقربة من ضريح سيدى سعيد، لتواجه قوات المجاهدين المتمركزة هناك وتمنعها من المشاركة فى صد القوات السابقة، التى خندقت أمام قوات المجاهدين المرابطة غرب هذا الموقع.

لقد بدأ تحرك هذه القوات فعلاً فجر يوم المعركة، عندما بدأت السفن الايطالية بقصف مـواقع المجـاهدين المتقـدمة بشـدة لتفسح المجـال للقوات الايطالية هذه، وتحتل بالتالي مواقعها عـلى اليابسـة. وبالـرغم من القصف الايطالى المكثف تصدت قوات المجاهدين للقوات الايطالية، تهلل وتكبر «الله أكبر الله أكبر» كالعادة فى معـظم المعارك، واشتبكت معهـا فى معركـة عند الظهر، وتواصل القتال محتدماً بموقع فم الواد هذا من الظهر حتى المساء، ولما كان موقع المعركة قريباً من البحر، فقد تضررت قوات المجاهدين من قصف مدفعية السفن المركز عليها، بالإضافة إلى تقدم القوات الايطالية البرى، إذ حوصرت مجموعة من المجاهـدين قوامهـا 350 مجاهـداً لتمسكها بمـواقعها، فارتفع عدد الشهداء بين أفرادها.

ويقول أحد المجاهدين «إنـه كانت تتقـدم نحوهم القـوارب الصغيرة والعوامات، الإيطالية من البحر محملة بالجنود وتترك بجانب ذلك قوات برية تتجه صوبهم من البر، وقد أرادت القيادة الايطالية بذلك القبض عليهم وهم أحياء، عندما يطوقهم الجنود من كل جانب، وما كان أمام هؤلاء المجاهدين إلا أمرين، الموت أو الإنتصـار فى النهايـة، إذا أحسنوا التصرف. وخـاصة عندما بدأت تقترب منهم القوات الإيطالية، لذلك قرر المجاهدون المحاصرون اتخاذ موقف موحّد، وهـو أن يصبوا نـيران بنادقهم عـلى القوات الايـطالية المتجهة نحوهم من البحر لأنها كانت أقرب إليهم من غيرها، واستعدُّوا لذلك استعداد رجل واحد، وانتظروا إشارة البدء للإطلاق دفعة واحدة، فى الوقت

المناسب عندما تقترب منهم العبّارات أكثر، ليتمكنوا من إصابة أكبر عدد، ولعلهم يتراجعون إلى الوراء، وينتهون إلى القوات البرية فقط، وقد استمرُّوا على هذه الحال، حتى أطلق أحد المدفعيين الاتراك كان خارج نطاق هـذا الحصار، بأمر من أحد قادة المجاهدين بالمنطقة، بعض القذائف على القوات الايطالية، التى كانت تقصدهم من البحر، فسقطت أول قذيفة من المدفعى بجانب أقرب قارب من موقع للمجاهدين المحاصرين، فارتفعت بذلك المياه على الجنود الايطاليين الذين كانوا بالقارب، من عسكر (بوريشة) فصاحوا فى بعضهم وقرروا العودة، واستمرّ المدفعى فى الإطـلاق على بقيـة القوات فى البحر والبر، حيث سقطت بقية قذائفه أمام القوات الايطالية المتحـركة من الغرب على اليابسة، فردتها عـلى أعقابهـا هى الأخرى، فصب المجـاهدون بدورهم النار كما اتفقوا أول الأمر، حتى انتهوا وفكوا الحصار الذى ضرب حولهم، وقد خرجوا منه بعد أن سقط منهم ما يقرب من (150) مئة وخمسين شهيداً.

لقد اشترك فى هذه المعركة عدد من حرس الحدود الليبية التونسية من بين التونسيين، تضامناً مع المجاهدين اللبيين فى مكافحة الاستعمار، وسقط منهم إثنان شهداء ورجع الباقون[11]، الأمر الذى يؤكد الأخوة العربية. وقد توقف القتال بين الطرفين عند حلول الـظلام، وانتهى كل لشـأنه وتسـوية أموره، استعداداً ليوم من الكفاح جديد، ولا شك فإن القـوات الايطاليـة المعتدية لها ما يكفيها من الإمكانيات من حيث العدد والعدة، إذ أنها تتقدم فى طوابير متراصة يمكن للمجاهدين أن يصيبوا منها أعداداً هائلة، ولكن ذلك لايؤثر فيها تأثيراً سلبياً واضحاً لإمكانية تعويض المفقود من الأسلحة والجنود والعتاد الحربى، ويتم ذلك بسرعة بخلاف قوات المجاهدين، حيث أنها قليلة العدد والعدة وتعويضها أقل للمفقودين فى ميدان المعركة، لهجوم المجاهدين دفعة واحدة، غير أن معنوياتهم كانت مرتفعة وشجـاعتهم فائقـة، وإيمانهم بـالنصر أو الاستشهاد هـو الشعار، الـذى كانـوا يحملونـه فى نفـوسهم ولا يساورهم فيه شك.

كما أن التراجع أقسى عليهم من الموت نفسه، حتى أن الأطباء المصاحبين لهم كانوا أحياناً يعيرون من يصاب من الخلف، ويقولون له إنك هارب وجبان، على اعتبار أن الإصابة كانت قد لحقت به وهو مولّى الأدبار، من ساحة المعركة، وربما ترك إخوته فى حالة صعبة، وتؤكد هذه الأمور على تعويد المجاهدين على الصبر فى ساحة الوغى، بجانب أنهم كانوا يجيدون ذلك ولا يحيدون عن هذا المبدأ مهما كلف الثمن.

2 ـ **معركة الظليلة**: عرف هذا الموقع لدى المجاهدين بمعركة الخصيم، ومعركة الظليلة وعرفته التقارير الايطالية بسيدى سعيد فقط، كما ذكرت أسماء أخرى مثل ظهارى ساسى، وقطعابة خليفة بن سالم، وهذه الأسماء تدل على مواقع معروفة حتى يومنا هذا بالمنطقة التى جرت بها المعركة وهى متقاربة، جرت بينها أحداث الكر والفر التى تخللت المعركة طيلة ذلك اليوم.

وقد جرت أحداثها يوم الخميس 12 من رجب 1330هـ الموافق 27 من يونيو 1912م بالمنطقة المعروفة بين بوكماش وسيدى سعيد وهو أقرب موقع إلى سيدى سعيد وحول موقع معركة اليوم الفايت بدأت القوات الايطالية بالهجوم عند الفجر، على ميسرة قوات المجاهدين حيث كانت جماعتا الزاوية ونالوت، وقد ورد عند الايطاليين حول هذا المعركة، أن جنودهم خرجوا من خنادقهم على حين غرة عند الفجر، وهاجموا قوات المجاهدين فى تحصيناتهم بسيدى سعيد، وقد تبجح هذا التقرير بشجاعة الجنود الايطاليين وهى عادة لمست فى كثير من التقارير الايطالية، موضحاً أن عدد قوات المجاهدين يربو على ستة آلاف مقاتل، تركوا خنادقهم فاستولى عليها الجنود الايطاليون، ويفيد أيضاً بأن خسائرهم كانت ثمانية عشر قتيلاً وجُرِحَ ضابطان(13).

ويؤكد هذا التقرير ما ورد فى التقارير العسكرية التركية حول المعركة بأن قوات المجاهدين قامت بهجوم مضاد على ظهرة ساسى وظهرة منصور، واستردتها من القوات الايطالية ليلاً بعدما استولت عليها أثناء النهار، حيث استقرت بها بعد أن طردت منها القوات الايطالية(14).

ويذكر المجاهدون فى رواياتهم أن القوات الايطالية قامت بالغارة عليهم عند الفجر وتتفق فى ذلك مع التقارير الايطالية، تريد الفتك بمجموعة الزاوية وصرمان بالظليلة بقصد كسر خط دفاع المجاهدين من هناك ويشهد الايطاليون أنفسهم بذلك كما اتضح، وقد تصدى المجاهدون من الزاوية ونالوت لهذه المحاولة أمام زحفهم، مما أوقع ضرراً كبيراً بينهم، حتى تنادت بقية قوات المجاهدين من بونومة وسيدى سعيد لنجدتهم[15].

وقد قصدت القيادة الايطالية من هذا الهجوم تطويق المجاهدين من جهة الغرب والجنوب، غير أن مجاهدى الزاوية صدوا هذا الهجوم بقيادة الشيخ عبد الرحمن العروسى[16] الذى قرر عدم مغادرة موقعه حتى الموت أو الانتصار، مشجعاً مجموعته على ذلك حتى استشهد، وكذلك فعل غلامه الذى كان برفقته، كما استشهد أكثر من اربعين مجاهداً من بين أفراد المجموعة نفسها اقتداءاً به وأفشل بذلك تقدم القوات الايطالية، حيث استمر هذا التصدى حتى المساء[17]. تخللته عمليات كر وفر عدة مرّات، من قبل المجاهدين بواسطة الفرسان وتمكنت قوات المجاهدين فى آخر النهار أن تضع القوات الايطالية فى كماشة، وذلك عندما ضيقت عليها الخناق فى هجومها من جهة الميمنة، حتى كادت تفتك بها، لولا تدخل السفن الحربية بقصف مكثف على قوات المجاهدين، مما مكن القوات الايطالية المحاصرة الخروج من نطاق الحصار الذى ضربه حولها المجاهدون، وقد وجدت خمسون جثة من الجنود الايطاليين متروكة فى ساحة المعركة لم تتمكن القوات الايطالية من نقلها واخفائها كما تعودت، فى المعارك الأخرى.

وقد وصف غريفنتش هذه المعركة بقوله «إلا أن العدو، ويقصد المجاهدين، لم يتراجع وأغلق الفجوات المرعبة التى أحدثها القصف، وخرج من خنادقه وتقدم إلى الأمام ونزل إلى السهل الرملى الكبير المكشوف وهو يطلق صراخاً مرعباً إنه عدو شجاع وشجاع إلى درجة الجنون». وفى تلك الأثناء نصب الاتراك وراء أحد الكثبان واحداً من مدافعهم واطلقوا مثلما فعلوا دائماً طلقات غير مباشرة مسدّدة جيداً ولكنها سقطت على مسافة قصيرة[18]... ولم

تتمكن القيـادة الايطاليـة من تحقيق أهدافهـا لصمود المجـاهدين، ووصفت المعركة بأنها من أعنف المعارك التى جرت بالمنطقة لكثرة ما قصف فيها من قنابل من السفن الايطالية، ومدفعية الميدان لقربها من البحر واصرار القوات الايطالية على احتلالها. ويتفق ما ذكر حول هذه المعركة من جانب التقارير العسكرية التركية[19] مع ما ذكره المجاهدون، بأن المعركة توقفت فى المساء بين المجاهدين، والقوات الإيطالية، وتمركزت القوات الإيطالية فى «ظهارى ساسى» حيث نصبوا خيامهم هناك وتراجع المجاهدون إلى معسكراتهم لإعداد وجبة العشاء.

وقد ذكرت التقارير العسكرية الايطالية أن القوات الايطالية بقيت فى المواقع التى استولت عليها فى نهاية المعركة، بينما تمكنت قوات المجاهدين من حماية القافلة وبقيت الأمور مشيرة إلى الخطر لبقاء القوات الايطالية قريباً من مواقع المجاهدين، بل وفى بعض منها، وتؤكّد التقارير الواردة حول المعركة، أن القوات الايطالية لأول مرّة تتمكن من البقاء خارج مـواقعها الحصينـة، حيث كانت فى السابق تخرج ثم تعود إلى حيث انطلقت أول الأمر، وعلى ذلك فقد شرعت القوات الايطالية منذ أن انتهت المعـركة وجـاء الليل فى تحصين المواقع التى احتلتها وذلك بنصب المدفعية الجبلية ومدفعية الميدان فى الخط الأمامى، لتكون جاهزة فى اليوم المقبل للاستعمال، وقصف مواقع قوات المجـاهدين الـواقعة قـرب سيدى سعيـد. فى ذلك الـوقت شعـرت قـوات المجاهدين بتحركات القوات الايطالية هذه، واستعدادها، فاستنفرت لمواجهة هذا الخطر الذى أصبح يهدِّدها مبـاشرة، حيث تنادى أعيـان المجاهـدين، وبدأوا يحرضون أتباعهم على العودة إلى مواقعهم.

ويصف المجـاهد سـالم الحران[20] تحـركات المجـاهـدين بقـولـه، إن المجاهدين عادوا جميعاً إلى مواقعهم فى تلك الليلة، حيث مسكوا جميعاً دون استثناء حراسات طيلة تلك الليلة، يترقبون تحركات القوات الايطالية بخلاف ما كان فى السابق، بأن تكلف مجموعة صغيرة لا يزيد عددها على مائة فارس

بالحراسة فى الليل، وذلك لحماية خنادق المجاهدين من الخارج(*). لقد اصبح بعد المعركة السابقة الدفاع عن العرين، وليس عن الخنادق والمواقع المتقدِّمة، حيث اقتربت القوات الايطالية من مخيمات المجاهدين الواقعة جنوب الضريح، فتحولت بذلك معظم قوات المجاهدين المرابطة جنوب بوكماش فى الغرب إلى هناك لتتصدى للقوات الايطالية المعادية، فى المنطقة الشرقية المعنية بالأمر، بعد أن اتضح للقيادة الوطنية تحديد اتجاه تحركها، لمواصلة الهجوم على معسكر المجاهدين حول سيدى سعيد، إذا لم تؤخذ الاستعدادات الكافية،

اليوم الثالث: معركة سيدى سعيد: دارت أحداث هذه المعركة حول ضريح الولى المعروف «بسيدى سعيد» حيث سميت المعركة باسمه.

لقد اتضح لدى قيادة المجاهدين من خلال تحركات القوات الايطالية، أنها تقدمت يوم أمس، واستقرت قريباً من مواقع المجاهدين، لذلك بقى المجاهدون فى حالة استنفار قصوى بخنادقهم طيلة الليل، فى مواجهة القوات الايطالية الرابضة على البر هناك، تحسُّباً لحدوث أى هجوم مباغت من القوات الايطالية هذه، ولّما كانت القيادة الايطالية تنوى السيطرة على موقع المعركة لذلك بدأت قصف مواقع المجاهدين منذ طلوع الشمس من صباح يوم الجمعة 13 من رجب 1330هـ الموافق 28 من يونيو 1912م، حيث اشتركت فى هذا القصف عدة بوارج حربية.

أطلقت أول قذيفة من البارجة الحربية «كارلو البرتوCarlo Alberto» عندما كانت رأسية على بعد 3 أميال من الشاطىء، ثم تبعتها بقية البوارج الحربية الأخرى «إيريدىEredi وإردياErdia كما شاركت مدفعية الجنرال ليكيو

(*) وقد وصف الشاعر الشعبى سالم موسى[21] الحران المعركة بقوله:

نهار الخميس وليله لاصار	مثله ولا يصير مثيله
رسم بيننا وبين بوبرطيلة	نيران تشعل فى السماء وقّاده
التر لزيناه على الحبيلة	خلى جنايزه يتلاوحوا بالحارَة

هى الأخرى فى هذا القصف، تلك المدفعية، التى أحضرت من جزيرة فروة أثناء الليل، وكانت من عيار 9، 14م/م، وقد أحضرت خصيصاً لهذا الغرض.

استمر هذا القصف على مواقع المجاهدين، التى حددت قبل ذلك، بواسطة الإستطلاع الايطالى، الذى اتضح من خلال روايات المجاهدين، مفادها: أن قيادة القوات الايطالية ارسلت اثنين من جنودها لتحديد مواقع المجاهدين وعندما وصلا الى المجاهدين ادعيا أنهما من أطبّاء الهلال الأحمر التركى، ومن ضمن الأطباء الألمان الذين كانوا يعالجون الجرحى والمرضى بين صفوف المجاهدين، وقد قدما من جهة الغرب على حصانين، فسألا عن ابن شعبان، لقد اثار امرهما الشك بين المجاهدين، وأخْبَرا أول من قابلاه بهويتهما بأنهما طبيبان يريدان مقابلة المعنى ابن شعبان، كما ذكرا لأمر هام، ولّما وصل الخبر لإبن شعبان هذا، أذن لهما بالدخول إلى خيمته التى كان بها، وتقع فى قلب معسكر المجاهدين الموجود بسيدى سعيد حيث اجتمعا به مدة من الزمن، ثم خرجا فى نهاية الاجتماع، وأخذا يتمشيان بين ربوة الضريح والخيمة شمالاً وجنوباً، وكانت عندهما مناظير «درابيل» مقربة ينظران بها إلى الشمال من مرة لأخرى، فتوقع المجاهدون من وقوفهما على الربوة، أنهما حددا المسافة بين مدفعية القوات الايطالية على السفن ومواقع المجاهدين هذه، ثم رجعا من حيث أتيا ولم يمسهما أحد بسوء، برغم مطالبة عدد من المجاهدين بمسكهما وقتلهما، ولكن ذلك لم يحدث، غير أنه ترددت التساؤلات حول مجيئهما وسببه، وتركهما يعودان دون أذى. ولم يؤخذ فى أمرهما أى شىء يذكر[22].

لم تتضح نتيجة هذه العملية إلا فى اليوم التالى، أى يوم المعركة 28 يونيو. عندما بدأ القصف الايطالى لمخيمات المجاهدين، وعلى المؤن والخيول والجمال الموجودة هناك. حيث اشتعلت النيران فى مراكز المحلات الحصينة جنوب الضريح، وكان القصف مركزاً بشكل دقيق، حيث كان بالمخيمات صغار السن والمرضى والجرحى ممن كانوا بصحبة المجاهدين وتعرضوا

لإصابات بليغة. وما أن فطن المجاهدون لهذه التحركات، حتى توزعوا حول الربوة التى يوجد فوقها ضريح الولى «سعيد» من جهات الغرب والجنوب والشرق، كما كانوا فى اليوم السابق، للتصدى للتحركات الايطالية القادمة إليهم من الشمال والشمال الغربى.

لقد بدأت المعركة الفعلية باشتباك قوات المجاهدين بقوات الجنرال كافاشوكى، وقوات لوكيو فى آن واحد، ونظراً لدعم القصف المدفعى الايطالى المركز، من البحر والبر على معسكرات المجاهدين وهجوم القوات الأريترية، فقد استولت قوات الجنرال لوكيو على ربوة الضريح، وساعدتهما قوات كافاشوكى مهاجمة ميسرة المجاهدين من جهة الغرب بظهرة (ساسى) وظهرة (منصور)، وقد عز على المجاهدين ترك مواقعهم وخنادقهم جنوب الضريح، برغم القصف المكثف وهجوم القوات البرية فاصطدموا بالقوات الايطالية التى هاجمتهم بالسلاح الأبيض، وأصبح المجاهدون المحتمون بمرتفع الضريح فى وضع صعب أمام القوات الايطالية لقربهم من الضريح، الذى كان يتعرض للقصف البحرى والبرى والهجوم العسكرى، الذى كان يقوده الجنرال لوكيو، وأن المدفعية التى كانت بصحبة قوات المجاهدين لم تساهم فى نجدتهم برد الهجوم الايطالى برغم أنها اطلقت عدداً من القذائف بقصد إيقاف تقدم القوات الايطالية. لقد قاوم المجاهدون الهجوم الايطالى مقاومة عنيفة تحت هذه الأوضاع الصعبة، واستنجدوا ببقية مجموعات المجاهدين، فتكررت هجماتهم بالسلاح الأبيض، الذى يجيده المجاهدون أنفسهم على طول قطاع المواجهة، وذلك لثلاث مرات متوالية، بقصد طرد القوات الايطالية، من الأماكن التى احتلتها بمفاجأتها لهم وحيث أن المنطقة التى احتلتها كانت حصينة، ويمكن التصدى منها، لوجود الحواجز الرملية، والنخيل الباسق دون غيرها، إذ كانت بقية الجهات المحيطة بهذه المنطقة عبارة عن منطقة سهلية وسبخ عارية، ولا يوجد بها حواجز طبيعية يمكن الإحتماء بها، وبالرغم من تفوق القوات الايطالية، من حيث العدد والعدة والعتاد الحربى، لم يتردد المجاهدون فى التصدى للقوات الايطالية التى يقودها الجنرال لوكيو، عندما

تقدّمت لاحتلال أحد معسكراتهم، غير أن لوكيو هذا كان يدفع كما اتضح بالقوات الأريترية فى المقدمة لتقع ضحية رصـاص المجاهـدين ليستنفد بهـا قواهم وذخيرتهم، مما حال دون هزيمة قواته واستقـرارها بمـواقع المجـاهدين الحصينة.

وقد استمات المجاهدون فى الدفاع عن هذا الموقع لأهميته الاستراتيجية لذلك قتلوا وجرحوا أعداداً هائلة من القوات الايطالية الغازية وتركوا فيها أثراً واضحاً، برغم تدخل البوارج الحربية بمدفعيتها، التى سهلت مهمة القوات البرية، التى يقودها الجنرال لوكيو فى الإستيلاء على مواقع المجاهدين وجعلت المعركة تنتهى لصالحها. استمرت المعركة على هذه الحال من الصباح، حتى المساء دون انقطاع، واشتد وطيسها حتى وصل إلى استعمال السلاح الأبيض فى النهاية، وبذل المجاهدون جهداً كبيراً فى الاحتفاظ بمواقعهم، ولّما تمكنت السفن الايطالية ومدفعية لوكيو من قصف مخيماتهم اربكت حركتهم فاضطرُّوا إلى مغادرتها واستولت عليها القوات الايطالية، بعدما رفعت علمها على ربوة الضريح نفسها. ثم تقدمت باتجاه الجنوب حيث التحصن الذى كانت بـه أمتعة المجاهدين، ومؤنهم، ومستلزماتهم الأخرى، فطردت حراسه وقتلت من فتكت به من المجاهدين، بعد أن استبسلوا في المقاومة فسقط بذلك عدد كبير من المجـاهـدين ومـرافقيهم هنـاك. ثم أخـذوا يجمعـون تلك الأشيـاء والمستلزمات، التى وجدوها كالأمتعة والملابس الخاصة بالمجاهدين، وأضرموا فيها النيران، حتى لا تبقى ويستفيد بها غيرهم فى المستقبل إذا أعاد المجاهدون الكرة واستردوها مرة أخرى، كما حدث لهم فى معركة المرقب الأولى بالخمس فى 23 اكتوبر 1911م، عندما احتلت القوات الايطالية بقيادة مرزوطو هضبة المرقب وتركت بها بعض القوات، وعند المساء أعاد عليها المجاهدون الكرة، وطردوها من الموقع الذى احتلته، ولم تتمكن القوات الايطالية من استرداده رغم المحاولات المتعددة إلا فى 27 فبراير 1912م.

ونظراً لاستراتيجية هذا الموقع وأهميته فى تلك المنطقة فقد استقرت به القـوات الايطاليـة، فى الوقت الـذى لا زالت المقاومـة مستمرة فى المـواقع

المجاورة له، ولم تعلم معظم مجموعات المجاهـدين لاتساع قـطاع المواجهـة بهجوم القوات الايطالية هذا وتقدمها، إذ تأخرت المجموعة التى كانت بالمخيم بعد الهجوم عليها، وكان بينهم بعض الضباط الاتراك أيضاً ويشهد الايطاليون فى تقـاريرهم حـول المعركـة أن الضباط العثـمانين انسحبـوا قبل أن تنتهى المعركة، واستمرت بقية المجموعات الأخرى تواصل المقاومة، فى خنادقها حتى كاد بعضها يقع فى قبضة القوات الايطالية. وفى رواية لأحد المجاهدين تقول «كنا حوالى مائة مجاهد فى مكان واحد، وقد رأيت علم الايطاليين على ربوة الولى، حيث مخيم المجاهدين فاخبرت جماعتى، فكذبونى، وفى النهاية تحقق لهم أنه علم ايطالى فعلاً، وأن الايطاليين احتلوا معسكرهم وتمـركزوا بمقـر القيادة. . .» فارتبكوا وخرجوا من خنادقهم بصعوبة بالغة حيث حـاصرتهم القوات الايطالية، وجعلتهم فى متناول مـدفعيتها وبنـادقها، مما أوقع بينهم بعض الإصابات وجرح عدد منهم.

هكذا توالى انسحاب قوات المجاهدين فى اتجاهات غير محددة فرادى وجماعات وبطرق غير منظمة، لقلة الانضباطية بينهم، فانسحب بعضهم إلى زلطن والبعض الآخر إلى سيدى على، وغيره، الأمر الذى اضعف مقاومتهم، ولم يتمكنوا من إعادة تجمعهم من جديد، حيث تراجعت مجموعة القوافل نحو زلـطن وزوارة إلى العقيله شرق سيدى سعيـد، ومجموعـة الجبل والعـلالقه والعجيلات عادت إلى زلـطن ورقدلين أيضاً فى الجنـوب، وتوزعت بقيـة المجموعات على الاتجاهين سيدى على فى الشرق وزلطن فى الجنوب، وانتهت المعـركة بـانسحابهم هـذا، واحتـلال القـوات الايـطاليـة لمـواقعهم بسيـدى سعيد[23].

لاشك أن المعركة كانت حاسمة لاستمرارها طيلة هذه المدة، ونتائجها كانت وخيمة بين الطرفين، حيث سقط فيها حوالى 300 شهيد كان أكثرهم فى اليوم الأخير من المعركة، وأن عدد الجرحى لا يقل عن ذلك بكثير، وسقط من القوات الايطالية عدد ممـاثل بـرغم محاولاتهـا لمباغتـة القوات الـوطنية،

وهجومها المشترك برّاً وبحراً لقرب موقع المعركة من البحر. وقد تفاوتت التقارير حول حصر الخسائر بين الطرفين فى المعركة.

فالتقارير العسكرية التركية ذكرت أن خسائر القوات الايطالية الغازية بلغت(600)قتيل بين جندى وضابط كان اكثرهم، من الجنود الأريتريين بينما نجد التقارير الايطالية تقلل من هذا العدد عندما أوضحت أن قتلى الايطاليين بلغوا 39 جندياً، و(180)جريحاً فقط، وهو أقل من الحقيقة والواقع، إذا ما أخذ فى الاعتبار ما قيل عن هذه المعركة من قبل المجاهدين، عندما ذكروا فى معركة اليوم الثانى وحده أن خمسين جثة تركت بأرض المعركة، وعادة ما كان الايطاليون يصرّون دائماً على نقل واخفاء جثث قتلاهم أضف إلى ذلك أن صمود المجاهدين وتفانيهم فى القتال لابد أن يكون له أثره فى ارتفاع عدد خسائر القوات الايطالية بأى حال من الأحوال[24] لذلك أرى أن متوسط قتلى القوات الايطالية لايقل كثيراً عما ذكرته التقارير العسكرية التركية باعتبارها تتابع سير المعركة وإن بالغت بعض الشيء. أما عن الجانب الوطنى فقد اوضحت التقارير العسكرية التركية أن خسائر المجاهدين بلغت(220) شهيداً و(416) جريحاً بينما تفيد التقارير العسكرية الايطالية أن عدد ضحايا قوات المجاهدين بلغت (720) شهيداً كما أوضحها أيضاً الأستاذ خليفه محمد التليسى فى كتابه معجم معارك الجهاد فى ليبيا[25] واتصح من المقابلات أيضاً أن عدد الشهداء كان كبيراً، وانني ارجح رأى التقارير العسكرية التركية باعتبارها جانباً أساسياً فى هذه المعركة، وبإمكانها معرفة عدد الشهداء والجرحى لمرافقة بعض المحررين للمجاهدين، ومتابعة حركتهم عن كثب بخلاف الدراسات الثانوية، التى يدور الشك حولها أحياناً، لاعتمادها على مصادر معينة ومن جانب واحد ويتضح من ذلك أيضاً أن المعركة استمرت ثلاثة أيام متواصلة وتعتبر بذلك من المعارك الهامة، بالمرحلة الأولى من حركة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى، سواء من حيث استمرارها أو من حيث الخسائر التى لحقت بالطرفين الايطالى والعربى الليبى، أو الظروف التى أحاطت بالمجاهدين بخسارتهم لأهم موقع لهم بالمنطقة، كانوا يقصدون منه لحماية مؤخرتهم، كما

أصبحت مدينة زوارة بعد هذه المعركة مهدَّدة بالسقوط أكثر من ذى قبل أيضاً، وتحولت بذلك قوات المجاهدين من الهجوم إلى الدفاع غير أن قوات المجاهدين لم تضعف، إذ تجمَّعت مرّة أخرى فى سيدى على شرق سيدى سعيد موقع المعركة الفائتة واستعدت للهجوم على القوات الايطالية التى تحركت نحو الشرق فى أول يوليو 1912م إذ كلفت مجموعة من المجاهدين بالتصدى، وجلب لها مدفع جبلى من زلطن، وبدأ الإشتباك بالقوات الايطالية فقصفت المدفعية الايطالية معسكر المجاهدين بشدة ردّاً على هجوم قوات المجاهدين[26] بقصد إبعادهم.

ونظراً لما لقيه المجاهدون من متاعب خلال أيام المعركة السابقة، وتعرضوا له من خسائر بشرية ومادية، لم يتمكنوا من الاستمرار فى المقاومة والتصدى للقوات الايطالية، لذلك تزحزحوا باتجاه الجنوب والشرق، وقد حاول بعض قادتهم تحريضهم بالبقاء فى مواقعهم، فاستجاب لذلك معظمهم مما جعل القوات الايطالية تتراجع إلى سيدى سعيد، وانتهت المعركة، ثم انسحبت قوات زوارة إلى الجنوب من سيدى سعيد واستقرت على بعد 3 كيلو مترات منه، غير أنه تواردت على قيادة المجاهدين أخبار بأن القوات الايطالية تحاول القيام بهجوم كبير على بلدة زلطن لذلك استعدت قوات المجاهدين لمواجهتها، لكن اتضح فيما بعد أن هذه الأخبار كاذبة، لذلك استمرت قوات المجاهدين فى الإنسحاب من أماكنها السابقة إلى الجنوب بالرغم من تحريض الضباط بعدمه والبقاء فى المواقع السابقة، حيث التصدى لأى تحرك مزمع من قبل القوات الايطالية.

لقد أعيد توزيع قوات المجاهدين لتتمركز حول بلدة زلطن حيث تمركزت قوات الزاوية وصرمان جنوب بلدة زلطن نفسها، وانتشرت بقية القوات الوطنية بالمناطق المجاورة والمواجهة للقوات الايطالية[27].

وقد اتضح أن القوات الايطالية وجهت بعضاً من قواتها إلى الشرق، باتجاه مدينة زوارة، لذلك انتقلت قوات الزاوية وصرمان إلى زلطن، وتحركت

قوات العلالقه والعجيلات من منطقة بونومة فى الغرب لتعسكر شمال شرق بلدة زلطن، حتى تتمكن من مواجهة القوات الايطالية إذا تقدمت باتجاه موقع ضريح سيدى على. والمعلوم أن المسافة بين سيدى سعيد وسيدى على لاتتعدى 6 كيلو مترات. تلك المسافة التى رابطت فيها قوات المجاهدين.

رأى القادة الايطاليون أن احتلالهم لموقع سيدى سعيد لما أعد له من قوات، وما وضع له من خطط أيضاً، تحت اشراف الجنرال غاريونى، أنه انتصار حاسم، لدرجة أن جيوفانى جيولتى، رئيس وزراء حكومة ايطاليا حينذاك، قرأ البرقية التى وردت إليه بخصوص نبأ احتلال الموقع، على مجلس الشيوخ عندما كان منعقداً، فى تلك الفترة، وقد صفق له الحاضرون كثيراً اعتزازاً به[28] باعتباره أهم موقع سقط فى ايديهم بعد معارك استمرت 3 أيام متواصلة.

وقد اهتمت كافة الإطارات الحكومة بايطاليا بسير أحداث هذه المعركة التى تواصلت طيلة المدة المعنية بالإشارة سلفاً، للأهمية التى علقها عليها الجنرال غاريونى والقضاء على موارد المجاهدين التى كانت تأتى من الغرب ويستشف من ذلك أن مقاومة قوات المجاهدين للقوات الايطالية خلال الأيام الثلاثة المشار إليها كانت شديدة ومتواصلة، وأن خسائرهم كانت كبيرة، كما أن القوات الايطالية تعرضت هى الأخرى إلى خسائر كبيرة، لقد رأت القيادة الايطالية أن تدفع بأعداد هائلة من قواتها فى هذه المعركة، وتدعمها بمعدات عسكرية حديثة، يمكنها من السيطرة بسهولة على هذا الموقع «سيدى سعيد» المستهدف، غير أن قوات المجاهدين، وضعت ذلك التصرف موضع الاهتمام، وتصدت لهذه القوات الغازية، ولم تترك لها الفرصة كى تحقق أهدافها بسهولة كما اتضح، إلا بعد أن ضعفت، واستنفدت إمكاناتها التامة.

بالرغم من تعدد قطاعات المواجهة، التى حاولت القيادة الايطالية فتحها على طول الساحل الليبى من الشرق إلى الغرب، واجهت القوات الوطنية هذه التحركات الايطالية، وقاومتها بشدة، لكنها شغلت المجاهدين عن التجمع فى مواقع محددة يتفرغون فيها لصد هذه القوات على الأقل.

ونتساءل هنا: هل كان انتصار القوات الايطالية هذا باحتلال «موقع سيدى سعيد» جاء نتيجة لاقدام القوات الايطالية؟ أم أنه كان نتيجة للإمكانيات المتاحة لديها؟ أم غير ذلك؟

كل هذه التساؤلات واردة فى الأذهان، بالنسبة لمتتبعى حركة المقاومة الوطنية بهذه المنطقة، ويصعب الإجابة عليها بوضوح، لكن نرى أن التفوق العسكرى الايطالى البرى والبحرى، كان له أثره الفعال، بالإضافة إلى عملية الاستطلاع التى قام بها بعض الجنود الايطاليين بحجة أنهم أطباء ألمان، وسبق أن أشير اليهم، بتحديد مواقع مخيمات المجاهدين، بسيدى سعيد مما مكن المدفعية الايطالية، من ضبطها، وقصفها، الأمر الذى حال دون استمرار قوات المجاهدين بمواقعهم، وخنادقهم، للتصدى لقوات العقيد لوكيو (Luquo) تجاههم برغم الاصطدامات التى حدثت بينهم، بالسلاح الأبيض، بالإضافة إلى عمليات الكر والفر المتكررة.

إن المدفعية الايطالية المشار إليها، لم تتمكن من إصابة مواقع المجاهدين بقدر ما أطلقت من قذائف، حيث كانت تقع مرة أمام تلك المواقع، ومرة أخرى خلفها، وأنها بذلك لم تؤثر فى حالة المجاهدين وإمكانية تصديهم واحتفاظهم بمراكزهم، ولّما تركز القصف على هذه المواقع فر المجاهدون منها إلى المنطقة المحيطة بمواقعهم هذه، الأمر الذى جعلهم فى وضع مكشوف أمام تقدم القوات التى يقودها لوكيو، بعد خروجهم من خنادقهم، إذ أن القصف المدفعى غطى تقدم الجنود الايطاليين، وأشغل المجاهدين عن تركيز قصفهم من بنادقهم، مما مكّن لوكيو من السيطرة على موقع المخيمات الواقع جنوب الضريح.

ونتساءل مرة أخرى: لماذا ترك الايطاليان يرجعان دون أن يقبض عليهما؟ أو يمنعا على الأقل من دخول المعسكر، الذى توجها إليه. هذا أمر محير يثير التساؤلات العديدة، ولا يستطيع المرء الوصول إلى حقيقة كافية وشافية تعطى فحوى الإجابة، وتبرهن بصورة واضحة وجلية وصادقة حول ما اذا كان مجيئهما، قد أكد للمجاهدين أنهما ألمان حقاً أم لا؟ وأن حجتهما التى

جاءا بها كانت قد أظهرت أنَّهما ألمان، ولكن الموضوع فى تحديد الإجابة هذه لا بد أن يكون مرفوضاً، على ضوء ما اتضح، وأرى أنها خدعة مرَّت على المجاهدين بطريقة سهلة، وأن متابعة الأعداء، ومراقبة تحركاتهم ضرورة حتمية، والتحفظ من جانبهم لا بد أن يؤخذ فى الحسبان مهما كان الأمر. وإن دل ما حدث على شيء، فإنما يدل على مدى بساطة واقع المجاهدين فى تلك الأثناء، لأن التأكيد على أنَّهما ألمان لم يعرف حتى وصلا المعسكر، ولم يدخل الشك الفعلى لنفوس المجاهدين إلاَّ بعد وقوع الحادث، وعلى كل حال، فإن الحكم على هذا الموضوع متروك للزمن، وهو قادر على اجلاء الحقيقة وتفسيرها، ولا يمكن الخوض فيها ما دامت بعض الوثائق غائبة، والشواهد غير واضحة.

لقد انتهت المعركة وافترق الجمعان كل إلى جهته، حيث استقرت قوات المجاهدين فى الأماكن القريبة من سيدى سعيد فى الجنوب والشرق كما اتضح سلفاً بعد المقاومة العنيفة، التى أبدتها خلال أيام المعركة الثلاثة، محاولة التمسك بمواقعها والدفاع عنها، بكل الوسائل، غير أن احاطة القوات الايطالية بها من كل جانب، اصبحت فى متناولها، الأمر الذى جعلها تنسحب من خنادقها، التى تمركزت بها هناك مدة الأشهر السابقة لهذه المعركة، وقد استمرت القوات الايطالية فى مواقعها التى خرجت منها.

إن القيادة الايطالية تمكنت بتمركزها بسيدى سعيد من مراقبة تحركات قوات المجاهدين، إذ أنها لو فشلت فى هذه المعركة لأثر ذلك فى معنويات أفرادها، وازدادت نقمة الرأى العام الايطالى على هذه الحملة ، وما أن انتهت المعركة، حتى بدأت البرقيات ترسل تباعاً إلى روما، لتعلق على ما حققته القوات الايطالية (بسيدى سعيد) لأهميته بالمنطقة وإن دل ذلك على شيئ ، فإنه يعبر عن مدى تخوف الايطاليين من خطورة الموقف، بالنسبة لهم، لما اتضح من بذل وتصدٍّ من قبل المجاهدين، وهذا واضح ومؤكد من قبل روايات المجاهدين، الذين شاركوا فى المعركة ولطول مدة المعركة، ولما اتضح من عدد الشهداء، لتمسك بعض المجاهدين بخنادقهم حتى الموت

والاستشهاد، مكبدين عدوهم عدداً من القتلى والجرحى، حتى أن مجموعة منهم كان عددها (5) خمسة أفراد على سبيل المثال لا الحصر قرروا الإستماتة داخل خنادقهم أمام القوات الايطالية، وأن واحداً منهم أعطى عباءته لأخيه ليستفيد منها، لأنه قرر ألا يعود ثانية، وقد بقى هؤلاء الخمسة، حتى استشهدوا جميعاً فى ساحة المعركة، لا شيء إلا أن يفوزوا بالتضحية فى سبيل الوطن، ونيل رضاء الله، بالبذل الروحى فى سبيله، وتشجيع بقية المجاهدين على القتال والصمود والاستماتة، والإستهانه بالموت، ليكونوا بذلك نموذجاً بهذه المنطقة.

والجدير بالذكر أن القوات الايطالية الغازية لم تتمكن من السيطرة على مواقع قوات المجاهدين اثر هذه المعركة، إلا بعد أن فقدت أعداداً هائلة من جنودها بين قتلى وجرحى؛ بلغت 236 قتيلاً من الجنود و3 ثلاثة ضباط، بالإضافة إلى عدد كبير من الجرحى لم يتم تحديده فى المصادر المحررة حول المعركة، لكن الرواية الشفوية التى أخذت من المجاهدين ذكرت أن هناك عدداً كبيراً من القتلى والجرحى، ويتوقع أن يكون أكثر بكثير مما ثبت بالوثائق التى أمكن الإطلاع عليها.

لقد نوه الرسميون الايطاليون فى تقاريرهم، بأن خسائرهم كانت قليلة، موعزين ذلك إلى الخطة المحكمة التى اتبعها القائد غاريونى، غير أننى أرجح بأن الخطة لم تكن حكيمة تلك التى اتبعها، غاريونى، بقدر ما قاموا به من تنكر فى متابعة تحركات المجاهدين، ومعرفة مراكزهم كما اتضح.

ونتساءل هنا: ما هو أثر هذه المعركة؟

لا شك أن المعركة لم تنته دون أن يكون لها أثر واضح على الجانبين فالجانب الايطالى يكفى أن وسَّع نطاق احتلاله بالمنطقة، برغم ما أخفى من قيمة الخسائر، تلك التى قال عنها المجاهدون إنها كانت كثيرة عندما كانوا يتقدمون فى صفوف متراصة، الأمر الذى مكَّن قوات المجاهدين من تسديد ضربات ناجحة ضدهم.

أما أثرها على الجانب الوطنى، فقد أوضحت المصادر الايطالية، وغيرها ما أشير إليه من عدد الشهداء والجرحى الذى بلغ متوسطه ما بين «700 ـ 1500» بين جريح وشهيد، ومهما كان الأمر فى اختلاف هذه المصادر لتحديد حجم الخسائر فإنها كانت كثيرة على كل حال، ويكمن مدى اثرها السلبى فى هذه النقطة، بالإضافة إلى تحولهم من مراكزهم المتقدِّمة، إلى الوراء، وانتقالهم إلى الجنوب من المواقع السابقة كما اتضح.

ولايستغرب المرء، لما ثبت من روايات المجاهدين، الذين شاركوا فى خوض هذه المعركة بأنفسهم، أن عدد الشهداء كان مرتفعاً جدّاً كما اتضح لما سقط فى معركة فم الواد والظليلة، كما نتج عن قصف الايطاليين من سفنهم الحربية لمواقع المجاهدين فى اليوم الثالث للمعركة حول سيدى سعيد، سقوط عدد كبير من الضحايا، بين شهداء وجرحى ممن كانوا بالمواقع التى تعرضت للقصف. ومعنى هذا أن عدد الشهداء كان مرتفعاً فعلاً، وأن صمود المجاهدين كان هو المؤثر الحقيقى لارتفاع هذا العدد.

ويضيف أحد المجاهدين، أن مخيم المستشفى الذى أقيم قرب زلطن لعلاج الجرحى والمصابين، قد غص بالمتضررين من جرَّاء هذه المعركة، حيث كان يوضع فى خيمة «قيطون» مائة جريح، وقد تعب الأطباء من كثرة الجرحى وقلة المعدَّات الطبية، الأمر الذى جعل كثيراً منهم يموت نتيجة لسوء العناية الغير مقصودة، لقلة الإمكانيات، وتعاظم الإصابات ومضاعفاتها بسبب الحر حينذاك[29] ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الشهداء والجرحى. الذين أصيبوا بهذه المعركة.

كان من بين الحميدات حوالى خمسة عشر شهيداً منهم أبو عبدالله، والمبروك الموسى، واحمد بوقشيشطية ومحمد المرابط، ومحمد بن على بن عمر، والأبيض، والزوالى.

ومن زوارة حوالى 52 شهيداً كان منهم عمران العشينى، وسليمان قشوش عاشور مهدى، مسعود رمضان عيزة. عبد العزيز الفوناس، ابراهيم

القندوز، ورمضان بدروش ، وغيرهم كما توجد لهؤلاء الشهداء وغيرهم قائمة لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً[30].

أما من الحرابة فقد كان عدد الشهداء حوالى 41 مجاهداً شاركوا فى خندق المعركة لم يذكر الرواة من استشهد منهم بالاسم، كما ذكر من الزاوية وصرمان أنه استشهد حوالى 50 مجاهداً كان من بينهم عبد الرحمن العروسى رئيسهم، ولم يقتصر الضرر على هذه المجموعات المذكورة أعلاه فما من مجموعة شاركت فى هذه المعركة إلا وتعرضت لضحايا بشرية حيث أن صمود المجاهدين وتفانيهم يؤكّد بكل وضوح ما قصدنا إليه، وإن عدم ذكر بعضهم بالإسم شىء خارج عن الارادة[31]. فما وضع فى الجدول السابق يؤكد عدد الحاضرين من بقية القبائل.

أمَّا عدد الجرحى فلم تتعرض له المقابلات التى سجلت من قبل المجاهدين الذين شاركوا بهذه المعركة بشكل واضح، إلا عند القليل منهم، حيث نذكر على سبيل المثال لا الحصر يدروش القفاز، وسالم موسى الحران وزملائهما الثلاثة من زوارة، وعدد خمسين مجاهداً من العلالقه كان من بينهم المرابط الهلاك، وعلى أحمد زايد[32].

وقد لحقت الأضرار بمعظم أفراد المجموعات التى شاركت فى هذه المعركة ابتداء من الزاوية شرقاً حتى الحدود التونسية الليبية غرباً، والمنطقة الجبلية جنوباً. ممن كان قد حضر هذه المعركة، ولم يرد ذكره فى المصادر، التى حالفنى الحظ بالإطلاع عليها، ولا يعنى عدم ذكر أى مجموعة أن هناك إجحافاً فى حقها، وإنما قصور نلتمس فيه العذر، وحتى من لم يشارك بنفسه وتضامن وجدانياً مع ما تقتضيه الضرورة، ويتطلبه الموقف الوطنى. وهى طبيعة أفراد الشعب العربى الليبى على مرور الزمن.

يطرح فى النهاية سؤال نفسه علينا نتيجة المعطيات السابقة مفاده لماذا انسحب المجاهدون من مواقعهم السابقة؟ واستفاد منها الايطاليون؟

عند الإجابة على هذا السؤال لا بد من طرح حقائق، كانت تمثل

الأسباب الرئيسية، التى فرضت كل ذلك، ومكنت القـوات الإيطاليـة من التمركز فى مواقع المجاهدين والسيطرة عليها وأهمها:

1 ـ **فارق القوات**: اتضح مما سبق أن عدد أفراد القوات الايطاليـة يفوق كثيراً عدد أفراد قوات المجاهدين، إذ أن القوات الايطالية يصل عددها إلى 13 ألفاً، وقوات المجاهدين لاتـزيد عـلى (5000) خمسة آلاف مجـاهد، وينقص قوات المجاهدين التدريب والنظام والانضباطية المعروفة عند الجيوش النظامية. بخلاف الجيش الايطالى، الذى كان يُسَيَّر وفق خطط واستراتيجيات مدروسة ومحكمة، فى التحرك والهجوم، وتحديد الأهداف. أما الإمكانيـات العسكرية، من حيث الأسلحة، التى كانت لدى المجاهدين، فإنها تقتصر فى معظمها على البنادق، وعدد قليل من المدفعية لا يتعدى أصابع اليد، وهى من نوع كروب قديم الصنع وأن معظم البنادق، التى كانت لديهم من نوع (ماوزر)، وهذا السلاح معروف من حيث أهميته الجيدة، لكنـه إذا استمر استعماله ترتفع درجة حرارته، ويقصر مداه، ويقل تصويبه، وعيبه الآخر أنه يترك كومة من الدخان فوق الموقع الذى يطلق منه، الأمر الذى ساعد القوات الايطالية على تحديد مواقع قوات المجاهدين عند استعمالها له، مما مكنهم من إصابتها بسهولة من مسافات بعيدة بواسطة المدفعية، وهو ما ساهم فى التأثير على مقاومة المجاهدين، واحداث إصابات بينهم فى بعض الأحوال.

وما كان لدى القوات الايطالية يفوق بكثير ما كان لدى المجاهدين. كالمدفعية الطويلة المدى، والسفن الحربيـة، والطائـرات، وفرق الاستـطلاع والهندسة، والتنظيم، والامداد، والقوى البشرية، وغيرها لايقـارن بما عنـد المجاهدين، وعليه فصمود المجاهدين بما لديهم من إمكانيات قليلة كان كافياً طـوال هذه المـدة، من الكفـاح، عـلى أرض مكشـوفـة، فـراشهم الأرض وغطاؤهم السماء، وما كان يدفعهم إلى ساحـة الوغى، إلا الشعـور الدينى والوطنى، حيث أنه من ينال الشهادة فى المعركة، يدخل الجنة، تصديقاً لقول الله تعالى. **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾** صدق الله العظيم. ويعتبر التولى يوم الزحف من الموبقات السبع

التى وردت فى الحديث النبوى الشريف. أما الدافع الآخر فهو الدافع الاجتماعى، الذى يعيب على المرء أن يتخاذل أو يتراجع أمام العدو مهما كانت الظروف، فينتقده الشعراء الشعبيون ويحتقره أقرانه، ويصفونه بالجبن، ويمدحون الشجعان والفرسان لذلك كله كان المجاهدون يندفعون بشجاعة فائقة صوب مراكز العدو ويرهبونه كما أنهم يصمدون فى خنادقهم إذا اشتد هجوم العدو عليهم، ويربط بعضهم أرجلهم، لكى لا تحدِّثهم أنفسهم بالفرار عند تعاظم الأخطار، وهى صفة تميز بها المجاهدون العرب الليبيون اينما وجدوا فى كفاحهم للقوات الايطالية الغازية لبلادهم. وقد استطاعوا بذلك التصدى للقوات الايطالية طوال مدة هذه المعركة.

2 ـ **قرب المنطقة التى جرت بها أحداث المعركة من البحر**: اتضح من خلال تتبعنا لأحداث هذه المعركة أن أحداثها جرت قرب البحر، وشاركت فيها السفن الحربية الايطالية بقصفها لمواقع المجاهدين، الأمر الذى مهَّد لها هذه المشاركة، حيث أن قصف مدفعية السفن البحرية هذا ضايق قوات المجاهدين عندما تقدمت لصد القوات الايطالية وقد فعلت ذات يوم عندما توغلت القوات الايطالية البرية عند انزالها لتطويق قوات المجاهدين، بأن قصفت قوات المجاهدين فى موقع بعيد عن الهدف الرئيسى المعنى بالانزال، لتموه قوات المجاهدين، وقد تكررت هذه العملية أيضاً فى اليوم الأخير من المعركة عند احتلال القوات الايطالية لموقع سيدى سعيد ومخيم المجاهدين الذى كان بجنوبه[33].

وقد تمكنت القوات الايطالية بسبب القصف المدفعى من السفن الراسية قبالة شاطىء منطقة المعركة من احتلالها المواقع التى خرج المجاهدون منها، حيث توجهت إليها قواتهم فور تزحزح المجاهدين عنها. ولو جرت هذه المعركة خارج نطاق قصف مدفعية السفن، لتمكن المجاهدون من تحقيق انتصارات باهرة على القوات الايطالية، لقناعتهم بضرورة الدفاع والمواجهة، دفاعاً عن وطنهم ومواقعهم ولو كانت لديهم سفن حربية تتصدى للاسطول الايطالى لمنعت تدخله فى هذه المعركة.

3 ـ دفع القيادة الإيطاليين بأعداد هائلة من الجنود الاريتريين: وضع القادة الايطاليون العساكر الاريترية المغلوبة على أمرهـا فى مقدِّمـة جنودهم ضمن هذه المعركة التى كسبوا ريعها هم، وقد مدح فون غريفنتش العساكر الاريتريين مستنداً فى ذلك على بعض التقارير الايطالية حول هـذه المعركـة موضحاً «وأمّا الأريترية وبخاصة السرية السابعة فقد انبثقت عنها خلال الأيام الثلاثة كفاءة ليس فقط إلا أنها موثوقة وشجـاعة وممتـازة فى المعارك، وأنها جديرة بأغراض قتالية حيث تتطلب السرعة واللياقة والتحمل»[34].

وقـد اسقط المجاهـدون بسلاحهم المتـواضع أعـداداً هائلة من هـذه القوات، غير أن كـثرة عددهم وانـدفاعهم فى صفـوف متراصـة لم يؤثر فى ضعفهم ولم يرجح كفة النصر لصالح المجاهدين، حيث أنه كلما قضوا على مجموعة قوبلت بأخرى بسرعة فائقة، الأمر الذى استنفد ذخيرة المجـاهدين وأرهق جهدهم إذ أن استبدال المجاهدين كـان محدوداً، ومـدهم بالـذخيرة والخدمات كان هو الآخر لا يتم بالسرعة التى تتم بها عمليات دعم واستبدال القوات الايطالية.

4 ـ الإمكانيات الاقتصادية والبشرية التى دفعت بها الحكومة الايطالية: إن الفارق واضح وجلى فى هذين الجانبين، من الناحية البشرية كانت الحكومة الايطالية ترسل إلى الجبهة جنوداً نظاميين ومدربين أحسن تدريب، فى الوقت الذى كان من يلتحق بقوات المجاهدين لا يعرف عدا اطلاق النار بطريقة عادية، دون النواحى الفنية والعسكـرية، أمـا الجانب المـادى، فقد كـانت الحكومة الايطالية تبعث بمئات السفن المحملة، بالمؤن والمعدات العسكريـة والعتاد الحربى بطريقة متواصلة وكان هذا الجانب مؤمنـاً تأميناً كافيـاً تحت حراسة الاسـطول الذى كـان يسيطر عـلى الساحـل الليبى، بينما امـدادات المجاهدين كانت قليلة يأتى بعضها بطرق بدائية بواسطة الإبل والدواب، التى كـانت تأتى عن طـريق تونس، والبعض الآخـر يأتى عن طـريق المعونـات الداخلية وهي ضعيفة ومحدودة، ومراقبة من قبل الاسطول الايطالى فى البحر والقوات الايطالية التى كانت فى الـبر، وقد ازدادت ضعفـاً عندمـا تحسنت

العلاقات السياسية بين فرنسا وايطاليا، حيث أن فرنسا تفاوضت على تحدى السفن الايطالية الحربية عند تعرضها للسفن الفرنسية وغيرها. التى كانت تنقل المؤن إلى المجاهدين عن طريق البحر وتفرغها على الشاطىء قرب الحدود الليبية التونسية وقد لعب «بونكاريه» وزير خارجية فرنسا دوراً كبيراً فى إعادة هذه العلاقات بين الدولتين حينذاك، حيث مدحته صحيفة لافرانس نقلاً عن التقارير الايطالية بقولها:

«إذا ما سطعت الشمس من جديد فى السماء الزرقاء للعلاقات الايطالية الفرنسية، فإن الفضل فى ذلك يرجع بكامله تقريباً إلى الطريقة المنصفة والسليمة التى اتبعها بونكارية فى تقييمه للأوضاع الأوروبية الراهنة فلقد أدرك بثاقب رأيه بأن الوعود التى قطعتها فرنسا لايطاليا بخصوص عملياتها المقبلة فى طرابلس كانت ستعطى ثمارها فى وقت أسرع مما كان يعتقد، ولكن فى ظروف لاتقوى أمامها، إلا أن تنحنى اجلالاً للعمل المحترم وللنتائج المباشرة التى تمكن الايطاليون من تحقيقها»[35].

وقد أحدثت عودة هذه العلاقات، آثاراً سلبية على حركة المقاومة الوطنية تمثلت فى نقص الإمدادات ومنع المتطوعين الذين كانوا يأتون من الخارج للمساهمة فى الكفاح ضد الغزو الايطالى مع اللِّيبيين، غير أن هذه السلبيات لم توقف حركة المقاومة بالمنطقة بعد هذه المعركة، إذ استمر المجاهدون الليبيون فى تحديهم وتصديهم، وأبَوْا أن يستسلموا، وحافظوا على طرق الإمداد التى كانت تأتيهم من تونس مفتوحه، حتى تم صلح لوزان في الثامن عشر من اكتوبر 1912م، عندما تنازلت تركيا عن ليبيا لايطاليا بموجب هذه المعاهدة، وسحبت جنودها وضباطها، الذين كانوا بين صفوف المجاهدين الليبيين، حيث خط المواجهة بهذه المنطقة كان مرتبطاً بخط الرابطة حتى منتصف عام 1913م، عندما هاجرت المجموعات الرافضة للاحتلال بعد معركة جندوبة إلى تونس ولم تعد إلا بعد سنة واستأنفت المقاومة عام 1916 ـ 1917م، تلك المجموعات التى كانت تكافح بهذه المنطقة[36] قبل ذلك.

تقييم: كان هدف القوات الايطالية من خوض هذه المعركة فتح

الطريق إلى احتلال مدينة زوارة التى أرادت احتلالها قبل عملية الإنزال على جزيرة فروة كما اتضح، وإن نجحت، فى زحزحة قوات المجاهدين عن منطقة سيدى سعيد هذه، فإنها لم تنته إلى مدينة زوارة برغم تمكنها من هذه السيطرة التوسعية والتمركز بالخنادق، التى حفرها المجاهدون حول المواقع المشار إليها سابقاً، على طول خط المواجهة، كما أنه لم يصب المجاهدين اليأس فى مواصلة الكفاح والتصدى للقوات الايطالية، إذ عادوا مرة أخرى فى معركة سيدى على، فى شهر يوليو وهو ما سوف يذكر فى الفصل اللاحق.

لقد تأثرت أوضاع المجاهدين تأثراً سلبياً بانتقالهم من مواقعهم السابقة عندما تركوها وتفرقوا على معسكراتهم فى الجنوب، حيث تأخر تجمعهم لما أصابهم من أضرار من جرحى وقتلى الأمر الذى احتاج منهم بعض الوقت للتغلب على هذه الصعاب، كما كانوا فى حاجة إلى المزيد من العتاد الحربى والزاد وتعويض المفقود من صفوفهم من المجاهدين بأناس جدد، وهذا يتطلب المزيد من الوقت لدعوة المتطوعين وإعدادهم ولو لمدة قصيرة، وقد جرت العادة لديهم فى عملية التناوب، للمثول فى جبهة المقاومة لطول مدة الحرب، لذلك كان يتم كل ثلاثه أشهر تقريباً تبادل المناوبة، بقدوم البديل الذى يحل مكان من أنهى دوره، وهذه عملية تعتمد غالباً على مشائخ القبائل، وقادة المحلات، ولكل دوره الأول يقوم بالدعوة للتطوع والثانى ليتولى عملية الإبدال، ويحتاج كل ذلك إلى:

1 ـ إعلان مواصلة الجهاد والدعوة له مجدَّداً، وتسجيل المتطوعين الجدد لإرسالهم إلى الجبهة، ليتم استبدالهم فى معسكرات المجاهدين وتمكينهم من تسلم الأسلحة والذخيرة وتدريبهم على الانضباطية وفنون القتال المعروفة لدى المجاهدين، غير أن هذه العملية أصبحت معروفة ومنظمة باستمرار مدة المقاومة، وأصبح من يتقدم إلى المشاركة محدداً عند شيخ كل قبيلة ومن أنهى دوره أيضاً معروف عند مأمور المحلة ويتم ذلك بطرق منظمة.

إن معركة سيدى سعيد هذه لما كان لها من مؤثرات سلبية على حركة المقاومة الوطنية بالمنطقة، فقد أثارت سخط المجاهدين على القوات الايطالية

الغازية وعمقت شعورهم بمدى خطورة الموقف وبضرورة المواجهة، ومواصلة الكفاح ضد عدو أراد بلادهم. ثم للثأر لذويهم من ذلك، إذ أن ما اتضح من خسائر الحقت بهم من جرّاء هذه المعركة، في الأنفس والنفيس من الضحايا والمعدات العسكرية والحيوانات والمؤن وغيرها، بجانب خروجهم من معسكراتهم وخطوط دفاعهم المتقدمة، أمر لا بد أن يكون له الأثر العميق في النفوس، جعلهم يعملون على تعويضه بأى ثمن فى معارك لاحقة، إذ أن ما حدث لم يتناسوه، بل ازدادوا اصراراً وقوة. بينما احتلال هذا الموقع الاستراتيجى قد أعطى فرصة أكبر للقوات الايطالية، حتى مكنها من زحزحة قوات المجاهدين عن خطوط دفاعها الأمامية، التى كانت تشكل حصاراً عليهم حول بوكماش، تلك الخطوط الدفاعية، التى فشلت القوات الايطالية هذه فى اختراقها طوال المدة السابقة لهذه المعركة.

لقد صعب على قوات المجاهدين بتحولها من مواقعها السابقة اقامة خطوط دفاع جديدة وحفر خنادق بها، لتتصدّى منها للقوات الايطالية الغازية بنجاح، لقصر المدة التى فصلتهم عن المعارك اللاحقة، بسيدى على، ولمطاردة القوات الايطالية المستمرة لهم، وللظروف العامة التى أحاطت بهم بالرغم من الحماس الذى كانوا عليه عند خوضهم لمعركة سيدى على.

لذلك كان احتلال القوات الايطالية لسيدى سعيد قد أعطى فرصة أكبر للقوات الايطالية، فى مواصلة التحرك، وخلّف آثاراً سيئة بالنسبة للمجاهدين إلى حد ما فيما بعد.

هذا وقد نشطت القيادة الايطالية فى العمل على تعزيز وتحصين مواقعها الجديدة التى تركها المجاهدون، وتركت بها مجموعات من القوات العسكرية لحراستها، كما نزلت قوات أخرى لحراسة المواقع والهضاب التى تقع إلى الغرب والجنوب من قصر بوكماش وأخذت تعد العدة إلى توسيع نطاق احتلالها فى المناطق المجاورة لتكملة تنفيذ مخططها الرامى إلى السيطرة على طرق القوافل التى كانت تأتى من الغرب.

وقد نتج عن ذلك أن قوات المجاهدين بدأت بالتحول نحو الشرق، وتركت بذلك المناطق التى كانت تتصدى منها للقوات الايطالية ببوكماش، كما اعطت هذه الفرصة أيضاً للقيادة الايطالية العاملة بطرابلس إمكانية توسيع نطاق احتلالها بكل من الخمس وجنزور وبنغازى ودرنـة وطبرق، وسُجِّلت أحداث معارك فى قطاعات المواجهة فى المدن المذكورة آنفاً.

معركة سيدي سعيد 26-27-28 يوليو 1912 م.

رأس المخبز
فروة
خنادق ايطالية
تحصينات امامية
أبو كماش
رأس الماء او فم الماء
سيدي سعيد
المريغة
سبخة العويقد
الطليلية
سبخة ابي كماش
سبخة تسومدعد
القطاسة
طويل بزلو
طويلة غزالة
زلطن

مواقع القوات الايطالية بفروة	
مواقع القوات الايطالية بأبي كماش	
عمليات الهجوم الايطالي	
مراكز دفاع المجاهدين	
طرق القوافل	

شكل رقم (2)

نقلا عن كتاب خليفة التليسي معجم معارك الجهاد الليبي.

هوامش الفصل الثانى

(1) باولو مالتيزى، ليبيا أرض الميعاد، تعريب، عبد الرحمن سالم العجيلى، طرابلس منشورات مركز جهاد الليبيين، 1980م، ص 412.
(2) مصطفى حامد رحومه، مقدمات الحرب الليبية الايطالية 1911م، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983. ص: 32، 33.
(3) جورج فون غريفنتش، الحرب الليبية الايطالية، ج3 ص 371 ـ 372.
(4) محمد يوسف بوسهمين. مقابلة على شريط 65/1 زوارة
(5) مملكة ايطاليا، الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا 28 يونيو 1912م، ص: 36.
(6) مملكة ايطاليا: نفس المصدر والصفحة.
(7) التقارير العسكرية التركية، ص: 37 ـ 38 من الترجمة.
(8) نفس المصدر السابق ص 37،
(9) لقد أجمعت معظم المقابلات التى تعرضت للحديث على سلاح الموزر بأن هذا السلاح فيه عيب بترك كومة من الدخان حين استعماله على موقع الإطلاق الأمر الذى كان يمكن العدو من معرفة وتحديد الموقع نفسه بدقة ليتمكن من قصفه وإصابته بسهولة ويسر.
(10) الجريدة، لمملكة ايطاليا 28 يونيو 1912م ص 360 ـ 361، ثم التقارير العسكرية التركية، ص: 37 كذلك باولو مالنيزى، ص 412، 413.
(11) سالم موسى الحران، مقابلة على شريط 84/1، واحمد عمر الموسى/ مقابلة على شريط رقم 79/1 رقدالين وغيرها من المقابلات الأخرى التى سجلت معه من قبل باحثى مركز دراسة جهاد الليبين.
(12) باولو مالتيزى، ص: 413، ثم مقابلة على شعبى شريط رقم 34/1 النحيلات.
(13) تقرير حول المعركة بعث به الجنرال غاريونى إلى روما مثبت بالجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا بتاريخ 29 يونيو 1912م، ص 316 من الترجمة ،
(14) نفس التقرير السابق والصفحة.
(15) الطاهر الزاوى، جهاد الابطال فى طرابلس الغرب، ط3 بيروت. دار الفتح 1973، ص 137 ـ 138.
(16) الشيخ عبد الرحمن العروسى: من بلدة الزاوية، كان أحد قادة مجاهدي الزاوية الذين هبوا ليشاركوا فى صد القوات الايطالية عن هذه المنطقة، وقد استشهد بمعركة

«الظليله» المعنية بالمتن، وكان معه غلامه استشهد هو الآخر. وقيل إنهما ربطا أرجلهما، وقررا عدم مغادرة مكانيهما حتى الموت أو الانتصار، واستمرا يقاومان القوات الايطالية المتجهة نحوهما بجانب غيرهما من بقية المجاهدين حتى نفدت منهما الذخيرة، فأصابهما رصاص الجنود الايطاليين، واستشهدا، وقد وجدت بجانبهما ما لا يقل عن كيلتين من الرصاص الفارغ، إن لم يكن مبالغ فى ذلك، وبهذا الموقع حدث الموقف البطولى الذى بذلا فيه روحيهما وسجلا مثالاً عالياً للتضحية والفداء فى المنطقة فى سبيل الوطن الغالى، وعبرا عن الشجاعة بين شباب عصرهما، إذ أنهما منعا اختراق القوات الايطالية الغازية خط دفاع المجاهدين من جهتهما، وهما على قيد الحياة رحمهما الله، لقد كانا رمزاً للمواقف البطولية.

أذيع عنهما في برنامج موقف بطولية فى تاريخ الجهاد الليبى بالاذاعه المرئية عام 1979 كما ثبتت هذه الحادثة فى كثير من مقابلات المجاهدين بالمنطقة.

(17) سالم الحران مقابلة على شريط 84/1،

(18) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، بتاريخ 28 يونيو ص 361.

(19) التقارير العسكرية التركية ص، 38.

(20) يلاحظ أن حديث الحران اقتصاره على زوارة وبن شعبان عندما حاول إثارة المجاهدين وهو معذور فى ذلك، باعتباره من زوارة، ولا يعرف التفاصيل الأخرى حول بقية المجاهدين، والواقع أن تنظيم المجاهدين كما اشير إليه كان على هيئة مجموعات حسب مناطقهم، وربما كانت مواقع استقرارهم متباعدة، ويقود كل مجموعة أعيانها، وأن التحريض فى هذه الظروف لا يقتصر على جهة معينة بل يقوم معظم القادة به، لشحذ همم المجاهدين، واستمرار مقاومتهم للقوات الغازية.

(21) سالم الحران، قصيدة فى الشعر الشعبى، أنظرها فى الملحق رقم 6.

(22) تحددت هذه الحادثة فى عدة مقابلات كان من بينها مقابلة مسعود بلاعو 79/1. وأحمد الموسى 79/1 أيضاً ثم عبدالله الجمل، 61/1 ـ 63/1.

(23) تقرير حول المعركة بعث به الجنرال غاريونى إلى روما بتاريخ 30 يونيو 1912م مثبت بالجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا. ثم التقارير العسكرية التركية ص 37.

(24) التقارير العسكرية التركية ص 37.

(25) نفس المصدر والصفحة.

(26) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا/ تقرير مرسل إلى روما بتاريخ 10 يوليو 1912م ص 364 ـ ثم خليفه محمد التليسي، معجم معارك الجهاد فى ليبيا. لبنان/ بيروت دار الثقافة العربية 1973م ص 304.

(27) التقارير العسكرية التركية ص 37 ـ 39.

(28) برقية بعث بها الجنرال غاريونى إلى جيوفانى جيوليتى رئيس الوزراء الايطالى جاء فيها، «اليوم عند الساعة الثامنة والنصف ارتفعت رايتنا المجيدة عند ربوة سيدى سعيد التى انتزعناها من عدو كبير العدد كان قد تحصن بها، وذلك بعد معركة

لامعة، ساهمت فيها كل القوات العاملة تحت امرق» خليفه محمد التليسي. معجم معارك الجهاد فى ليبيا 1911 ـ 1932، ص 308.

(29) يمكن الرجوع فى مثل هذاه النقطة إلى المقابلات التى تحدثت حول معارك بوكماش وسيدى سعيد، والمسجلة على الأشرطه التالية 1/62 ـ 1/63 ـ 1/31 1/79 ـ 1/80..

(30) سالم الحران 1/84.

(31) الطاهر الزاوى، جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب ص 123.

(32) المرابط الهلاك 1/13 ـ أحمد زايد 1/31، وفون غريفنتش ص 92/93.

(33) سالم الحران شريط رقم 1/84.

(34) فون غريفنتش ج3 ص/93.

(35) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، 10 يوليو 1912م ص 368 الترجمة 4099 ـ من الأصل.

(36) الطاهر الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، ص 138.

الفصل الثالث

إستئناف المقاومة، ومعركة سيدى على(*)

تغيير الاستراتيجية ـ معركة سيدى على ـ سقوط مدينة زوارة ـ معركة المنشية ـ أثر الأحداث العسكرية والسياسية على حركة المقاومة الوطنية بالمنطقة ـ تحول قوات المجاهدين إلى سهل الجفارة ونتائجه.

اتضح من المعطيات السابقة أن قوات المجاهدين تحولت بعد المعركة إلى مواقعها الجديدة التى حددتها قيادتها، عندما احتلت القوات الايطالية (سيدى سعيد)، حيث عادت من زلطن من جديد لتتخذ خطاً دفاعيّاً يبدأ من زلطن جنوباً وينتهى بمشارف الهضاب المحيطة بمشارف الولى «على» غرب مدينة زوارة نفسها، لحماية الميمنة، بينما تحركت بقية القوات الوطنية شرقاً. حيث المنشية جنوب مدينة زوارة، وذلك لعلم قيادة المجاهدين بتحرك القوات الايطالية من جهة البحر باتجاه الشرق، ثم إن المنطقة المحيطة بالمدينة، كانت

(*) سيدى على: ضريح أحد الأولياء بالمنطقة تمركزت حوله قوات المجاهدين لمواجهة القوات الايطالية الغازية، وهو عبارة عن مبنى صغير، يقع قربه مرتفع يعرف «بهشام (بوسكال) ويبعد مسافة 6 كيلو مترات شرق سيدى سعيد ومسافة 30 كيلو متراً غرب مدينة زوارة كما يلمس من وجود مجاهدى زوارة، أنهم كانوا فى السابق حول ضريح سيدى سعيد، وقد نجدهم يفضّلون البقاء حتى هذه المرة حول ضريح الولى سيدى على والمتتبع لمعارك الجهاد يجد بعضها قد جرى حول أضرحة الأولياء، وذلك لوجودها فى مناطق حصينة وصالحة للتحصن حولها مثل سيدى عبدالله بدرنه، وسيدى بنور، وسيدى بلال، وسيدى عبد الجليل حول طرابلس والذى يعرف هذه المواقع، يتأكد من هذا القول دون شك.

منبسطة، وتصعب فيها المواجهة باعتبارها مكشوفة، إضافة إلى أن القيادة الايطالية كانت تهدف من تحركها هذا الوصول إلى مدينة زوارة، حسبما اتضح من التقارير العسكرية الايطالية، لتتمكن من مراقبة تحركات المجاهدين، باعتبارها ملتقى طرق القوافل المشار إليها سلفاً، وتتوقع أن تجد كميات كافية من المياه للجنود.

تعتبر معركة سيدى على، والمعارك التى تلتها امتداداً لحركة المقاومة بالمنطقة غير أن تحول قوات المجاهدين من مراكزها السابقة إلى الشرق، أحدث بعض التغييرات بين مجموعات المجاهدين، فوزعت بموجبها من جديد على خطوط الدفاع الجديدة فكان تحولها وتنظيمها على النحو التالى:

- تمركزت قوات مجاهدى زوارة ومن كان معها من خويلد وسعفان وريمه وغيرهم غرب ضريح الولى المعنى بالأمر، لمواجهة القوات الايطالية، إذا ما تقدمت من هناك ثم تحركت قوات العلالقه والعجيلات من زلطن لتؤازر قوات زوارة والزاوية وصرمات، كما قدمت فى الوقت نفسه قوات جديدة من منطقة الجبل الغربى كان من بينهم الحوامد حسبما اتضح أنه سقط منهم بعض الشهداء، وأخرى من النواحى الأربعة ترهونة وفور وصولها إلى زلطن توجهت لتتمركز حول موقع الضريح المعنى[1].

أما من الجانب الايطالى، فبمجرد أن بدأ تحرك المجاهدين نحو المنطقة عملت القيادة على تأمين احتلالها لمنطقة سيدى سعيد، عندما بادرت بارسال حملة من عدة كتائب باتجاه الشرق والجنوب، كان منها التحرك الذى قامت به يوم 12 من يونيو 1912م، حيث خرجت مجموعة من هذه القوات تساندها المدفعية باتجاه طريق القوافل الثانى، وقد تحركت قوات المجاهدين لتتصدى لها، وكانت مكونة من الفرسان والمشاة من زلطن، فاصطدمت بها فى موقع طويل الزروال (Tual Therwl) غرب زلطن مسافة 20 ك.م وجنوب سبخة الملاحه بمسافة 5 ك.م. وعلى بعد 15ك.م إلى الشرق من الحدود التونسية، حيث اشتد وطيس المعركة مدة من الزمن، وشاركت المدفعية الايطالية بقصف

قوات المجاهدين، للضغط عليها، واستمرت على ذلك حتى المساء، عندما انتهت بتراجع القوات الايطالية إلى الوراء، دون أن تسجل أى خسائر[2]، وتفيد التقارير العسكرية الايطالية بأن المدفعية أطلقت نيران قذائفها على قوات المجاهدين، فتراجعت بعد أن أبدت مقاومة بسيطة، ثم تراجعت القوات الايطالية هى الأخرى إلى الشمال، بعد أن قطعت مسافة 30 ك.م. ذهاباً 30 كيلو متراً عودة.

وقد قيم فون غريفنتش معتمداً على التقارير الايطالية للمعركة، حركة القوات الايطالية هذه[3]، حيث أوضح أن هذه القوات اتجهت فى تحركها نحو سيدى على وليس نحو الجنوب، عندما أفادت أنها بدأت تحركها فى ست (6) كتائب تحت سحابة القصف المدفعى، فتصدت لها قوات (المجاهدين) من زوارة، بالتلال الواقعة غرب ضريح سيدى على، غير أن قوات العدو المتقدمة من جهة الشمال سيطرت على موقع الضريح بمساعدة القصف البحرى والمدفعية المصاحبة للقوات المتحركة، المكثف، وأن القوات الوطنية لم تجد الفرصة فى مواجهة القوتين، عندها تمركزت القوات الأولى القادمة من الشمال بالموقع نفسه، ورفعت العلم الايطالى هناك فاستنجدت بقوات أخرى من زلطن، من بين العلالقة والعجيلات وصرمان والزاوية، فعندما قدمت من زلطن حاولت التمركز بين سيدى على وسيدى سعيد لتتصدى للقوات الايطالية، التى أخذت تتقدم من سيدى سعيد، وقد أثّر تقدم النجدة هذا من زلطن فى ارتفاع معنويات مجاهدى زوارة. فازدادوا شجاعة وجسارة فى مقارعة القوات الايطالية، التى شعرت نفسها بشدة المقاومة الوطنية، فعملت على الانسحاب والعودة إلى سيدى سعيد، فطاردتها قوات المجاهدين إلى هناك، بالرغم من القصف المدفعى من الجانب الايطالى والكثيف من البر والبحر[4].

ونظراً لطول مدة المعركة، واستنزاف الذخيرة من قبل المجاهدين، فقد قاربت ذخيرتهم على النفاد، الأمر الذى اضعف بدوره مقاومتهم، ومطاردتهم بالأحرى للقوات الايطالية، التى فرت من مواقعها، لذلك قرر المجاهدون

العودة إلى مواقعهم السابقة(*) مع الاحتفاظ بجزء من العتاده الحربى للرد به على العدو، إذا ما أراد مطاردتهم.

وعلى كل حال فإن ما تناولته التقارير الايطالية الرسمية، من وصف لهذا الحدث، كان يهدف كما اتضح بالدرجة الأولى، إلى تبيان أن القوات الايطالية تمكنت من السيطرة على الطريق الثانى، وأنها لم تجد أى أثر لهذه القوافل وذلك حينما اجتازت هذا الطريق، ويرجع ذلك إلى اعتبارات عدة ربما أخذت فى الحسبان كان من بينها ما يرتبط بتحركات القوات الايطالية نفسها إلى المنطقة، واتضاح ذلك لقوات المجاهدين، فاتخذوا احتياطات مسبقة من هذه التحركات خشية الوقوع فى كمين من قبلها، ومنها ما كان يتعلق بالمجاهدين أنفسهم، حيث أنهم اهتموا بابعاد خط سير القوافل القادمة من تونس جنوب الطريق الذى كان مستهدفاً من قبل القوات الايطالية، وأخيراً فإن المساعدات التى كانت تأتى من تونس بدأت تتناقص بسبب التهديدات الايطالية للحكومة التركية فى بحر ايجة. وانشغال الاتراك بمواجهة الاسطول الايطالى هناك، إذ قامت تركيا بقفل مضائقها أمام الملاحة الدولية، عندما قامت ايطاليا بضرب مدخل مضيق الدردنيل من جهة البحر المتوسط، حيث حجزت تركيا عدداً من السفن فى مضيق البسفور، كانت محملة بكميات هائلة من القمح الروسى، ومتوجهة إلى البحر المتوسط، الأمر الذى جعل حكومات الدول الأوروبية تتدخل لدى الباب العالى للإفراج عن هذه السفن[5]، فاقتنعت تركيا بذلك.

إضافة إلى ذلك فإن فرنسا بدأت تتعاطف مع ايطاليا، وذلك بمنع السفن التى كانت تأتى سرّاً إلى شواطىء تونس الشرقية محملة بالمؤن والمعدات

(*) موضوع نفاد الذخيرة: راجع من أوله إلى قلة ما كان يعطى لكل مجاهد قبل بداية المعركة من رصاص، وقد لمست هذه المشكلة فى معارك عديدة، منها معركة سيدى بلال بجنزور فى 25/9/1912م على سبيل المثال، وهو أمر راجع إلى أنه منذ شهر ابريل 1912م بدأت الذخيرة تتناقص لدى المجاهدين لصعوبة جلبها من خارج البلاد لمحاصرة الاسطول الايطالى للشاطىء الليبى والحدود الغربية.

العسكرية ومنها تنقل إلى المجاهدين، عبر الطرق المعنية كما أشير إليها بالحديث سلفاً، كما تترك فى بعض الأحيان السفن الايطالية تطارد هذه السفن وتستولى عليها دون أن تتعرض لها والأهم من ذلك كله أن قيادة المجاهدين، انشغلت بنقل مقرِّها من زلطن فى الغرب إلى المنشية، لإتخاذ استراتيجية جديدة فى المواجهة تؤمن بها استمرار المقاومة الوطنية وتوفير ذخيرة المجاهدين فى خطوط الدفاع المتقدِّمة فى الغرب والشمال، ولا يخفى أن هذه العملية مضنية جداً.

بالرغم من نكران القيادة الايطالية بأن قواتها رجعت دون أن تتعرض لأية خسائر، في حين أنها تعرضت لخسائر كثيرة، حسبما جاء فى التقارير العسكرية التركية المتتبعة لذلك، وربما أخفت هذه الخسائر، بأن اهتمت بتحركات قواتها نحو الجنوب، وتركت الحديث عما جرى حول ضريح سيدى (على) بينما لم تترك التقارير العسكرية التركية ذلك، بل سلطت الضوء على تحركات المجاهدين باتجاه الجنوب والشمال، حيث موقع ضريح سيدى على، وأفادت أن قوات زوارة تمركزت بالموقع نفسه وأن بقية القوات التى كانت فى المنشية وجاءت من صرمان والعلالقة والعجيلات والزاوية تقدَّمت تساند بقية قوات المجاهدين فى المواجهة، وقد ساهم تقدُّم هذه القوات ومشاركتها فى المعركة مساهمة فعَّالة، الأمر الذى رفع من معنويات بقية المجاهدين، وأثر تأثيراً إيجابياً فى صمودهم أمام القوات الغازية، ومكّنهم من دحر تقدم هذه القوات وارغامها على التراجع إلى الوراء كما اتضح.

يتأكّد فى النهاية أن القوات الايطالية تحركت باتجاه الجنوب، لكنها لم تعثر على أى أثر للقافلة، وهذا أمر مسلّم به، فكيف تمرُّ القوافل من الطريق المعنية؟ وهى مكشوفة، ومعرّضه للتهديد من قبل القوات الايطالية إذ أن قيادة المجاهدين بمجرد أن علمت بتحركات العدو بالمنطقة وجهت قوات لصدها فى كلا الاتجاهين الجنوبى والشرقى، وتمكنت من ارجاعها فعلاً، بجانب ذلك أنها نبّهت أصحاب القافلة بأن يحيّدوها تجاه الجنوب قليلاً. حتى تأمن شر القوات

الايطالية المتوجهة نحوها. بجانب الاحتياطات المسبقة التى وضعت لصد هذه القوات.

معركة سيدى على14 يوليو 1912م:

لّما اتضح لدى القيادة الايطالية فى تحرّكاتها السابقة باتجاه الجنوب أن المنطقة المتاخمة للحدود التونسية خالية من قوات المجاهدين، وأنها أصبحت تشكل خطراً عليها بدأت تعد العدة لخوض معركة سيدى على هذه، كما لمست قيادة المجاهدين ما هدفت إليه القوات الايطالية، لذلك بدأت هى الأخرى تضع خطة للمواجهة الجديدة، فأمرت المدفعيين وعساكر الرشاشات بالتمركز قرب «ضريح الولى على» ووجهت بقية القوات بأن تتوزع حول الموقع المذكور، حيث تمركزت مجموعات المحاميد وترهونه فى مكان مجموعة الزاوية وصرمان، تلك القوات التى أمرت بالعودة إلى بلدانها بعد أن انتهت مدة بقائها بالجبهة، ثم تمركزت قوات زوارة والعجيلات والعلالقه حول الهضبة التى تقع قرب الضريح، بالإضافة إلى بقية القوات التى قدمت من الجبل الغربى، أما مجاهدو النواحى الأربعة، فقد أخذوا أماكنهم بين زلطن (وسيدى على) لسد الثغرة التى يمكن أن يتسرب منها العدو وتعقب بقية القوات الوطنية، فى الوقت نفسه وصمدت بقية القوات المشار إليها لإسناد الميمنة لتعزيزها باعتبارها فى مقدمة خط المواجهة(6).

وقد شكلت القوات الايطالية من أن القوات المتواجدة بالمنطقة، حيث أوضح الجنرال غاريونى فى برقية بعث بها إلى روما، وثبتت بالجريدة الرسمية جاء فيها «تمت صباح اليوم مهاجمة موقع سيدى سعيد(*) مستخدماً كافة الجنود الذين تتشكل منهم الفرقة، وقد سقط هذا الموقع فى أيدينا، وعلى اثر

(*) يقصد سيدى سعيد: الموقع الذى احتلته القوات الايطالية فى المعارك السابقة غير أنها لم تستقر به إلا بعد هذا التحرك.

استيلائنا عليه هرع عدد كبير من العدو(*) من رقدلين ومن زوارة واشتبكوا معنا فى قتال حامى الوطيس، دام 6 ساعات متواصلة، وانتهى بانتصارنا الكاسح بينما انهزم العدو بعد أن تكبد خسائر جسيمة، هذا ويمضى جنودنا فى تعزيز المواقع التى احتلوها وسأبرق مساء بالتفاصيل »، التوقيع غاريونى.

وهذه البرقية تؤكِّد شيئاً جديداً قصد به أن قواته تأخرت عن مواقعها السابقة وأنها لم تستقر بسيدى (سعيد) إذ أن موقع سيدى سعيد هذا لم يتم احتلاله الفعلى إلا بعد التحركات التى ذكرت بها.

ويوضح غاريونى أيضاً تفاصيل التحركات العسكرية الايطالية، التى بدأت من جزيرة فروة وأبى كماش وسيدى سعيد، بأنه ترك بعضاً من القوات بمركز الحامية الدائم لجزيرة فروة، وانتقلت معظم القوات إلى سيدى سعيد، لتبقى على استعداد للتحرك تجاه (سيدى على) حيث تتمركز قوات المجاهدين، التى تتوقع هجوم القوات الايطالية عليها لتصده.

لقد أمر الجنرال غاريونى قواته بالتحرك من سيدى سعيد بعد أن قسمت إلى قسمين أو مجموعتين، مجموعة رئيسية والأخرى احتياطية على أن تبدأ المجموعة الأولى بالتحرك بقيادة الجنرال لوكيو Lequo والاحتياطية بقيادة العقيد كافاشوكى Cafacioche.

بدأت قوات لوكيو بالتحرك أولاً: عند الساعة الثالثة والنصف (3,30) صباحاً من سيدى سعيد فى تشكيلتين، باتجاه (سيدى على) وسارت المجموعة الأولى بمحاذاة الساحل ومثلت بذلك الميسرة بينما سارت الأخرى على طول الخط الداخلى للمرتفعات لتساند ميمنة القوات المتقدمة واستمرت كلتا القوتين تسيران فى اتجاهين متوازيين تقريباً حتى ميدان المعركة حول الضريح.

لقد بدأت المعركة باقتراب القوات الايطالية من موقع الضريح نفسه،

(*) العدو: يقصد بذلك قوات المجاهدين، وهو ما ورد فى الترجمة نفسها ولكن أيهما العدو الصحيح؟ هل العدو الذى يكافح عن وطنه وعرضه وحريته؟ أم العدو الغازى لوطن غيره؟

حيث تمركزت قوات المجاهدين فى البداية، فاشتبكت القوتان واشتد وطيس المعركة، ثم تدخلت المدفعية الايطالية، واستعملت القوات الايطالية كافة الأسلحة البرية والبحرية، الأمر الذى جعل قوات المجاهدين، تتراجع بعض الشيء إلى الوراء، لتحاشى كثافة القصف المدفعى، مما يسر للقوات الايطالية المكونة من الرماة البرسيلليرى، والفرانييرى من احتلال موقع الضريح، فرفعت فوقه رايتها الايطالية، وذلك بسبب ما دفعت هذه القوات من إمكانيات بشرية ومادية فى المعركة المعنية بالأمر.

عندما تراجعت القوات الوطنية كانت تهدف من وراء هذا التراجع تغيير خطة المواجهة للقوات الايطالية المتقدمة على الخط الداخلى من جهة الغرب، فاستعملت قطع المدفعية التى كانت لديها، وعادت للإشتباك مرة أخرى واستمرت تواصل تصديها برغم كثافة القصف المدفعى الايطالى من جانب قوات لوكيو، ومن المدفعية الجبلية التى كانت تابعة لقوات الاحتياط، تلك القوات التى أمرت فى الحين بالتحرك تجاه ميسرة قوات المجاهدين، وذلك عندما اشتد وطيس المعركة، وتفوق المجاهدين. فى الوقت نفسه قدمت قوات وطنية من زلطن لمعاضدة قوات المجاهدين المشتبكة مع القوات الايطالية، مما عزّز موقفهم وصمودهم ومستوى تصديهم وزاد فى عددهم حتى وصل إلى ما يقرب من (5000) خمسة آلاف مقاتل[8].

ارتفع مستوى المعركة لصمود المجاهدين لدرجة استعمال السلاح الأبيض، وذلك عندما تقدَّمت قوات الاحتياطى الايطالية إلى وسط ميدان المعركة، لدعم مسيرة قوات كافاشوكى، وتدخلت المدفعية الايطالية مرَّة أخرى، الأمر الذى رفع من عدد الضحايا بين صفوف المجاهدين بتمسكهم بمواقعهم، واستمرت المعركة على هذا الحال حتى المساء، دون أن يحدث أى تغيير يذكر فى صفوف المجاهدين، أو كلَّت عزائمهم الفولاذية، مواصلين تصديهم للقوات الايطالية طيلة اليوم، وبالرغم من انبساط أرض المعركة، وعدم وجود التغطية البحرية أو الجوية أو مدفعية ثقيلة لدى المجاهدين

تتصدى لمثيلاتها، مما كان لدى القوات الايطالية الغازية فقد استمرت المعركة، حتى انتهت بحلول الظلام.

نتائج المعركة:

أدّت إلى سقوط الموقـع فى أيدى القـوات الايطاليـة لما دفـع الجنرال غاريونى من قوات لاقتحام تحصينات المجاهدين، وذلك لما أكّده بنفسه، على اشتراك كافة القوات المتواجدة بالمنطقة، فغلب على المجاهدين رغم صمودهم البقاء فى مواقعهم حتى اليوم الثانى، علاوة على أنهم لم يتركوها طيلة اليوم.

وقد بلغت خسائر القوات الايطالية 19 قتيلاً كان من بينهم 4 عساكر اريتريين[9] وأصيب 63 جندياً ايطالياً بجروح متفاوته كان منهم 19 عسكرياً اريترياً حسبما اتفقت عليه التقارير العسكرية الايطالية والتركية على حد سواء أما خسائر قوات المجاهدين فقد بلغت 60 شهيداً و 326 جريحاً، كما فقدت كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة. ووقع عدد منهم فى الأسر[10]، ويتضح من ذلك أن خسائر المجاهدين كانت كثيرة، وإن دل ذلك على شيء فإنه يؤكد على مدى الصمود الذي استمروا عليه حتى مساء يوم المعركة وتصدوا فيه لكافة القوات المتواجدة بالمنطقة التى اشتركت فى المعركة برّاً وبحراً لقرب الموقع نفسه من البحر، الأمر الذى مكن السفن أن تؤدى دورها بهذه المعركة وقصف مواقع المجاهدين، ذلك السلاح الذى لم يكن لديهم نظيره، وساهم مساهمة فعّالة فى المعارك التى جرت على طول الجبهة الساحلية لصالح القوات الايطالية خلال عامى 1911 ـ 1912 ، ويكفى أنه مكنها فى البداية من احتلال المدن الساحلية وطرابلس وطبرق ودرنة والخمس وبوكماش ومصراتة، قبل نشوب معركة (سيدى على) هذه. وشارع الشط أيضاً فى معرك الهانى شارع الشط بطرابلس جوليانة ببنغازى والناظورة بطبرق على سبيل المثال لا الحصر.

وقد استقرت قوات الجنرال لوكيو التى كلفت بالتحرك فى البداية بالموقع ورجعت بقية القوات الايطالية فى المساء إلى سيدى سعيد. حيث بدأت قوات

لوكيو هذه بتحصين مواقعها التى احتلتها حول «الضريح هذا» كما حاولت قوات المجاهدين مهاجمة القوات الايطالية ليلاً عند ما كلفت قوات ترهونة بذلك لكن هذه القوات لم تتمكن من تنفيذ هذا الهجوم لقناعتها بعدم جدوى هذا الهجوم لوجود الإضواء الكاشفة، حول المعسكر الايطالى وتتابع الدوريات الايطالية لرصد تحركات المجاهدين هناك، الأمر الذى أعاق تحركات المجاهدين المزمع، ومنعهم من مهاجمة المعسكر الايطالى ليلاً.

عند تقييمنا لنتائج هذه المعركة نجد أن ما تبديه المعطيات المشار إليها أن المعركة، كانت حاسمة لكثرة ما سقط من شهداء بين قوات المجاهدين، وقتلى بين القوات الايطالية، مؤكدة بذلك مدى استماتة المجاهدين بمواقعهم وتفانيهم فى القتال برغم استعمال القيادة الايطالية ما كان لديها من أسلحة وإمكانيات عسكرية، بهدف التمكن من زحزحة قوات المجاهدين من مواقعهم لتحتلها القوات الغازية وقد علقت القيادة الايطالية آمالها على أهمية هذا الهجوم بأنه مركز هام وأنه يمكنها من مواصلة التحرك تجاه مدينة زوارة، دون أن يتعقبهم المجاهدون.

إن هذه المعركة أعطت صورة واضحة على مدى اهتمام قوات المجاهدين بضرورة تحصين مدينة زوارة، تلك المدينة التى أصبحت مهددة من قبل القوات الايطالية وكانت آثارها سلبية على المجاهدين، بخلاف المعارك السابقة بالمنطقة ويستشف من البرقية التى بعث بها سليمان البارونى إلى عبدالله بن شعبان(*) أحد أعيان زوارة، ووالد سلطان بن شعبان، يعزيه فى شهداء معركة (سيدى على) هذه إلا أن المعركة كانت شديدة لكثرة ما سقط فيها من شهداء، وأن المدينة أصبحت مهددة فعلاً بالسقوط فى أيدى القوات الايطالية، حتى أنه نصحه بتركها، إذا دعت الضرورة لمكافحة القوات الايطالية هذه من خارجها[11] تضامناً مع بقية المجاهدين، وبعيداً عن القصف المدفعى الايطالى من البحر، وهو ما أخذ به فيها بعد، حيث أن

(*) عبدالله بن شعبان: من أعيان زوارة، ودوره فى الحركة الوطنية كان محدوداً حسبما اتضح من خلال تتبعى هذا بل كان عكسها.

سكان مدينة زوارة خرجوا منها قبيل دخول القوات الايطالية، متحالفين مع بقية المجاهدين لتكوين تجمع جديد خارجها، وهو أمر مسلم به ومرجعه إلى شيئين اثنين هما:

أولها: شدة القصف الايطالى المدفعى من سفن الاسطول المتوقع لقرب المدينة من البحر، وتحرك القوات الايطالية المتمركزة بسيدى سعيد باتجاه الشرق.

وثانيهما: قلة إمكانيات المجاهدين لظروف متعددة أوضحها ارتباطهم بتركيا لوجود بعض الضباط والجنود الاتراك يقاتلون فى صفوف قوات المجاهدين والتطورات العسكرية التى حدثت ببحر ايجة، وجعلت تركيا تهتم بها مباشرة.

وعلى كل حال فإن معركة سيدى على هذه ما هى إلا إحدى المعارك التى جرت بالمنطقة، وأن خسر المجاهدون موقعها، فإنهم لم يضعوا السلاح، ولم يتوانوا أو يتهاونوا فى متابعة المقاومة ضد القوات الغازية.

إحتلال مدينة زوارة:

مدينة زوارة مدينة قديمة تقع على البحر، وتمتاز بشاطىء رملي جميل، كانت تسمى فى الماضى «بكوطين»ثم ترك هذا الاسم وأصبحت تسمى بزوارة نسبة إلى اسم سكانها، وتعتبر من المدن الساحلية الهامة تبعد عن طرابلس إلى الغرب مسافة 110 كيلو مترات. تتمتع بميناء صغير يستقبل السفن التجارية، كما كانت ملتقى طرق القوافل الثلاث التى كانت تأتى من تونس إبّانَ تلك الفترة من جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى لليبيا، وقد ساهمت في نقل المؤن والمساعدات الخارجية للمجاهدين، ويذكر غريفنتش أن عدد سكانها حينذاك يربو على 18800 نسمة[12].

غير أن هذا العدد يفوق بكثير عدد سكانها الحالى، وربما كان يعنى بذلك بقية سكان المناطق المجاورة لها مثل ـ النوائل والسعفات والحميدات

وريمة وخويلد، وإذا حسبنا عدد سكان الساكنين وحدهم نجد أنه لا يزيد على (7000) سبعة آلاف نسمة فقط.

كما كان يحيط بها بعض السبخ من الجنوب والبحر من الشمال، وقد اتخذت من ذلك موقعاً حصيناً تبعد فيه المواجهة المسلحة. علق عليها قادة الحملة الايطالية أملاً كبيراً لذلك حاولوا احتلالها منذ شهر نوفمبر 1911م واستمرت محاولتهم هذه خلال الأشهر التالية ديسمبر ويناير وفبراير ومارس... إلى أن تم احتلال جزيرة فروة وبوكماش فى ابريل 1912م ولم يتخلوا عن تحقيق الهدف نفسه، فى احتلال مدينة زوارة هذه متوقعين من احتلالها أنها ستوفر لهم مياه الشرب لجنود الحملة إذ كانوا فى حاجة ماسة لها. حتى تلك الفترة، وعليه فقد وضعوا لها عدة ترتيبات، فى الخطة التى رسموها للاستيلاء عليها، مقدرين الصعوبات التى يمكن أن تواجههم واضعين فى ذلك عدد السكان البالغ فى تلك الفترة بالمنطقة حوالى 30413 نسمة حسب تقديرهم موزعين على المناطق المجاورة والتى يمكن أن تتقدم إلى مواجهة قواتهم، التي يمكن أن تحتل المدينة حيث يوجد حوالى 121227 نسمة فيما بين طرابلس والحدود التونسية مضافاً إليهم سكان الجبل الغربى، حسبما يرى فون غريفنتش الذى اعتمد فى ذلك على التقارير العسكرية الايطالية، وما يمكن أن يتوفر من هذا العدد من مقاتلين يقفون ضدهم إذا ما بادروا بالاحتلال لهذه المدينة، وما يمكن أن يتحرك من المجاهدين المرابطين حول مدينة طرابلس، ثم الظروف الجغرافية والطوبوغرافية المحيطة بالمدينة، ومدى تعلق المجاهدين بهذا الموقع لأهميته بالنسبة لهم.

وقد درست جميع النقاط السابقة، دراسة كافية، وأعدت لها القوات اللازمة من بين قوات غاريونى المتواجدة بجزيرة فروة وبوكماش وسيدى سعيد فى غرب المدينة، مع اعداد قوات أخرى أحضرت من ايطاليا نفسها عن طريق البحر خصيصاً لهذا الغرض[14].

وقد اتضح من تتبع حركة المقاومة الوطنية بعد معركة سيدى على أنها تحولت جنوب مدينة زوارة لتتمركز فى خط دفاع جديد، ما بين رقدلين فى

الغرب والمنشية فى الشرق حسبما هو موضح بالخريطة شكل «3» حيث توجد الكثبان الرملية، وبعض الروابى التى كان من أهمها ربوة سيدى ميلاد، وربوة سيدى عبد الصمد التى تعرف حتى اليوم بارتفاعها، كما جرت حولها المعركة، وهى صعبة الحركة وتفصلها عن مدينة زوارة مساحة شاسعة من السبخ، وهى منبسطة بطبيعة الحال، ومكشوفة لانبساطها، أضف إلى ذلك شدة القصف الايطالى المدفعى الكثيف المركز من البر والبحر، ذلك السلاح الذى كان مفقوداً عند المجاهدين ولا يوجد لديهم ما يعادله من أسلحة ثقيلة، وربما كان ذلك من أحد الأسباب التى أدت إلى تركهم المدينة، عندما بدأ القصف الايطالى لها.

استعدادات القيادة الايطالية:

قدّرت قوات المجاهدين، التى كانت مرابطة حول المدينة بحوالى 1400 مجاهد. حسبما ورد فى التقارير العسكرية التركية، غير أن هذا العدد كان ضئيلاً فى مثل تلك الظروف فإن عدد المجاهدين على الأقل كان يربو على 3000 مقاتل أو أكثر، إذ أن الاحتياطات كانت لابد أن تؤخذ لمثل هذه التحركات الايطالية المضادة لمواجهتها. تلك التحركات التى كانت تهدف إلى احتلال المدينة بأى حال من الأحوال، حيث أن الحكومة الايطالية أعدت قوات هائلة جمعت من مناطق مختلفة تحسُّباً لمواجهة وطنية عارمة وقوية لأهميتها، وقد أجمعت التقارير الواردة حول هذه القوات أنها شملت مايلى:

1 ـ القوات البرية:

ـ اللواء الحادى عشر (11) واللواء الرابع والثمانون (84) وكتيبتين من لوائى Genedye الأول والثانى والكتيبة 28 من لواءBersigliere و(19) رماة ولواء Bersogliere رماة أيضاً، والبرسيلليرى الحادى عشر ثم الكتيبة السادسة والسابعة من الجنود الاريتريين وسريتين من لواء Genede المساعدة(19) ومفرزة من الفرسان الاريتريين.

2 ـ المدفعية :

ـ بطارية ميدان عيار 75 مليمتراً.
ـ بطارية مدفعية عيار 75 مليمتراً موديل 1906م.
ـ ثلاث بطاريات عيار 70 مليمتراً.
ـ بطاريتان عيار 149 مليمتراً.
ـ ثلاث سرايا استحكام وبالون ثابت لمراقبة تحركات المجاهدين.
ـ 4 طائرات(15).

وهذه المجموعة من القوات التى كانت متواجدة غرب مدينة زوارة بقيادة الجنرال غاريونى. أما المجموعة الثانية فقد جاءت من ايطاليا خصيصاً لاحتلال مدينة زوارة المعنية بالأمر، وقد جمعت فى البداية فى أغوستا من القوات الايطالية العاملة بالخمس والعاملة بجزيرة رودس ومن بنغازى ومصراته.

ولما تم تجميعها كُلِّف الجنرال تاسونى Tassoni بقيادتها وهو القائد الذى كان يقود القوات الايطالية بالخمس قبل ذلك، حتى خلفه الجنرال مارزوطوMarzotto هناك، وقد كانت له خبرة ودراية واسعة فى الحرب، حيث استدعى من ايطاليا إلى درنة لقيادة القوات الايطالية المتواجدة هناك فى معركة قصر رأس اللين خلال شهر سبتمبر 1912م وقد ضمت هذه القوات مايلى:

1 ـ كتيبة مشاة (37) والسرية الأولى من الكتيبة (34) وسرايا الألبينى القادمة من فيرونا وڤينريللى Genarelli.

ـ بطاريتى مدفعية جبلية.
ـ فصيل استطلاع.

وقد بلغ المجموع خمسة آلاف مقاتل(16) قدمت هذه القوات من أغوستا التى تم فيها تجميعها إلى مدينة زوارة بحراً على سبع سفن تجارية تحت حماية وحراسة فرقة من سفن التدريب، منذ أول أغسطس ونزلت أول دفعة منها شرق مدينة زوارة نفسها بمسافة(7) كيلومترات شمال المنقوت تحت ستار

وتغطية قصف المدفعية الموجودة على 12 اثنى عشر قارب صيد كبيرة كانت مصاحبة للحملة.

لقد بلغ مجموع السفن الكلى الذى غادر أغوستا تجاه مدينة زوارة (19) تسعة عشر سفينة بين سفن الشحن والركاب والحماية حسبما اتضح من الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا[17] بينما أوضح غريفنتش انها نقلت على[18] (5) خمس بواخر أمّا البقية فتتكون من سفن التدريب استعملت للحماية وهو يعتمد دائماً على التقارير الايطالية فى دراسة هذه الأحداث وتوجد بعض الاختلافات معها أحياناً، وإذا نظرنا إلى هذا الحشد العسكرى الايطالى الهائل المعد لاحتلال مدينة زوارة هذه، وقارنّاه بما كان لدى قوات المجاهدين من إمكانيات فإننا نجد الفارق كبيراً وواضحاً لذا نتساءل لماذا كل هذه الاستعدادات البرية والبحرية؟ هل كان الاستعداد من أجل المدينة وحدها أم هو تخوف من قوات المجاهدين، ويقف المرء حائراً أمام هذه التساؤلات ولا يجد الإجابة المقنعة لهذه التحركات، والمبررات الحقيقية لذلك، ورأيت أن اطرح بعض الاحتمالات التى يمكن أن تفسر ما تعنى وتفى بالرد على هذه التساؤلات التى شغلت اهتماماتى ومن أهمها:

1 ـ يرى الايطاليون أن مدينة زوارة ذات أهمية كبيرة وأن باحتلالهم لها يتمكنون من السيطرة على طرق القوافل القادمة من تونس فى الغرب إلى ضواحى طرابلس كما أشير إليها فيما سبق.

2 ـ أعدت الحكومة الايطالية هذه القوات الهائلة تحسُّباً إلى أن قوات المجاهدين ستكثف نشاطها بالمقابل لصد قواتها، واضعة فى ذلك إمكانية تحرك قوات من العزيزية واستنفار سكان المناطق المجاورة. وأنها تصر على احتلال هذه المدينة بقدر ما يمكن.

3 ـ إحتمال آخر يتمثل فيما كان يجرى على الساحة السياسية من مساع ، تبذلها الدول الأوروبية المعتبرة حينذاك «فرنسا ـ ألمانيا ـ بريطانيا ـ النمسا والمجر ـ ثم روسيا» لحل قضية الحرب الليبية ما بين تركيا وايطاليا،

وأن تركيا أصبحت تساوم ايطاليا على ليبيا، بتنازلها عن أجزاء منها. مع ما برز من مقترحات، من بعض الدول بالخصوص، فرأت الحكومة الايطالية أن توسِّع نطاق احتلالها بهذه المنطقة، وإذا ما حصل أى اتفاق تجد نفسها مستفيدة من ذلك، وإذا ما فرضت الدول المعنية الأمر الواقع، على ايطاليا أن تبقى فيما احتلته حتى زمن المفاوضات تخسر إذ أن ما احتلته، من مساحات كان ضيقاً، كما أنه لم يكن متصلاً، لذلك كثفت نشاطها العسكرى خلال أشهر يونيو ويوليو وأغسطس، وحتى سبتمبر 1912م بالتوسع على طول الجبهة بالساحل الليبى، فى الوقت نفسه ارتفع مستوى تصدى المجاهدين، بهجوماتهم المكثفة والمتكررة، على طرابلس، ولبدة، والخمس، وغيرها، مما يعطى دلالة واضحة على تحديهم للقوات الغازية فى كل معارك جنزور ولبدة، ومصراتة أيضاً، حيث تقدمت القوات الايطالية نحو جنزور فى يونيو، ووجهت حملة لاحتلال مصراتة، وخاضت معارك سيدى (سعيد) وسيدى (على) كما اتضح. وقد قامت الحكومة الايطالية بتغير قادة حملتها على ليبيا، فى كل من درنة والخمس وبنغازى، وارجعت الجنرال كانيفا إلى روما فى اغسطس ذلك القائد الذى كلف بقيادة الحملة الايطالية فى البداية، وكلفت الجنرال رانى بأن يقوم مقامه وهو الذى كان ضمن قادة الحملة الايطالية، التى وجهت لاحتلال جنزور في الثامن من يونيو 1912م.

4 ـ يستشف من المحاولات الايطالية لاحتلال مدينة زوارة أيضاً، أنهم يريدون السيطرة على الساحل الليبى بأكمله، وإذا ما سقطت هذه المدينة بأيديهم فإنهم يتوقعون أنها تمكنهم من السيطرة على المنطقة الواقعة إلى الشرق منها حتى مدينة طرابلس، مثل مرسى زواغة بالعلالقة والزاوية، إلى غابة جنزور، الذى لازال جزءاً منه فى أيدى قوات المجاهدين، حتى عملية احتلال مدينة زوارة هذه، كما أنهم فعلوا ذلك فى المنطقة الشرقية من ليبيا، عندما أنزلوا قوات عسكرية بخليج بومية غرب طبرق لتشتيت جهود قوات المجاهدين وارهابهم بتلك المنطقة.

وبالرغم من المحاولات، التى قامت بها الحكومة الايطالية، فإن مدينة

زوارة هذه، حتى لو سقطت فى أيديهم «يعنى الايطاليين» لم تمكنهم من تغيير وضع القوات الوطنية بالمنطقة تغييراً جذرياً، فإن المقاومة لايمكن أن تتوقف، لأن مدينة زوارة هذه كانت مكشوفة، كما أشير إلى ذلك، وأن سكانها تركوها قبيل مجىء القوات الايطالية إليها، تلاحماً مع بقية قوات المجاهدين، لمحاربة القوات الغازية من خارجها.

إذ تتبعنا حركة المقاومة الوطنية على طول الساحل الليبى، فإننا لم نجد نقطة احتلتها القوات الايطالية، دون أن تحدث فيها مواجهة عسكرية، وسقط فيها شهداء من بين المجاهدين، وقتلى بين أفراد القوات الايطالية أيضاً.

التمهيد الايطالى لاحتلال مدينة زوارة: بعد أن حشدت القيادة الايطالية العاملة بليبيا قواتها حول المدينة، وزعتها على النحو التالى: تمركزت المجموعة الأولى منها بسيدى (على) غرب المدينة، وتمركزت المجموعة الثانية بشرقها، كما هو موضح بالخريطة شكل (3) ثم بدأ القصف الايطالى المدفعى المكثف على مراكز المجاهدين بالمدينة الأمر الذى اضطر قوات المجاهدين إلى الخروج منها، ثم استعدت قوات المجاهدين هذه بالمناطق المحيطة وذلك حفاظاً على أرواحهم من القصف المدفعى المكثف، الذى بدأت به القوات الايطالية من البر والبحر، لفتح ثغرات بين قوات المجاهدين لتحرك القوات البرية بداخل المدينة وقد رأت القيادة الإيطالية، أن القوات الوطنية المتواجدة حول طرابلس، ربما تتحرك إلى منطقة زوارة، لنجدة القوات الوطنية المرابطة هناك، على اعتبار أن القيادة العليا لقوات المجاهدين، كانت بالعزيزية جنوب مدينة طرابلس هذه، وهى مسئولة على تدعيم جبهة منطقة زوارة المعنية بالأمر، وأن المسافة بينهما لاتزيد على 100 ك.م. ويمكن توجيه جزءٍ من القوات إليها. لذلك عملت القيادة الايطالية المتواجدة بطرابلس، على إثارة القلق بهذه المنطقة، فقامت بتحركات مشبوهة بقصد اشغال القيادة الوطنية العليا بذلك وتمويهها عما يجرى حول زوارة من تحركات عسكرية، ولاشعارها أن هذه المنطقة لازالت تشكل خطورة، وتترك بالتالى قواتها فيها كما هى عليه، دون أن توجه جزءاً منها إلى منطقة زوارة.

وقد أمرت القيادة الايطالية، بتحريك جزء من قواتها العاملة تحت امرة الجنرال رانى بطرابلس، لهذا الغرض فى 5 من اغسطس 1912م، فأرسلت قوة عسكرية من عين زارة باتجاه قصر بن غشير فى الجنوب، بقيادة الجنرال (دى شـوزان) ثم وجهت قوات أخـرى من لواء الفـرسان بقيـادة الضابط «كوراى» من قرقارش، باتجاه فندق الطوغار، وقد توغلت هاتان القـوتان، مسافة طويلة باتجاه الجنوب، واستعدّت قوات المجاهدين لمواجهتها، وتمكنت من صدها وردها على اعقابها، دون أن تترك فيها أثراً يذكر. غير أن هذه التحركات شدَّت انتباه القيادة الوطنيـة، بأخـذ الحيطة حـول طرابلس، ولم تـرسل نجـدات إلى زوارة، وخاصـة عندمـا أعادت الكـرة فى اليوم التـالى أيضاً[19]، أى فى اليوم السادس من أغسطس اليوم الذى بدأت فيه قوات تاسُّونى ويوريا ريتشى بالإنزال شرق مدينة زوارة وشمال المنقوب، وتحرك قوات الجنرال غاريونى من الغرب إلى الشرق، للهجوم على المدينة حسب الخـطة الموضوعـة لذلـك، واستمرت القيـادة الوطنيـة حول طـرابلس تواجـه هذه التحركات ولم ترسل أى نجدات لمساعدة المجاهدين لإنقاذ مدينة زوارة.

بداية الهجوم على مدينة زوارة: عندما تكاملت استعدادات القـوات الايطالية حول المدينة، بدأ التحرك باتجاهها لاحتلالها،حيث وضعت ترتيبات مساء الخامس من أغسطس، لهذا الهجوم، وبُدِئَ بتنفيذ المخطط المتفق عليه بين قادة الحملة البرية والبحـرية للقـوات الايطاليـة وهم: الجنرال غـاريونى (Garioni) قائد الفيلق الخامس المتواجد فى منطقة بوكماش وسيدى سعيـد، والجنرال تاسونى (Tassoni) قائد القوات الايـطالية التى قـدمت من ايطاليـا خصيصاً لاحتلال المدينة، ثم الأميرال بورياريتشى Boriarici قائد الاسطول الايطالى وهو الذى قصف باسطوله مدينة طرابلس عند بـداية احتـلالها فى اكتوبر 1911م، لقد بدأت قوات تاسـونى، منذ أن نـزلت إلى البر بشرق المدينة بالتحرك فعلاً باتجاه الغرب، حيث نزلت كتيبة من القوات البحريـة أولاً، ثم تبعتها القوات البرية، والقوات العاملة تحت امرة تاسُّونى، واتجهت جميعها إلى قلب المدينة، كما تحركت فى الوقت نفسه قوات الجنرال غاريونى

المتواجدة بسيدى على هى الأخرى باتجاه الشرق لتلتقى مع قوات تاسونى، وقد لاقت مقاومة وطنية عند مرسى (تيبودة(*)) غرب المدينة ثم واصلت تحركها حتى التقت بقوات تاسونى، الذى دخل الواحة بقواته من الشرق، وقد أكّد ذلك الأميرال بوربا ريتشى فى برقية بعث بها إلى روما أوضح فيها الكيفية، التى تمت بها عملية الإنزال إلى البر «بأنه عند الساعة 30، 9 صباحاً أخذت الحملة فى النزول إلى البر «يعنى قوات تاسونى» بعد أن احتل جنود البحرية موقع المرابط عبدالله عند رأس زقوز Ziggio) وقد زحفت قوات غاريونى (حسب قوله) نحو هدفها، وفى تلك الأثناء شرع فى إنزال العتاد والمواد الحربية[20]». غير أنه لم يتعرض فى هذه البرقية إلى مدى المقاومة الوطنية بالمنطقة.

لقد بعث الجنرال تاسونى أيضاً ببرقية أخرى إلى روما يصف فيها المخطط الذى وضعه غاريونى لمهاجمة المدينة موضحاً الآتى «تركت فى منطقة فروة، حامية مناسبة تحت قيادة الجنرال تيتونى Tittoni ثم أمرت قواتنا بالتحرك عند الفجر من مواقع سيدى على، حيث كانت قد حشدت مساء أمس تشكيلة تضم فصائل من مختلف الأسلحة بقيادة الجنرال لوكيو، وقد أخذت هذه القوات تتقدم برًّا، جنوب مدينة زوارة المعنية وقد هبطت فى الوقت نفسه من السفن إلى البر وعلى بعد 3 كيلو مترات إلى الشرق من مرفأ مدينة زوارة الصغير تشكيلة أخرى من قواتنا بإمرة الجنرال تاسونى تضم جنوداً من البحرية وجنوداً من الجيش البري، وكانت تساندهم بفعالية مدفعية سفن الاميرال بوربا ريتشى، وسفن فرقة الكلِّية العسكرية[21].

وقد بدأت القوات الايطالية هذه تتحرك ببطء، وحذر شديدين فجر يوم 6 من أغسطس 1912م، باتجاه المدينة، حسبما جاء فى البرقية، وما اتفقت عليه بقية المصادر التى عثرت عليها بخصوص ذلك، حيث تحركت

---

*) تيبودة مرسى للسفن إلى الغرب من مدينة زوارة وشرق سيدى سعيد وهو ميناء صغير لصيد الاسماك، فيما سبق.

أولاً: قوات لوكيو باتجاه الشرق، وقوات بوربا ريتشى البحرية وتاسونى البرية صوب الغرب، وتساند كلتا القوتين المدفعية، لتغطى تحركها هذا، موجهة قذائفها إلى مراكز تجمعات المجاهدين بالمدينة وخارجها، وبرغم هذا القصف المدفعى المركز فقد صمدت قوات المجاهدين تكافح التقدم الايطالى هذا، بمحاولة انقاذ المدينة ولكنها لم تستطع انقاذها، بسبب القصف المستمر، إذ قيل أن القذائف التى صبتها المدفعية الايطالية فى ذلك اليوم بلغت 1300 قذيفة من مختلف العيارات[22] وقيل فى مصدر آخر أنها 3500 قذيفة، وذلك فى رسالة نشرت فى إحدى الصحف التونسية[23].

وقد استمر التصدى الوطنى يواجه القوات الغازية حتى المساء، دون كلل، حيث انسحب المجاهدون، عند حلول الظلام إلى الجنوب، بعد أن يئسوا من ردع القوات الايطالية لمنعهم من احتلالها.

لقد تعرضت المدينة إلى خراب محزن، إذ طويت معظم مبانيها أرضاً من شدة القصف المدفعى، وقد حاول قادة الحملة الايطالية، ايعاز التخريب، الذى لحق بالمدينة إلى قوات المجاهدين، وتبرير أنفسهم من ذلك، فى برقيات بعثوا بها إلى روما، ناسبين ذلك إلى القوات التركية والوطنية مفادها، أن المدينة لازالت فى حالة يرثى لها، حيث تعرضت معظم مبانيها للخراب والدمار، غير أن القصف المدفعى الايطالى هو الذى ألحق الخراب بالمدينة، والغريب فى ذلك نجدهم يصفون المجاهدين والاتراك بأنهم تصرَّفوا تصرفاً وحشياً، لعدم انسحابهم من المدينة وتركهم العقارات سليمة[24].

من الذى تصرف تصرفاً وحشيّاً ياترى؟ هل هم الايطاليون الذين حشدوا قوات ضاربة من مختلف الجهات وأسلحة متطورة؟ أم المجاهدون وسكان المدينة الذين بنوا مساكنهم بأيديهم وأموالهم ليجعلوا منها مأوى لهم ولعيالهم، كيف يخربونها وقلوبهم مشدودة إليها، إذ أنها الملاذ الذى يذودون من أجله كما يذودون عن الوطن كافة. وهل يخسرونها دون أن يواجهوا بما لديهم القوات الايطالية وأين يقع اللوم الايطالى من هذا التصرف بعدم انسحاب المجاهدين؟ وسكان المدينة منها، ويتركون عقاراتهم، حسبما جاء فى

التقرير الذى بعث به غاريونى إلى روما ومفاده «بعدم انسحابهم من المدينة وتركهم لعقارات المواطنين سليمة» والواقع أن المجاهدين أو الاتراك، لم يخربوا المساكن كما ادعى الجنرال غاريونى فى تقريره هذا، إنما حاولوا مواجهة القوات الايطالية وفى تلك الأثناء تساقطت عليهم قذائف المدفعية الايطالية البرية والبحرية على حد سواء، بالمواقع التى كانوا يحتمون بها، وحتى لو خرجوا من المدينة، لم تسلم المدينة من الخراب الذى لحق بها، بناء على ما حدث لاحتلال الايطاليين للمدن الليبية الأخرى التى سبقت مدينة زوارة هذه مثل مدينة طرابلس وبنغازى ودرنة والخمس، والحقيقة أن المدفعية الايطالية كانت تقصف معظم المدن الساحلية، بصفة مستمرة والخريطة شكل «3» تبرهن على ذلك بوضوح.

إن ما لمس من عدد القذائف التى صبت على هذه المدينة وقد بلغ ما يقرب من 1300 قذيفة أو أكثر كما اتضح يؤكد دون شك، سبب خراب المدينة، وليس كما يدَّعون بقولهم «ولا ننسى وحشية تصرف الاتراك فهم لم يحترموا المبانى واشعلوا الحرائق فيما بقى منها صالحاً للاستعمال. ناهبين ما عثروا عليه فيها من أشياء» والواقع أن هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة، وتعتبر باطلة للحجة الواردة قبل النص هذا، فقذائف المدفعية المتعددة العيارات والأحجام والأنواع، ألم تطلق على المدينة؟ ألم تنفجر؟ فقد انفجر بكل تأكيد معظمها ولابد أنها ألحقت أضراراً بهذه المبانى المعنية، إذ أنها أحدثت حرائق وتسببت بالتالى فى الخراب الذى لحق بالمبانى المذكورة. ويؤكد النقيب بيسنت Besente فى 30 اكتوبر 1912 عندما قابل الصحفيين الذين زاروا المدينة بعد احتلالها بعدة أشهر أن الخراب الذى لحق بالمدينة كان من جرَّاء «قنابل المدافع، التى كانت تطلق بدون حساب من السفينة كارلو البرتو...» ذلك المثبت بالجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا ص 497 من الترجمة.

ثم أن خروج السكان من بيوتهم بالمدينة وأخذ حاجاتهم لا يعنى أنهم نهبوها، كما يدعى الايطاليون فكيف يتركون امتعتهم وحاجاتهم للتلف والنهب

وهم خارجون إلى العراء أمام القوات الايطالية الغازية، لتعبث بها، وهم فى أمس الحاجة إليها؟ إذ أن دخول القوات الغازية هذه إلى المدينة يعنى بكل وضوح احتلالها، وحرمانهم بما كـان لديهم منهـا، وحتى إن احرقت بعض المنازل من طرفهم، وهذا بعيد الاحتمال فإنه يكون من الناحية الاستراتيجية البحتة عند العسكريين، إذا حدث ذلك. ولكن لم يحدث، كما ذكرت التقارير العسكرية الايطالية، فى بلاغاتها عن التحركات الايطالية داخل المدينة فتلك البلاغات التى كان يبعث بها قادة الحملة إلى روما وعليه فالايطاليون نعتبرهم السبب الرئيسى فى الحاق الضرر بالمبانى التى خربت بالمدينة وليس الاتراك كما يدعون.

وقد ادعت القيادة الايطالية أيضاً في بلاغ تابع، أن ميـاه الشرب فى الآبار التى كانت تحيط بالمدينة ملوثة بحمى التيفوس، لتبرر بها موضوع نقل المياه للجنود بالمدينة، عندما تم احتلالها. بقولها «لقد كان من الحكمة وبعد النظر نقل كميات احتياطية من مياه الشرب، فالموارد المحلية تبدو كافية، إلا أن العدو جعلها فى حالة لا يمكن الاستفادة منها، ذلك لأنه أقدم بروح بربرية غير عادية على تلويثها، إذ ألقى بواسطة مواسير جراثيم التيفوس مزروعة، مما أدّى إلى تدمير وردم بعض الآبار»[25].

وقد خطر هنا بأذهاننا سؤال مفاده: كيف يمكن ذلك؟ وأين المواسير التى يدعونها؟ وإلى حد قريب وسكان المدينة يشربون من الآبار، لذلك نرى هذا الاتهام ضعيف فى المبرر الذى أصدرته القيادة الايطالية بالمنطقة، والسبب فى ذلك راجع إلى أن القيادة الايطالية هذه، كانت تأمل من وراء احتلال مدينة زوارة الحصول على كميات هائلة من مياه الشرب، التى كانت تعانى منها فخاب أملها لعدم توفر المياه اللازمة للجنود لهذه المدينة، والمعروف أن هذه المدينة تقع فى منطقة شديدة الملوحة بين السبخة من الجنوب والبحر من الشمال، ومياهها كانت مالحة تبعاً لذلك، وهى إلى اليوم تعانى من قلة المياه، ولم يرجع ذلك إلى تلويث المجاهدين للآبار، كما كان يدعى القادة الايطاليون

للأسف فى تقاريرهم التى كانوا يبعثون بها عن المنطقة ذاتها بل إلى خيبة أملهم بعدم وفرة المياه اللازمة للجنود والمتوقعة. وعلى كل حال فقد اشتدت مقاومة قوات المجاهدين للقوات الايطالية الغازية واستمرت طيلة اليوم نفسه، وانتهت بانسحاب المجاهدين أنفسهم إلى الجنوب ليكوّنوا خط دفاع جديد بين رقدلين والمنشية على بعد 10 عشرة كيلو مترات إلى الجنوب من مدينة زوارة نفسها، بعد أن نقلوا الأمتعة والمعدات العسكرية من زلطن إلى منطقة المنشية، واستقرت القوات الايطالية بالمدينة. . . بعد أن قصفت منطقة النخيل الواقعة فى الجهة الغربية من المدينة نفسها، وذلك لعدة ساعات توقعاً منها أن قوات المجاهدين ربما لا زالت مختبئة بها، تتحين الفرصة لتنقض عليها من جديد.

نتائج المعركة: بلغت خسائر المجاهدين عدد 7 شهداء وبعض الجرحى، أما خسائر القوات الايطالية فلم تتحدث عنها أية مصادر، وربما لم تقع بينها على أغلب الظن لاستعمالها للأسلحة الثقيلة.

لقد أدّى سقوط مدينة زوارة هذه فى أيدى القوات الايطالية الغازية إلى حدوث تغيرات جديدة فى خط دفاع المواجهة الوطنية، ذلك الخط الذى استمر طيلة المدة الماضية قريباً من البحر، حيث ابتعد بعد هذه العملية إلى الجنوب وانحسر بالداخل. فى الوقت نفسه أدّى إلى احداث أثر سلبى بالنسبة للمجاهدين بالمنطقة مما كانوا عليه قبل معارك سيدى (سعيد) وسيدى (على) ومرجع ذلك إلى التحولات السياسية والعسكرية على حد سواء، كما أدى إلى توقف الطريق الثانى للقوافل الذى يتحرك إلى الجنوب ليصل إلى غريان مباشرة، بدلاً من مروره بمنطقة الساحل، وعلى مقربة من مدينة زوارة. باتجاه العزيزية شرقاً. مقرّ قيادة المجاهدين الرسمية، حول طرابلس حينذاك، غير أن كل هذه العوائق لم تؤثر على استمرار كفاح المجاهدين تأثيراً سلبياً واضحاً، إذ أن المقاومة الوطنية استمرت فى ظروف حسنة إلى حد ما بعد ذلك وقد لمس ذلك بوضوح فى المعارك اللاحقة.

معركة سيدى عبد الصمد(*):

جرت أحداث هذه المعركة بعد أن سقطت مدينة زوارة باسبوع ويومين أى فى الثانى من رمضان 1330هـ الموافق الخامس عشر 15 من أغسطس 1912م، وتعتبر بذلك امتداداً لحركة المقاومة الوطنية لمنطقة بوكماش وزوارة لقرب موقعها من مدينة زوارة، وزمنها من المعارك السابقة، إضافة إلى أن المجاهدين الذين خاضوا المعارك السابقة بالمنطقة هم أنفسهم الذين خاضوا هذه المعركة، حيث أنهم أعادوا تجمعهم بعد خروجهم من مدينة زوارة فى المواقع المحيطة بسيدى عبد الصمد وأرادوا بذلك مواصلة الكفاح ضد القوات الايطالية الغازية التى استقرت بالمدينة، الأمر الذى جعل القيادة الايطالية، تتحرَّك تجاههم، حيث قامت بإعداد قوات ضاربة تعيد ارسالها إلى المواقع التى تمركز بها المجاهدون[26].

إن المنطقة التى عسكرت بها قوات المجاهدين جنوب المدينة كانت تتميز عن غيرها بعدة ميزات صالحة من الناحية الاستراتيجية والعسكرية على مواجهة العدو، حيث كانت توجد هناك عدة رواب وكثبان رملية قابلة أن تكون حواجز طبيعية يحتمى بها المجاهدون أثناء المواجهة. إضافة إلى ذلك أنها تبتعد مسافة كافية عن البحر، ولا يمكن للسفن الايطالية أن تقصفها، إذ أن مدى مدفعية السفن الايطالية فى تلك الأثناء لايتعدى 50،7 كيلو متر، وأن

(*) معركة سيدى عبد الصمد: سميت هذه المعركة بعدة أسماء محلية فيقال عنها المنشية، وسيدى عبد الصمد، ويقال عنها أيضاً (سيدى ميلاد وسيدى عبد الصمد المنشيه ورقدالين» وأن هذه الأسماء تمثل المواقع التى جرت حولها أحداث المعركة، وهى لازالت معروفة حتى الآن، ورأيت أن يكون اسمها: (سيدى عبد الصمد) لتوسط هذا الموقع المواقع الأخرى، كاسم للمعركة، إذ أن منطقة المعركة تمتد مسافة 12 كيلو متراً من الشرق إلى الغرب بين المنشية ورقدالين، أما (سيدى ميلاد) فهو ضريح لاسم الولى بالمنطقة، وهو يقع على ربوة عالية صالحة للمراقبة لارتفاعها، ورقدالين قرية معروفة حتى يومنا هذا، وقد سبقت الإشارة إليها، كما أشير أيضاً إلى أن المعارك جرت حول أضرحة الأولياء، وهذا أمر راجع إلى الأهمية الاستراتيجية والعسكرية بالدرجة الأولى، ثم لخلو المنطقة من أسماء أخرى يعتمد عليها، كما أعرفها جيداً.

المسافة التى تقع بينها وبين البحر حوالى 11ك.م فى المتوسط. كما أن ظهير المجاهدين بهذه المنطقة من الجنوب محمى بوجود قيادة المجاهدين مما يساعدهم على الامداد والحركة دون تعرض القوات الايطالية لهم.

لذلك تعتبر هذه المنطقة الجديدة ذات أهمية استراتيجية بالنسبة للمجاهدين واتخذوها مركزاً لمواجهة القوات الغازية التى استقرت بالمدينة من هناك حيث تجمعت قوات المجاهدين مرَّة أخرى بعد أن خرجت من المدينة إثر سقوطها فى أيدى القوات الايطالية، وقدمت مجموعات وطنية جديدة من المناطق المجاورة فى الشرق لتساندها، وتدعِّم تصديها، حيث اكتمل استعدادها وتوزيعها على مراكز المواجهة منذ الرابع عشر(14) من أغسطس.

لقد أرادت القيادة الايطالية توسيع نطاق احتلالها باتجاه الجنوب حيث كان مركز تجمع قوات المجاهدين، وذلك لابعاد خطر تجمع قواتهم على المدينة حيث تقيم القوات الايطالية بداخلها. ونظراً لما شوهد من تحركات وطنية جنوب مدينة زوارة فقد قرر الجنرال غاريونى وضع مخطط للخروج المزمع إلى مواقع المجاهدين وعليه فقد عقد اجتماعاً موسعاً ضم كبار قادة الحملة الموجودين هناك وكان من بينهم العقيد كافاشوكى والقايد لوكيو، والعميد تاسونى، ليضع معهم خطة الهجوم الجديدة على قوات المجاهدين بالمنطقة المشار إليها والاتفاق على الترتيبات اللازمة لهذه التحركات المزمعة[27].

لقد أخذت فى الوقت نفسه قيادة المجاهدين تتقدَّم بالمثل للتمركز حول الروابى المعنية بالذكر، ودعت إلى المزيد من المتطوعين للمشاركة، وأحضرت المدفعية والذخيرة والعتاد الحربى، ولما كان شهر أغسطس من الأشهر الصيفية المتميزة بشدة الحرارة، وأن شهر رمضان قد حل، فقد تطلّب ذلك الافتاء فى الافطار، وعليه فقد عقد اجتماع موسَّع ضم قادة المجاهدين وأعيانهم وعلماء الدين والوعاظ، ممن كانوا مصاحبين لقوات المجاهدين يؤمونهم فى أداء الصلاة ويحثونهم على التضحية والفداء والامور الدينية الأخرى، واتفق المشتركون فى هذا الاجتماع على الافطار وإعلان هذا القرار على جموع المجاهدين لظروف الحرب، والحر الذى لايطاق وعليه أقدم المجاهدون على

الإفطار فى صبيحة يوم المعركة الواقعة الثانى من رمضان المبارك ليتمكنوا من التصدى للقوات الغازية، ويؤكد على ذلك الشيخ سليمان البارونى فى رسالة بعث بها إلى صحيفة الزهراء بتونس، بأن المشيخة الإسلامية أيدته فى اتخاذ هذا القرار فى برقية بعثت بها إليه(*)، وهذه أمور أقدم عليها المسلمون الأوائل فى شهر رمضان، فى بعض الغزوات التى جرت أحداثها فى هذا الشهر مثل غزوة بدر الكبرى، على أن الله لايكلِّف نفساً إلا وسعها. وقد جاء فى الآية الكريمة **﴿لايكلِّف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. . .﴾** سورة البقرة.

انتظمت قوات المجاهدين التى تحركت من زلطن والمنشية المشار إليهما، على هيئة مجموعات بقيادة، زعاماتها الوطنية منهم عبد القادر بى وسليمان البارونى، ومحمد سوف المحمودى وغيرهم، وبقيت تترقب تحركات القوات الايطالية، التى كانت مستقرة بمدينة زوارة بعد احتلالها. لأن المنطقة التى تفصلهم عن المدينة يغلب عليها الإنبساط باعتبارها سبخ، وتسمى عند أهل المنطقة «بمزرق الشمس» أى أنها منبسطة وتمتد فيها الرُّؤية مسافة طويلة، إضافة إلى أن المجاهدين لا يملكون مدفعية ميدان أو استحكام تغطى تقدُّمهم إلى الشمال، كما كان يوجد لدى القوات الايطالية[28] لكنهم يفكرون فى ذلك التقدم. لقد تحركت القوات الايطالية فى الصباح الباكر من يوم المعركة فى تشكيلتين:

الأولى: كانت بقيادة العقيد غاريونى المكلف بالقيادة العامة. وهى التشكيلة الرئيسية، وقد كُلِّفت بالهجوم على ميسرة المجاهدين بسيدى (عبد الصمد) حيث تمكنت من احتلال موقع الولى بطريقة مفاجئة ورفعت فوقه رايتها(*)، وقد كان يقودها فعلياً العميد لوكيو Loquo.

(*) ذكر ذلك فى تقارير سليمان البارونى فى كتاب صفحات خالدة، الذى جمعته ابنته زعيمة، الجزء الأول، ولا أعرف ما إذا كان يقصد بالمشيخة الإسلامية التى ارسلت إليه هذه البرقية أم لا؟

(*) نجد أن القيادة الايطالية تحرص دائماً على احتلال قلب المعركة، على اعتبار أن ذلك =

أما التشكيلة الثانية: فكانت بقيادة الجنرال تاسونى Tassoni وقد تقدمت هذه الأخيرة لتحمى ميسرة قوات لوكيو السابقة، ولّما تقدمت قوات الطابور الأول تجاه ربوة ضريح سيدى عبد الصمد لحقت بها قوات من العساكر الاريترية(*) وقبل أن تصطدم قوات لوكيو بالمجاهدين، بدأت المدفعية الايطالية قصفها بكثافة من بطارياتها المصاحبة للحملة، وذلك لتغطية تحركها. وشل حركة المجاهدين فى تصديهم للقوات المتقدمة بهدف السيطرة على ربوة الضريح، وقد كانت بطاريات المدفعية خلف قوات المشاة المتقدمة تجاه خطوط دفاع المجاهدين.

عندما شاهدت قيادة المجاهدين تحركات القوات الايطالية تجاهها دفعت بقوات مجاهدى زوارة لتتصدى لها، فى الوقت نفسه وصلت قوات وطنية قادمة من زلطن فى الغرب فأمرتها بمساندة قوات زوارة، وقد دخلت هذه القوات المعركة متأخرة أى عند الساعة 8،30 صباحاً أى بعد ساعتين ونصف من بداية القصف المدفعى الايطالى الذى بدأ عند الساعة السادسة صباحاً. وبالرغم من مجيئها متأخرة فإنها تمكنت من ايقاف تقدُّم قوات لوكيو[29].

حاولت مجموعة من قوات المجاهدين القيام بهجوم مضاد من بين العلالقه والعجيلات حسبما ورد فى التقارير العسكرية التركية، وأكد عليه الشيخ سليمان البارونى فى كتاب صفحات خالدة من الجهاد الليبى تجميع ونشر ابنته زينب، حيث استطاعت هذه القوات أن تفصل ميسرة القوات الايطالية وتضعها فى كماشة، وكانت تهدف منذ البداية إلى ذلك لتقطع عليها خط العودة، مما اضطر القيادة الايطالية إلى الدفع بالقوات الاحتياطية، فكلَّفت قوات تاسونى بالتقدم، تلك القوات التى كانت مدعَّمة بكتيبتين من

= يموه المجاهدين ويرهبهم، إذ قامت بذلك فى معركة سيدى سعيد، عندما احتلت بعض القوات موقع الضريح تحت القصف المدفعى، ورفعت فوقه الراية، وتكرر هنا ثانية عندما تقدمت قوات لوكيو، واستولت على موقع متقدم ورفعت فوقه الراية، وهو موقع ضريح الولى «عبد الصمد».

(*) ربما أن القوات التى تقدَّمت بقيت حول موقع الضريح.

جنود الرماة والدخول فى المعركة، وأن تسرع إلى انقاذ ميسرة القوات الايطالية، وتتصدى لميمنة قوات المجاهدين المهاجمة، وقد نفذت هذه القوات ما أمرت به، ولولاها لتمكنت قوات المجاهدين من محاصرة القوات الايطالية وقهرها فى هذه المعركة. وتقول بعض المصادر حول هذه المعركة أن قوات المجاهدين هوجمت وتصدت لهذا الهجوم وأجبرته على التقهقر واسقطت منه عدداً كبيراً بين جريح وقتيل، بينما تؤكد التقارير العسكرية التركية أن هجوم المجاهدين على الميسرة الايطالية تكوَّن من ألف مجاهد قاموا بالهجوم المباغت على ميسرة القوات الايطالية، وكادو يحققون نصراً باهراً لولا تدخل بقية القوات للنجدة.

ولم تتعرض بقية المصادر إلى عدد المجاهدين سوى أنها ذكرت أنه أمرت قوات من المنشية بالتقدم إلى ميسرة القوات الايطالية، وهى بادرة لمست فى كثير من المعارك الأخرى كمعركة الهانى شارع الشط وجنزور، وغيرها، لأن ميمنة المجاهدين تكون دائماً قوية، وتأثيرها فى مثل هذه الأحوال يكون مجدياً وربما كانت ظاهرة فى حركة المقاومة الوطنية.

وتضيف المصادر الايطالية، أن قوات المجاهدين تحصنت بين البساتين والمنازل المجاورة للمنشية، وهى منطقة معروفة بنخيلها وشجيراتها البرية وكثبانها الرملية، وإمكانية احتماء المجاهدين بها ميسور آنذاك، حيث اشتدت المعركة وحمى وطيسها طيلة النهار دون انقطاع، إذ تنادى المجاهدون من عدة مناطق وحاولوا بتناديهم هذا طرد القوات الايطالية، التى احتلت ربوة الضريح، واستمر الصراع محتدماً، حتى الساعة 52، 19 مساء[32]. فبدأت بوادر التعب تظهر على أفراد قوات المجاهدين، لما عانوه من عمليات الحر والكر والفر، كما حل الظلام وصعبت الرؤية، فانتهت بذلك المعركة، وافترق الخصمان، حيث عادت القوات الايطالية باتجاه الشمال والقوات الوطنية نحو الجنوب.

وقد لقى المجاهدون عناءً كبيراً فى هذه المعركة بخلاف القوات الايطالية، التى كانت تحمل إليها قوالب الثلج والماء البارد والمؤن وغيره،

حسبما ورد فى برقية الجنرال غاريونى التى بعث بها إلى روما، معرباً عن ارتياحه للدور الذى قامت به أقسام الخدمات فى تأدية وظائفها، وبأن الشاحنات ساعدت على نقل كميات وافرة من الماء والثلج للجنود المشتركين فى هذه العملية، وعملت أيضاً على انتشال الجرحى بسرعة فائقة من ساحات القتال[33]. بينما لم تتوفر هذه الإمكانيات لدى المجاهدين فى تلك الأثناء الأمر الذى جعل عناءهم مضنياً وكفاحهم مريراً لكن معنوياتهم كانت مرتفعة. ويعنى هذا أن القوات الايطالية كانت مجهزة، ومعدة إعداداً كافياً فى هذه المعركة، لمواجهة حرارة الشمس، إضافة إلى المعدات العسكرية المكونة من المدفعية المتطورة والأسلحة المختلفة، والجيوش المدربة تدريباً كافياً.

ونتساءل هنا: هل كانت لدى قوات المجاهدين هذه الاستعدادات والإمكانيات والإجابة على هذا السؤال تكون بطبيعة الحال بالنفى، فقد كانوا يفتقرون حتى إلى الماء فإنه لايصل إلى مراكز المجاهدين، إلا بصعوبة فائقة لشدة القصف المدفعى الايطالى ومراقبة مواقع المجاهدين هذه بدقة، حيث إن المنطقة التى جرت بها المعركة عارية إلى حد ما، والتحرك فيها كان صعباً باعتبارها مكشوفة، وما بقى من يمكن أن ينقل الماء إلا النسوة اللاتى خاطرن بأرواحهن فى هذه المعركة، وساهمن مساهمة فعالة، فى قيامهن بهذه المهمة، وقد ذكر سليمان البارونى فى رسالة بعث بها إلى جريدة الزهراء، ودونت بمذكراته أيضاً بصفحات خالدة، دور نساء زوارة شاكراً لهن صنع ما قمن به فى سقاية المجاهدين، يوم المعركة بقوله «لله نساء زوارة» موضحاً «بينما كنت متوجهاً من الجناح الشرقى إلى الجناح الغربى ومعى الدكتور الحاذق عبد السلام أفندى الطرابلسى وبعض فرسان المجاهدين صادفنا بين كثبان الرمل نساء يحملن الماء فى القرب والجرار، ومنهن من يخجل البدر محياها، ولم تحمل منذ خلقت على ظهرها غير ازارها الحريرى، ومعهن خادم سودانية، فقالت: اتعطى لنا الرخصة فى الإفطار مثل الرجال، فقلت نعم لكنَّ ذلك وأنتن مجاهدات أيضاً، فقالت إن نفوسنا تسمح لنا بذلك إذ لاشغل لنا سوى ما نقوم به من إسقاء المجاهدين فى مثل هذا اليوم، وذهبت هى ومن معها.

وكان العدو قد رآنا وصوّب نحونا مدافعه فكمنّا وراء الرمل بخيلنا نحو نصف ساعة، ثم بلغنا، أن النسوة وصلن إلى المتريسات «المتريزات» ووزعن ما حملنه من الماء على المجاهدين، جبراً، وكانوا فى أشد ما يمكن من العطش، ورجعن بعد ساعات، وهكذا رأينا كثيراً من النساء يتسللن من المواقع المنخفضة للوصول إلى المتريسات بالماء والعدو يرميهن بالقنابل ظنّاً منه أنهن رجال أو علماً منه أنهن يحملن الماء ولا يرهبن من ذلك، لله نساء زوارة».

4 رمضان / سليمان البارونى[34]

ويستشفُّ مما طرح فى هذه الرسالة أن النسوة قمن بدورهن بشجاعة وأنهن كن يساندن الرجال فى هذه المعركة، وقد اقتصر الشيخ سليمان البارونى فى ذكره هذا الدور على نساء زوارة، غير أنه ذكر أن كثيراً من النسوة كن يتسللن إلى خطوط المواجهة الوطنية، ويعنى هذا أن المساهمة هذه، لم تقتصر على نساء زوارة فقط كما ذكر فى هذه الرسالة، لكنه من قابل من النساء كن من نساء زوارة.

وتعتبر المرأة عنصراً فعّالاً فى المجتمع، وسنداً رئيسياً للرجل فى كل ميدان، وأن المرأة تحب أقربائها وتخاطر من أجلهم، وقد يدفعها حبها هذا إلى المجازفة بالقيام بمثل هذا العمل، الذى يراه سليمان البارونى.

إن المتتبع لحركة المقاومة الوطنية فى بقية المعارك الأخرى، يلمس دور المرأة هذا بوضوح، فى حمل المياه والمؤن، وتضميد الجرحى، وتشجيع المجاهدين بزغاريدها، وأحياناً فى مقارعة الأعداء، كما حدث فى معارك قرقارش فى يناير 1912م حول طرابلس، وكذلك فى المعارك التى جرت حول درنة وبنغازى، خلال 1912م.

ولم تزود قوات المجاهدين الشاحنات ولا العربات ولا فرق الخدمات، بالثلج والمؤن والماء، مثلما زُوِّدت القوات الايطالية المواجهة لهم بحاجتها، وإنما قلة من النسوة قمن بذلك أمام القصف المدفعى، مما يؤكد المعاناة التى

قاساها المجاهدون أثناء المعركة تحت لفح حرارة الشمس المحرقة المعروفة فى شهر أغسطس.

وقد انتهت المعركة حسبما ذكر بانسحاب قوات المجاهدين، وتراجع القوات الايطالية، بعد أن تركت قوة قرب المواقع، التى استولت عليها أثناء المعركة كما جاء فى البرقية، التى بعث بها غاريونى حول المعركة نفسها فى اليوم الثانى 16 أغسطس 1912م إلى روما، موضحاً «أن قوات كافاشوكى تركت بالمرتفعات» ويقصد بذلك موقع المعركة نفسه. وأضاف «أنه قامت كوكبتان من سلاح الفرسان تساندها كتيبة العساكر الأهلية السادسة بجولة استطلاعية جديدة يوم أمس فى المنطقة المحيطة بسيدى عبد الصمد ووفقت فى اكتشاف الأرض إلى ما وراء الجميل والمنشية فوجدتها خالية تماماً من قوات المجاهدين»[35].

ويتضح من نتائج هذه المعركة أنه قتل 6 ضباط، و98 جندياً منهم خمسة ضباط جرحوا من القوات الايطالية. حسبما ورد فى التقرير الايطالى حول المعركة، بينما يوضح فون غريفنتش أن عدد القتلى الايطاليين بلغ 5 ضباط قتلى، و122 جندياً بين قتيل وجريح، ويثبت فرانشيسكو ماجيرى فى كتابه الحرب الليبية الايطالية أن قتلى هذه المعركة بلغ 8 قتلى و 119 جريحاً، ومحمد صالح الجابرى يوضح أن خسائر القوات الايطالية بلغ 300 جندى بين قتيل وجريح كان من بينهم 5 ضباط ويتضح أن التفاوت بين هذه التقارير لم يكن كبيراً فى صفوف القوات الايطالية، وأرى أن متوسطها ما بين 120 ـ 150 جندياً وضابطاً بين قتيل وجريح، إذا وضع فى الاعتبار أن الإمكانيات الايطالية كانت كبيرة، وأخذ فى ذلك مبدأ الاجتهاد والتخمين، واضعين فى ذلك شدة المقاومة الوطنية، التى نوهت بها التقارير الايطالية نفسها، تلك التقارير التى وردت فى كتاب ماجيرى. وعلى مدى اهتمام المجاهدين لهذا الموقع لأهميته الاستراتيجية بالنسبة لهم.

أما خسائر المجاهدين، فقد كانت حسبما أعلن عنها، فى تقرير الشيخ سليمان البارونى الذى بعث به إلى صحيفة الزهراء بتونس بتاريخ الرابع من

رمضان 1330هـ، أى بعد المعركة مباشرة بلغت 20 عشرين شهيداً، أما الجرحى فقد بلغ عددهم 60 ستين جريحاً[36] ويتفق هذا الخبر مع ما ذكرته التقارير التركية عندما أوضحت أنه استشهد عشرون مجاهداً وجرح (80) ثمانون مجاهداً آخرين.

إن تقرير الشيخ سليمان حدد الشهداء بين زوارة والعجيلات، فى ذكره «أنه استشهد عشرون مجاهداً منهم 15 شهيداً من زوارة و(5) خمسة شهداء من العجيلات، فى الوقت الذى شاركت فى هذه المعركة عدة قبائل أخرى وتؤكد على ذلك التقارير العسكرية التركية، بتحرك قوات من زلطن من الغرب مكونة من سكان المنطقة والمتطوعين من الجبل الغربى، وحدد لها أن تستقر قرب سيدى عبد الصمد، كما ورد أيضاً ذكر هجوم العلالقة والعجيلات على مؤخرة القوات الايطالية من جهة الميمنة.

وعلى كل حال فمتوسط خسائر المجاهدين حسب اجماع التقارير التى توفرت لدينا، كان حوالى المائة مجاهد بين قتيل وجريح.

والمتتبع للتقارير العسكرية الايطالية حول هذه المعركة، يجدها تبالغ فى خسائر قوات المجاهدين، وتقلل من خسائرها، وتتبجح بدور الضباط والجنود الايطاليين، حتى أن بعض الصحف كانت تنتقدها، حيث ورد فى إحداها بالقول «إذا غنموا جملاً قالوا: قافلة، وإذا اخسروا خمسة قالوا: خمسمائة، وإذ انهزموا وولوا الادبار قالوا: رجعوا إلى استحكاماتهم بعد استطلاع، وظفروا فيه بالمجاهدين وفتكوا بهم فتكاً...»[37]. هذه حقيقة واقعة اتفق فيها مع كاتب هذا المقالِ إلى حد كبير لما لمس من بعض التقارير التى كانت ترد إلى روما حول التحركات العسكرية الايطالية، فى مدى اهتماماتها بالجنود الايطاليين، تلك الاهتمامات، التى تضمنتها برقيات القادة، التى كانوا يبعثون بها من وقت لآخر حول تحركاتهم بالمنطقة. وقد ثبت فى ذلك حول هذه المعركة «إن المجاهدين خلفوا وراءهم العديد من القتلى والجرحى» ويضاف فى قولهم أنهم غنموا كمية من الأسلحة، غير أن هذا لم يتأكد من الجانب

الوطنى، فى روايات المجاهدين الذين شاركوا فى هذه المعركة وبقوا على قيد الحياة، حتى تم تسجيلها منهم.

والواقع أن الأسلحة كانت محدودة جدّاً لدى المجاهدين، ويصعب عليهم تركها فى ساحة المعركة مهما كلَّف الثمن، ربما يترك الجندى الايطالى سلاحه ويفر عند الضرورة، لكن المجاهد العربى الليبى لا يمكن أن يترك سلاحه، حتى إذا استشهد يأخذه أقرب مجاهد آخر منه، ويرجع به، حفاظاً على الإستفادة منه مرّة أخرى، الأمر الذى يؤكد مدى التبجح الايطالى من ناحية ويبطل ما كانوا يبعثون به من تقارير حول أدوارهم العسكرية فى بعض المواضيع من ناحية أخرى. إذا أن المجاهدين كانوا يتحصلون على الأسلحة بصعوبة بالغة، وخاصة فى مثل هذه المعركة التى جاءت متأخرة، عندما ضعفت حركة الإمداد، التى كانت تأتى من تونس، نتيجة مساعى الصلح المبذولة حينذاك من قبل الدول الأوروبية، ومن ايطاليا وتركيا أيضاً.

التقييم: استهدفت القيادة الايطالية من خوض هذه المعركة التى أعدت لها كامل إمكانياتها العسكرية، تفريق تجمعات المجاهدين، بالموقع الذى جرت فيه المعركة، عندما كانوا يعدُّون العدة للهجوم على المدينة، أو مواجهة تحركات القوات الايطالية إذا ما تقدمت إليهم منها.

وبالرغم مما حدث للمجاهدين فى هذه المعركة فقد تصدُّوا للقوات الغازية يوماً كاملاً تحت لفح حرارة شمس أغسطس فى العراء بين الكثبان الرملية فى جبهة قتال تزيد على عشرة كيلو مترات، بإمكانيات متواضعة ساهمت فيها المرأة بدورها فى نقل الماء.

وقد نتج من جرَّاء أحداث هذه المعركة، أن تحولت قوات المجاهدين إلى سهل الجفارة، وابتعدت بذلك عن مناطق العمران الموجودة بالساحل، وحرمت من مواردها، تلك الموارد التى كان على رأسها، النخيل وثماره، والزراعة المروية، الأمر الذى جعل قوات المجاهدين تتوقف عن المعارك المنظمة، ومهاجمة القوات الايطالية بشكل مكثَّف، حتى تم توقيع معاهدة

اوشى لوزان فى اكتوبر 1912م، بل اقتصرت المحاولات الوطنية على بعض المناوشات والمحاولات الليلية، التى كـان يقوم بهـا بعض المجاهـدين، على المعسكرات الايطالية حول مدينة زوارة.

أما بالنسبة للقوات الايطالية فقد تمكنت من توسيع نطاق احتلالها فى منطقة الجميل، وامتد نفوذها حتى بلدة العجيلات، حيث استولت عليها فى 3 من سبتمبر 1912م. ثم بدأت تخطط إلى مد نفوذها إلى الشرق مع طول الساحل، حتى مدينة طرابلس، وذلك بتحريك قوات طرابلس من جنزور إلى سيدى بلال، وقد حدث ذلك فعلاً وتصدى لها المجاهدون المرابطون هناك فى معركة 20 من سبتمبر 1912م.

وقد تقدمت القوات الايطالية المرابطة حول مدينة زوارة إلى الشرق عن طريق البحر لمحاصرة «مرسى زواغة» بقصد احتلاله، بينما استمرت قـوات المجاهدين تتحين الفرصة بمنطقة سهل الجفـارة، للقيام بهجـوم مضاد عـلى المعسكرات الايطالية.

فى الوقت الذى كانت تجرى فيه المعارك حول بوكماش، كان هناك تحرك سياسى قامت به الدول الأوربية الاستعمارية حينذاك (بريطانيا فرنسا روسيا ألمانيا والنمسا) وذلك لحسم الصراع بين تركيـا وايطاليـا متناسيـة حق الشعب العربى الليبى، كما كان يرمى هذا التحرك السياسى إلى المحافظة على المصالح الاستعمارية بشرق البحر المتوسط والوطن العربى.

إن الدول الأوروبية كانت تخشى الدولة العثمانية وتهابها، وتريد ألا تتأثر بالتحرك الايطالى فى بحر ايجة والبحر الأحمر، حيث أن تركيا كانت تعتبر حامية الحرمين، ويمكن لها أن تستغل العاطفة الدينية بالوقوف فى وجه الاستعمار أينما كان، غير أن ذلك لم يحدث.

لقد قامت تركيا، عندما اعتدت القوات البحرية الايطالية بضرب مدخل مضيق «الدردنيل» بإغلاق ميناء اسطمبول حفاظاً على سلامة أراضيها. وحجزت به (15) خمسة عشر سفينة روسية كانت محملة بالقمح من جنوب روسيا، قاصدة

البحر المتوسط خلال ضائقة عام 1912م، الأمر الذى جعل الدول الأوروبية المعنية بالذكر تشعر بخطورة الموقف، وتتدخل لحل قضية الميناء هذه فتدخل سفراء هذه الدول المعتمدون بكل من روما، واسطمبول للسماح المسفن المحجوزة بالخروج فى أقرب وقت، حتى لا يتلف القمح المخزّن بها[38] وقد تم لهؤلاء السفراء، الاتصال بالصدر الأعظم رئيس وزراء تركيا، والاتفاق معه على فتح مضيق البسفور، وكان على رأسهم السفير الروسى لتخوفه من فساد القمح الذى كان على ظهر السفن، التى حجزت بالميناء. استمرت المفاوضات والاتصالات عدة أيام، حتى اقتنع الصدر الأعظم بفتح الميناء، وخروج السفن، بدون شروط معينة، فى الوقت الذى كان يمكن لتركيا أن تستغل هذا الظرف الحرج، الذى وقعت فيه الدول الغربية المساندة إلى حد ما إلى ايطاليا، لكنها لم تستطع المجاهرة أمام تركيا بذلك، وسنحت الفرصة لها، بالوقوف أمام تحديات الحكومة الايطالية. كما أن ايطاليا نفسها، شعرت بخطورة الموقف هى الأخرى، وذلك عندما طال أمد الحرب فى ليبيا دون أن تحقق نجاحات تذكر بالرغم من محاولاتها العسكرية ضد المجاهدين داخل البلاد بفتح العديد من الجبهات على طول الساحل الليبى، وجلب المزيد من القوات العسكرية من ايطاليا، وخارجها ضد الحكومة التركية بقصف موانئ اليمن على البحر المتوسط، ومساعدة الشريف الإدريسى بالحجاز واحتلال جزر الدوديكانيز فى بحر ايجة، وتهديد الموانئ التركية نفسها فعملت على الاتصال بالساسة الاتراك لتستوضح وجهة نظرهم ومدى اقتناعهم بفكرة المفاوضات وحل قضية ليبيا سلميّاً فيما بينهما دون تدخل الدول الأخرى. إذ كلّف جيوفانى جيوليتى Giofani Gioletti رئيس الوزراء الايطالى، جوسيبى فولبى الذى كان سفيراً بصوفيا، بالاتصال بالساسة الاتراك، فعمل بدوره على ذلك بالتعاون مع (نوقارا) أحد المسئولين فى شركة الشرق التجارية التى كان فولبى نفسه رئيسها، ومكّنه من الاتصال بكبار الساسة الاتراك، حيث ذهب إلى الآستانة فى أول يونيو وتقابل مع سعيد حلمى باشا رئيس الوزراء حينذاك وقد اتفق معه على بعض الأمور ثم جاهد بك الذى عبَّر عن رفضه صراحة الحلول التى تقدَّم بها ڤولبى المبعوث الشخصى لرئيس الوزراء الايطالى، بخلاف بقية الساسة الاتراك الذين كان يظهر عليهم نوع من الرضا.

رجع ڤولبى إلى البندقية فى 15 يونيو 1912م وكتب فور وصوله تقريراً عن زيارته أرسله إلى جيولتى أوضح فيه الطريقة التى يمكن القيام بها تجاه الدولة العثمانية. كما عملت فى الوقت نفسه حكومة تركيا على إيجاد وسيلة لإنهاء حالة الحرب فى ليبيا، ورأت من مصلحتها، القيام ببعض النشاطات السياسية، للضغط على الدول الأوروبية بالوقوف إلى جانبها فى هذا الموضوع وذلك بفتح ميناء اسطمبول المشار إليه سلفاً، عندما أقفل، وحجزت به مجموعة من السفن حيث استجابت للوساطة التى قام بها سفراء الدول المعنية بالأمر أيضاً.

لقد اتضح من خلال التطورات السياسية والعسكرية على الساحة الليبية أيضاً اقتناع ايطاليا بضرورة التفاوض مع الدولة العثمانية، كما اقتنعت تركيا عندما لمست خطورة التهديدات الايطالية، على الرغم من أنها حاولت مواجهة ايطاليا والتصدى لها فى بحر إيجة، وقامت بطرد أفراد الجالية الايطالية الذين كانوا يقيمون بالأراضى التركية، وكان عددهم حوالى 50،000 ورفعت الرسوم الجمركية على السلع الايطالية إلى 100% وهى عملية لم تقم بها عندما بدأ الغزو الايطالى على ليبيا، غير أن الأمور بدأت تنعكس على تركيا، وأخذت الرياح تجرى عكس ما تشتهيه السفن، حيث حدث اتفاق مشترك بين دول البلقان الأربعة «الصرب وبلغاريا، واليونان والجبل الأسود» فى الانفصال عن تركيا، والثورة عليها، الأمر الذي جعل تركيا تعيد النظر فى سياستها الخارجية، وتستعد لمواجهة الخطر الذى أصبح يهددها فى عقر دارها، فعملت على إعداد قوات هائلة لمواجهة التحدى البلقانى الذى بدأ منذ شهر أغسطس، أى عندما كان مجاهدو المنطقة المعنية بالدراسة يخوضون المعارك جنوب مدينة زوارة[40].

وعليه فقد غضت تركيا الطرف عما كان يجرى بليبيا بعض الشيء، مما أثر فى نشاط الحركة الوطنية على الأرض الليبية لظروف أهمها:

1 ـ اهتمام الحكومة التركية بتوتر الموقف فى بحر إيجه والبلقان، والعمل على اخماد الثورات الداخلية، التى كانت قائمة بسبب الرفض لحكومة الاتحاد والترقى التى كانت قد أطاحت بالسلطان عبد الحميد الثانى، وعينت أخاه محمد رشاد

الدين عام 1909م ثم لإعداد قوات فاعلة كان من بينها تدريب 70،000 مقاتل باسطمبول نفسها لتحميها إذا ما تعرضت إلى أى اعتداء خارجى[41].

2 ـ اشتداد مراقبة الأسطول الايطالى للشاطىء الليبى من الشرق إلى الغرب لمنع اقتراب السفن القادمة إليه من غير السفن الايطالية، التى كانت تجلب المؤن.

3 ـ نقص الإمدادات التى كانت تجلب من تونس بفضل موقف السلطات الفرنسية ذلك الموقف الذى أصبح أكثر تأييداً للايطاليين، بعد أن تحسنت بينهم العلاقات وتشديد المراقبة على الحدود التونسية الليبية، ومنع أى قافلة يمكن أن تصل الى المجاهدين إلا بصعوبة بالغة.

4 ـ ابتعاد قوات المجاهدين عن خطوط دفاعها التى اعدتها فى بداية المقاومة لضغط القوات الإيطالية واستعدادها وتطور أسلحتها وذلك بعد أن زحزحتهم من مواقعهم المتقدمة حول بوكماش وسيدى سعيد ومطاردتها لقوات المجاهدين، إذ أنها لم تترك الفرصة لها، حتى تتمكن من وضع استراتيجية جديدة للمواجهة، وهذه عملية تحتاج كما هو معروف فى النظم العسكرية إلى بعض الوقت، إضافة إلى أن القيادة الايطالية قامت باحتلال مراكز جديدة على الساحل، كان من بينها مدينة مصراتة عن طريق البحر فى شهر يونيو 1912م، وذلك بقصد تشتيت الجهود الوطنية، الأمر الذى جعل قيادة المجاهدين توجه جزءاً من قواتها إلى هناك، لتوقف حركة التوسع الايطالى بالمنطقة، بدلاً من تكريس الاهتمام بمنطقة الخمس وطرابلس وزوارة، وتعويض خطوط المواجهة بهذه المناطق بقوات جديدة من المناطق الأخرى مثل مصراتة، حيث أنه منذ أن تعرضت مصراتة للاحتلال توجّه السيد الشريف لقواته من جبهة الخمس إلى هناك وكان من بينهم مجاهدو زليطن ومصراته. على اعتبار أنهما أقرب إلى مصراته.

بالرغم من المعطيات السلبية المشار إليها، فقد استمرت المقاومة الوطنية على طول الساحل الليبى، وبمنطقة زوارة موضوع القصيد أيضاً، حيث تحولت القوات التى كانت متواجدة حول زوارة إلى سهل الجفارة، واستقرت حول

«معاطن المياه» لتسد منها حاجتها من مياه الشرب، فاستقرت مجموعة زوارة حول الزرير، والعلالقه والعجيلات حول بئر «سانية الأكلال» كما استقرت مجموعات أخرى بالحوض، ورجعت بقية القوات إلى بلدانها.

وقد تركت المنطقة الساحلية الواقعة بين صرمان والحدود التونسية شبه خالية من السكان بتحولهم إلى سهل الجفارة كما اتضح لمواصلة الكفاح الوطنى[42].

أخذت المقاومة الوطنية شكلاً جديداً فى محاربتها للقوات الايطالية، إذ اعتمدت حرب العصابات، والعمليات الفدائية، بالإغارة ليلاً على معسكرات القوات الايطالية حول مدينة زوارة، حيث وضعت القيادة الايطالية قوات برقدالين لتوقف حركة الإمداد باعتبارها ملتقى طرق القوافل. وحوّلت الحامية التى كانت مرابطة بسيدى سعيد إلى زوارة فى 27 أغسطس 1912م،[43] كما قامت قوات المجاهدين بغارة ليلية ناجحة فى نهاية أغسطس على أحد المعسكرات الايطالية هناك، وغنمت فى هذه الغارة حوالى 700 شاة وتمكن المجاهدون من الخروج بها من نطاق الحصار الايطالى ليلاً، ولما علمت القوات الايطالية بذلك، أرسلت قوات لمطاردتهم قوامها (500) خمسمئة مقاتل بمعداتهم العسكرية، فاصطدمت بهم، وتمكن المجاهدون بعد معركة قصيرة من هزيمة هذه القوة، وردتها على أعقابها بعد أن غنموا منها (11) إحد عشر حصاناً وأربعة سيوف حسبما ورد فى تقرير سليمان البارونى حول هذه المعركة[44].

ولما تعدَّدت غارات المجاهدين على المعسكرات الايطالية بالمنطقة، قامت القوات الايطالية بتوسيع نطاق احتلالها، حتى بلدة العجيلات لتضع خط مواجهة جديد فى الجنوب ما بين قصر بوعجيله حتى رقدالين مروراً بالجميل، لذلك قامت قوة ايطالية بالتوجه إلى قصر بوعجيله «وهو عبارة عن مبنى قديم كان مقراً للحاكم التركى بالمنطقة، حيث تم احتلاله من هذه القوة فى الثالث من سبتمبر 1912م دون مقاومة تذكر لبعد هذه المنطقة عن مركز تواجد المجاهدين بسهل الجفارة، ولمفاجأتهم بذلك غير أن المجاهدين استمروا فى عملياتهم الفدائية ليلاً حيث سددوا غارة ناجحة أخرى فى السابع من سبتمبر على معسكر قرب مدينة زوارة، شهد به الايطاليون أنفسهم فى تقاريرهم العسكرية[45].

وقد استمرت قوات المجاهدين تتحين الفرصة للانقضاض على القوات الايطالية بقصر بوعجيلة غير أن الفترة التى سبقت ذلك حدثت فيها بعض المواضيع التى عطلت ذلك بعض الشيء حيث تم توقيع معاهدة اوشى لوزان بين الايطاليين والاتراك وبدأ الاتراك بالانسحاب من ليبيا وتحولت قيادة المجاهدين من العزيزية إلى الرابطة ثم يفرن إلى غير ذلك من المؤثرات السلبية الأخرى. ثم اقامة خط دفاع جديد يمتد من بئر الغنم حتى مشارف زوارة حيث كان مجاهدو هذه المنطقة يمثلون ميسرته بقيادة محمد سوف المحمودى.

لقد اعتمدت القيادة الوطنية بالمنطقة الهجوم على القوات الايطالية التى احتلت قصر بوعجيلة، فاتخذت لذلك مخططاً بعث به سليمان البارونى إلى محمد سوف المحمود، موضحاً الطريقة التى يجب أن يكون عليها هذا الهجوم المزمع القيام به على القوات الايطالية المشار إليها سلفاً موصياً المجاهدين باقتحام القصر والاستقرار به مع الاهتمام بحراسة الجهة الغربية منه خوفاً من قدوم نجدة ايطالية من زوارة، ثم من جهة الشرق تحاشياً لقدوم نجدة ايطالية من جهة طرابلس، كما نصح أيضاً بالاستيلاء على كافة الأسلحة التى يجدونها بالقصر، وبعدم الاعتداء على أموال المسلمين وقتلهم، ويقصد بذلك الذين عز عليهم الخروج من مزارعهم إلى سهل الجفارة مع بقية المجاهدين الرافضين لهذا الاحتلال، وذلك عندما زحفت القوات الايطالية على المنطقة، إذ إنها لّما احتلت «قصر بوعجيلة» هذا تركت بقية الأحياء المجاورة له كما هى عليه دون أن تبسط عليها سيطرتها، وإن بعض المواطنين بقوا فى مزارعهم وبيوتهم الأمر الذى جعل سليمان البارونى يوصى باحترام ممتلكاتهم، كما أوصى أيضاً بأسر الجنود والضباط الايطاليين[46].

استعدت قوات المجاهدين عند المساء، بتنادى رجال القبائل القارّة سهل الجفارة، فى مكان واحد، وأكّدت على القيام بالهجوم ليلاً، واتفقت على أن تتحرك جموع المجاهدين تحت جنح الظلام، فى مساء اليوم نفسه، لكى لايكشف أمرها من قبل القوات الايطالية وعرقلتها قبل تنفيذ مهمتها المقصودة، ويؤكد بعض المجاهدين أن مجموع قوات المجاهدين التى قامت بالهجوم تقدر بحوالى (120) مائة وعشرين رجلاً بين فارس وراجل.

بدأت حركة المجاهدين هذه من مركز تجمعها الأول صوب الشمال، بقيادة الشيخ محمد سوف المحمودى، ومشائخ وأعيان القبائل، كان من بينهم الشيخ مصباح بن كريديغ من العلالقه والشيخ ضو سلامة العجيلى من العجيلات[47]، وقد وصلت هذه القوات قصر بوعجيله عند الفجر كما أراد لها قادتها، ثم أحاطت بالقصر نفسه من جميع الجهات تحسُّباً لقدوم نجدات من إحدى الجهات، وقطعت خطوط الاتصال الهاتفية المرتبطة بالقصر قبل الشروع فى عملية الاقتحام. ويقال إن مجموعة العجيلات أحاطت بالقصر من جهة الغرب، وإن مجموعة العلالقة احاطت به من جهة الشرق، على اعتبار أن العلالقة موطنهم شرق القصر، وأن العجيلات بالغرب منه، بينما كلفت بقية المجموعات بالهجوم على القصر فكان لها ذلك، حيث إنه بمجرد أن علم الجنود الايطاليون بهذا الهجوم المباغت لاذ معظمهم بالفرار، ولم يبق إلا عدد قليل أبدى بعض المقاومة التى راح ضحيتها عدد من المجاهدين، كان على رأسهم الشيخ مصباح بن كريديغ، والشيخ ضو سلامة العجيلى، المعنيين بالذكر فيما سبق، وأن أشرنا بالخصوص، أما البقية فلم تثبت معرفة أسمائهم، واحتلت قوات المجاهدين القصر، بعد فرار بقية الجنود لكنها لم تستقر به، كما كان مقرّراً، إذ تراجعت بعد أن دخلته وجمعت ما وجدته من أسلحة ومعدات عسكرية، وعادت بها إلى حيث كانت قبل الهجوم.

ويؤكّد تقرير جون.ك.وود Jowon.K.Wood المراسل العسكرى الأمريكى، أن هذه المعركة حدثت مساء 28 فبراير 1913م أى بعد احتلال القصر بشهرين تقريباً، وذكر أنه اشترك فى هذا الهجوم حوالى (2000) ألفا مجاهد بخلاف ما جاء فى روايات المجاهدين، حيث قامت قوات المجاهدين مساء التاريخ المعنون سلفاً، واتجهت صوب القصر حتى وصلته فجر اليوم التالى، وهاجمته فعلاً واحتلته، وقد أصابت بعض أفراد القوات الايطالية التى كانت به، غير أن هذه القوات لم تبق به، حيث تراجعت بعد أن أخذت ما وجدته دون أن تترك به قوات، وهو ما اتفقت المصادر بشأنه. ولم تؤد هذه العملية بالرغم من نجاحها إلى نتائج تذكر.

استمرت قوات المجاهدين بسهل الجفارة فى ظروف سيئة للغاية، لابتعادها عن الساحل، إذ أن الجفارة لا توجد بها زراعة مروية حينذاك لقلة المياه، ولا تصلح كما هو معروف إلا للزراعة الموسمية، التى تعتمد على المطر، كالقمح والشعير، وأن تواجدهم بهذه المنطقة جاء فى نهاية فصل الصيف فى الوقت الذى كان الجفاف على أشده، حتى أحداث معركة جندوبة.

المعلوم أن التطورات السياسية التى واكبت حركة المقاومة الوطنية منذ البداية وتدخلت فيها معظم الدول الأوروبية بدأت تجنى ثمارها، عندما اقتربت وجهات النظر بين الدولتين المتحاربتين «ايطاليا وتركيا» لحل قضية ليبيا فيما بينهما سلمياً دون مراعاة مصالح المجاهدين الليبيين وأوضاعهم، وانتهت المفاوضات الفعلية بين الدولتين بتوقيع معاهدة أوشى لوزان بسويسرا فى 18 اكتوبر 1912م تلك المعاهدة التى أسفرت عن تنازل تركيا عن ليبيا لايطاليا وسحب قواتها من ليبيا، وترك بذلك الليبيون يواجهون مصيرهم أمام ايطاليا الغازية، بأنفسهم دون الاتراك، وحدثت من جراء هذه الاتفاقية عدة نتائج سلبية، كانت فى غير صالح المجاهدين الليبيين تمثلت فى:

1 ـ تحول قوات المجاهدين التى كانت ترابط حول طرابلس إلى غريان وكذلك القوات التى كانت مرابطة حول الخمس وزوارة، وانسحاب الجنود والضباط الاتراك من ساحات المعارك على طول وعرض خطوط المواجهة من طبرق شرقاً حتى زوارة غرباً، فارتبكت بذلك الزعامات الوطنية، حول مواصلة القتال، أو الرضا بالأمر الواقع، ولّما كان مجاهدو المنطقة المعنية بالدراسة مرتبطين بما كان يجرى حول طرابلس، فإنهم اكملوا كما اتضح خط الدفاع الذى أقامه المجاهدون بسهل الجفارة ما بين زوارة غرباً حتى غريان شرقاً، وواصلوا الرفض للاعتداء الايطالى وهاجموا القوات الايطالية كما تبين سلفاً.

2 ـ لقد مثّل مجاهدو هذه المنطقة ميسرة خط الدفاع الوطنى من جهة الغرب متكاتفين مع بقية المجاهدين الذين تزحزحوا إلى جنوب طرابلس حيث

منطقة الرابطة، وتصدّوا للقوات الايطالية التى انتشرت بالساحل وسهل الجفارة، وذلك عندما جرت أحداث معركة جندوبة فى 23 مارس 1913م.

3 ـ لما جرت أحداث معركة جندوبة بين قوات المجاهدين والقوات الايطالية بالجبل الغربى، كانت قد انتهت بهزيمة المجاهدين، فشتتت بذلك جموعهم وتفككت قيادتهم التى كانت موحّدة قبل ذلك، الأمر الذى جعل هذه القوات تنقسم إلى عدة أجزاء، جزء انسحب إلى منطقة الجنوب (فزان) بقيادة الشيخ «محمد عبدالله البوسيفى» وذلك لمواصلة الكفاح بمنطقة الشاطىء فخاضوا هناك عدة معارك ضد حملة ميانى إلى فزان فيما بعد، وكان من أشهر هذه المعارك معركة محروقة 24 ديسمبر 1913، التى استشهد فيها، محمد عبدالله البوسيفى واستقروا هناك يتحينون الفرصة للانقضاض على القوات الايطالية التى اجتاحت منطقة فزان حتى غات فى 12 أغسطس 1914م.

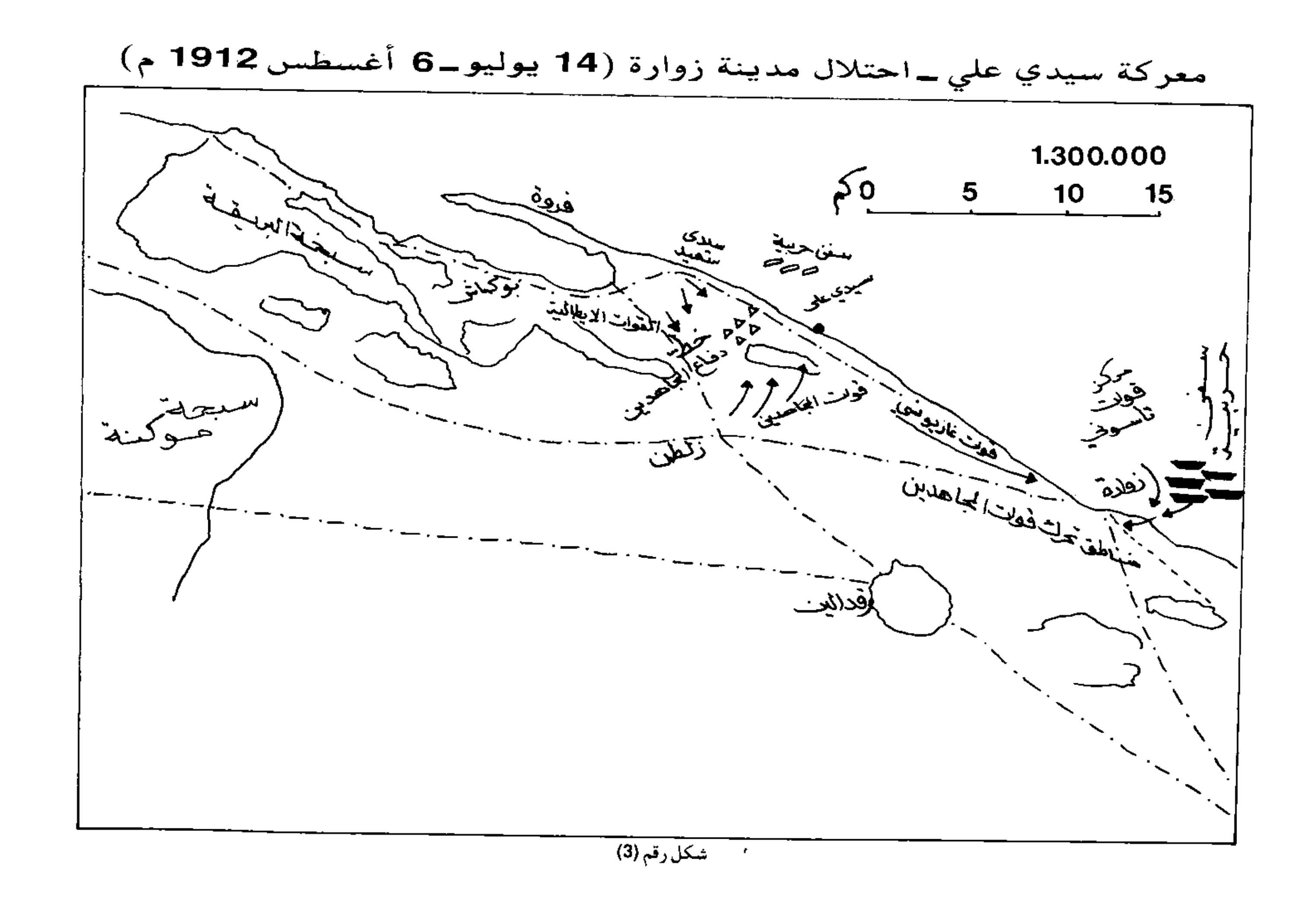
4 ـ أما الجزء الثانى فقد انسحب إلى الحدود التونسية الليبية فى الغرب رافضاً بدوره الاحتلال الايطالى وكان بقيادة الشيخ سليمان البارونى، ومحمد سوف المحمودى وغيرهم من الزعماء والأعيان وكان من بينهم مجاهدو المنطقة المعنية بالذكر وقد هاجروا من هناك إلى تونس، وواجهوا معاناة سيئة عندما اجتازوا الحدود التونسية الليبية من قبل السلطات الفرنسية، الأمر الذى عرَّض بعضهم للمرض والموت، والضياع نتيجة الجوع والعطش، ومشقة السفر لقلة الزاد والركوبة، وبمجرد أن دخلوا تونس أخذوا منهم أسلحتهم ووجهوهم إلى مناطق معينة رجع معظمهم خلال سنة فقط من هجرتهم لمواصلة الكفاح ضد الايطاليين.

5 ـ بالرغم من تمكن القوات الايطالية من التوسع فى سواحل البلاد الليبية بعد معاهدة أوشى لوزان، وذلك فى حملة ميانى المعروفة، فقد قامت ضدهم الثورة مرَّة أخرى وأرجعتهم إلى الشمال، وبمجرد أن عاد الذين هاجروا إلى تونس 1914م، استؤنفت المعارك من جديد وذلك عندما عادت القوات الايطالية إلى زوارة، حيث اشتدت المقاومة الوطنية بالمنطقة المعنية بالذكر، وبدأت المعارك من جديد حول مدينة زوارة حيث تجمع المجاهدون

من المجاورة فى منطقة العجيلات والعلالقه وبدأ الكر والفر بين المجاهدين والايطاليين حتى سنة 1918م بتلك المنطقة وتنادى المجـاهدون من منـاطق بالساحل والجبل الغربى بالرغم من الحصار الايطالى على حركة المجاهدين كما تخللت حركة المقاومة العسكرية هذه بالمنطقة عدة أحداث سياسية ارتبط بها أهل المنطقة كان من بينها تكوين الجمهورية الطرابلسية ومفـاوضات فنـدق الشريف، والقانون الأساسى إلى بقية الأحداث الأخرى.

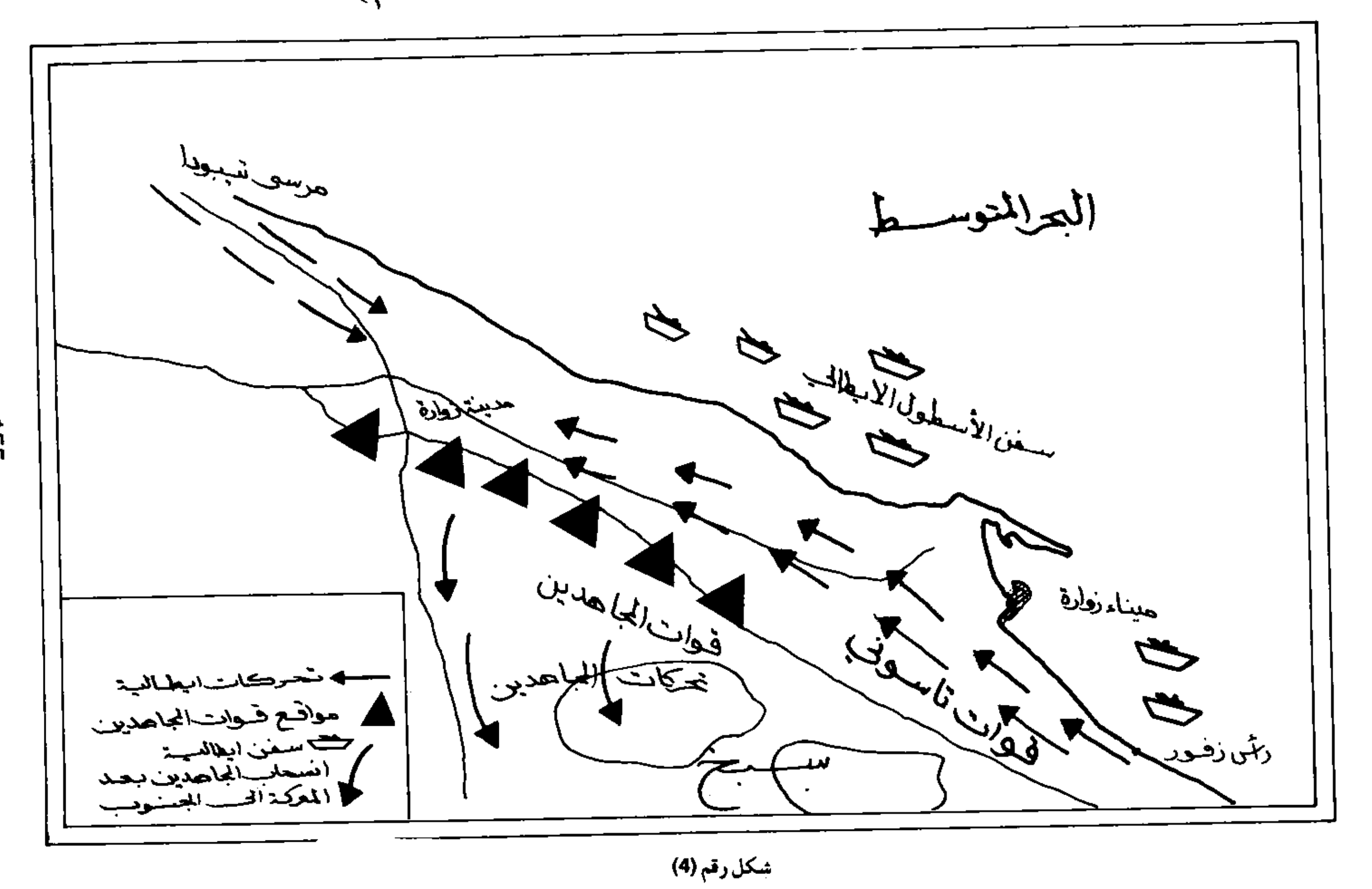
وعلى كل حال مما أمكن توضيحه وابرازه فيها طرح يؤكد الدور الوطنى فى جانب هام من حركة المقاومة الوطنية ككل ضمن الكفاح الوطنى للقوات الايطالية الغازية، على طول الساحل الليبى، ولم تتمكن القوات الايطالية من تحقيق أهدافها المرجوة منها بالمنطقة كما يجب، بالرغم مما حققته واتضح إلا بعد أن قدَّمت الكثير.

معركة سيدي علي ـ احتلال مدينة زوارة (14 يوليو ـ 6 أغسطس 1912 م)



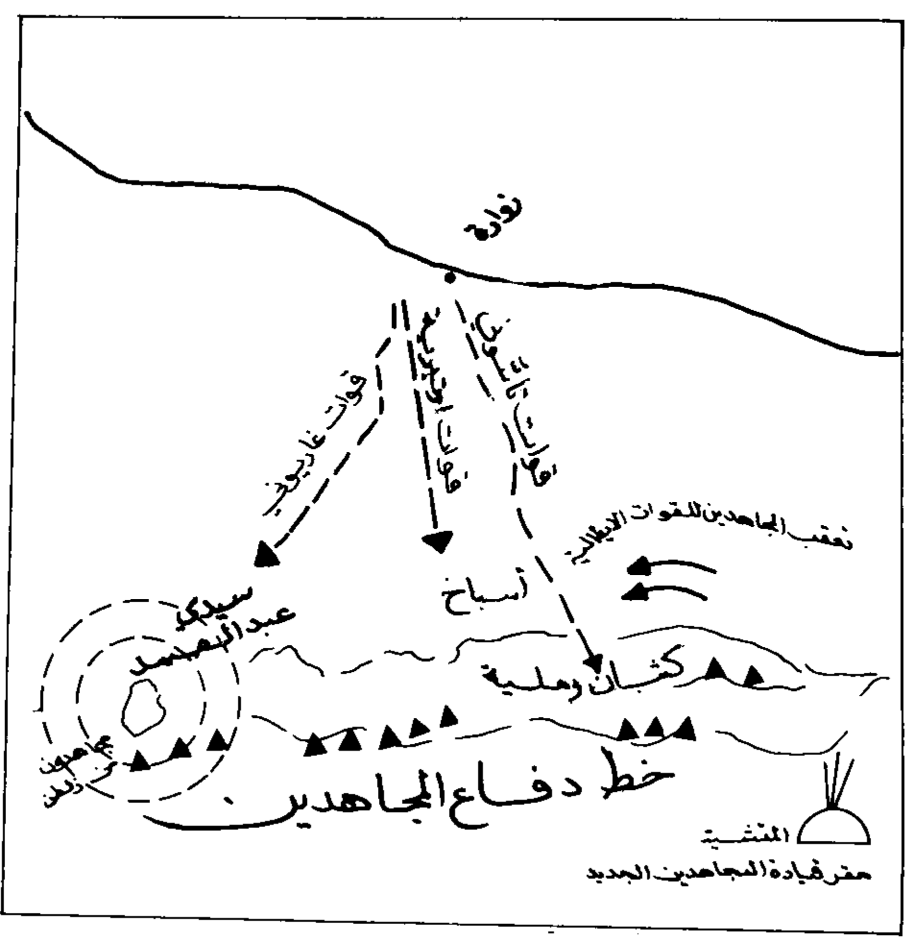
شكل رقم (3)

احتلال مدينة زوارة (6 أغسطس 1912 م).



شكل رقم (4)

معركة سيدي عبد الصمد (15 أغسطس 1912 م).



شكل رقم (5)

هوامش الفصل الثالث

(1) التقارير العسكرية التركية، ص 300 من الأصل.
(2) مملكة ايطاليا، الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، 14 يوليو 1912م، ص 375.
(3) فون غريفنتش، ص: 94.
(4) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، ص: 377 ـ 378، ثم التقارير العسكرية التركية، ص: 300.
(5) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، 15 يوليو 1912، ص: 378.
(6) التقارير العسكرية التركية، ص: 301.
(7) ثبتت هذه البرقية بالجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا ص: 387.
(8) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، ص 4237 من الأصل، ص: 377: من الترجمة الموجودة بالمركز.
(9) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، ص 378، ثم التقارير العسكرية التركية ص: 301.
(10) التقارير العسكرية التركية، ص: 301، 302.
(11) زعيمة البارونى، صفحات خالدة من الجهاد الليبى، ص: 325 ـ 326.
(12) فون غريفنتش ج3 ص 99 ـ 100.
(13) التقارير العسكرية التركية، ص: 301 ـ 302.
الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، 15 أغسطس 1912، ص 379 ثم باولو مالتيزى، ليبيا أرض الميعاد تعريب عبد الرحمن سالم العجيلى. منشورات مركز جهاد الليبيين، 1980م، ص: 442.
(14) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، 15 أغسطس 1912م ص 386.
(15) نفس المصدر السابق، ص: 386، ثم فون غريفنتش، ج3 ص: 99
(16) نفس المصدر ونفس الصفحة.
(17) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، 15 أغسطس 1912م ص 386 ـ 387.
(18) فون غريفنتش، ص 99 ـ 100.
(19) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، ص 387 ـ 388 ثم التقارير العسكرية الأمريكية حول الحرب الليبية مراسلات غير منظمة، مترجمة بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى شعبة الوثائق والمخطوطات.

(20) البرقية مثبتة بالجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا بتاريخ 15 أغسطس 1912م ص 388، كما اتفقت مع ما جاء فى كتاب صفحات خالدة لزعيمة البارونى، ص: 325 ـ 326.

(21) التقارير العسكرية الأمريكية حول الحرب الليبية، ثم الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، 15 أغسطس 1912م ص 326.

(22) زعيمة البارونى صفحات خالدة من الجهاد الليبى.

(23) محمد صالح الجابرى، جهاد الليبيين فى الصحف التونسية، الدار العربية للكتاب، تونس ليبيا 1982م، ص: 444.

(24) البرقية مثبتة بالجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، ومرسلة بتاريخ 12 أغسطس إلى روما، ص 406 من الترجمة 4833 من الأصل الايطالى.

(25) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا بتاريخ 1912/8/7 ص 4733 وقد وردت المعركة فى كتاب زعيمة البارونى صفحات خالدة، ص: 179 ـ 180.

(26) التقارير العسكرية التركية، ص: 302.

(27) باولو مالتيزى، ص: 442 ـ 443، كما تأكد أيضاً فى التقرير الذى بعث به الشيخ سليمان البارونى إلى صحيفة الزهراء التونسية، ونشر ضمن كتاب محمد صالح الجابرى، يوميات جهاد الليبيين فى الصحف التونسية، تحت تاريخ 1912/9/1م ج2، ص: 438، وثبت كذلك فى كتاب زعيمة البارونى: صفحات خالدة من الجهاد الليبى، ص: 178.

(28) التقارير العسكرية التركية، ص: 302 ـ 303.

(29) تقرير ايطالى حول المعركة بعث به الجنرال غاريونى إلى روما، بتاريخ 17 أغسطس مثبت بالجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، ص 408 ـ 409 من الترجمة.

(30) نفس التقرير السابق 409.

(31) زعيمة البارونى، صفحات خالدة ص: 179، ثم التقارير العسكرية التركية، ص: 304، إلا أن التاريخ الذى ذكره سليمان البارونى 12 أغسطس 1912م خطأ حيث أن أحداث المعركة جرت يوم 15 أغسطس.

(32) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، برقية بعث بها الجنرال غاريونى إلى روما بتاريخ 17 أغسطس 1912م، ص: 409.

(33) نفس البرقية التى بعث بها الجنرال غاريونى إلى روما، وأشاد فيها بالخدمات العسكرية التابعة للفرقة التى شاركت فى المعركة، لمساعدة الجنود الايطاليين.

(34) زعيمة البارونى، ص: 180 ـ 181.

(35) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا برقية أرسلها الجنرال غاريونى بتاريخ 16 أغسطس 1912م، ص: 410 من الترجمة، تحدث فيها عن تحركات القوات الايطالية بعد احتلالها لسيدى عبد الصمد.

(36) محمد صالح الجابرى، يوميات الجهاد الليبى فى الصحف التونسية، ج2، ص: 440، ثم زعيمة البارونى، ص: 179 ـ 180.

(37) نفس المصدر من السابقين، ونفس الصفحات المشار إليهما.

(38) يعنى بهذا تدخل الدول الأوروبية عن طريق سفرائها المتواجدين باسطمبول للإفراج عن السفن الروسية، التى كانت محتجزة فى مضيق البسفور ومحملة بالقمح، الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا بتاريخ 16 أغسطس 1912م ص: 410 ـ 411.

(39) نفس المصدر السابق.

(40) مصطفى حامد رحومه، التطورات السياسية وانعكاساتها على حركة المقاومة الوطنية. مجلة البحوث التاريخية، العدد الثانى لسنة 1985 ص: 563.

(41) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا: تقرير حول اغلاق تركيا لمضيق البسفور بتاريخ 16 أغسطس وحجز 15 سفينة محملة بالقمح الروسى.

(42) نفس المصدر السابق.

(43) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا بتاريخ 27 أغسطس 1914م، ص 418.

(44) زعيمة البارونى، ص: 424، ثم عبد السلام بوعبدالله مقابلة على شريط رقم 7/1، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالى، شعبة الرواية الشفوية.

(45) خليفه محمد التليسى، معجم معارك الجهاد فى ليبيا، ص: 315 ـ 316.

(46) رسالة بعث بها الشيخ سليمان البارونى إلى محمد سوف المحمودى قائد جبهة ميسرة المجاهدين بمنطقة الحوض وسابقة الاقلال، يحرضه فيها بالهجوم على القوات الايطالية، التى كانت متمركزة بقصر بوعجيلة، زعيمة البارونى صفحات خالدة، ص: 420.

(97) الجريدة الرسمية لمملكة ايطاليا، برقية بعث بها، الجنرال غاريونى إلى روما، بتاريخ ص

(48) التقارير العسكرية الأمريكية حول الحرب الليبية بتاريخ 28 فبراير 1913م.



الخاتمة

اتضح من خلال هـذه الدراسـة أن الحكومـة الايطاليـة هدفت من احتلالها لجزيرة فروة وبوكماش السيطرة على طرق امداد المجاهدين الواقعة بين تونس وليبيا حينذاك ومنع الدعم الخارجى على المجاهدين ، غير أن قيادة المجاهدين فطنت لهذه المغبة، وحرَّضت المجاهدين بسرعة التواجد والتصدى للقوات الايطالية التى قامت باحتلال منطقة بوكماش منذ البداية، وتمكنت من محاصرتها فى منطقة بوكماش، ومنعتها من التوسع طيلة مدة المقاومة خارجها. وبينت هذه الدراسة أيضاً أن المقاومة الوطنية فى هذه الفترة بـالمنطقـة، قد تميزت بأمور كثيرة أهمها:

1 ـ سرعة تواجد قوات المجاهدين بالمنطقة، ومدى تصـديها للقـوات الايطالية، فى المعارك الأولى، وتمكنها من محاصرة هذه القوات حول القصر، ثم قيامها بوضع خط دفاع طويل أمام القوات الايطالية، وحفر الخنادق بطوله هناك، وجعلت به القوات الايطالية فى متناولها، أينما حاولت التوجه.

2 ـ بينت معركة سيدى سعيد مـدى عنف المقاومـة الوطنيـة، ومدى تمسك المجاهدين بمواقعهم، وقناعتهم بضرورة الدفاع عنها، وعبر استمرارهم فى مواجهة القوات الايطالية (3) ثلاثة أيام متواصلة على ذلك بصدق، بالرغم من أن مجموعات المجاهدين هذه كانت غير منضبطة، وما يقودها إلى الصمود والاستماتة إلا الشعور بالواجب تجاه الوطن والدين، وعبر تصديهم هذا أيضاً على مدى ما بذل من تضحيات شهد بها الاعداء قبل الاصدقاء فيما ثبت فى تقارير القيادة الايطالية حول المعركة.

3 ـ عـبر اهتمام الحكـومة الايـطالية بهـذه المعركـة على مـدى عنفها، وخطورة الموقف على نتائجها، بالنسبة للقوات الايـطالية، التى شـاركت فى

خوضها، لما حدث من ارباك وتخوف انتاب ساسة هذه الحكومة، عندما استمرت المعركة (3) ثلاثة أيام متواصلة، وما يؤكد ذلك، قيام جيوفانى جيوليتى Giufanni Gioletti، رئيس الوزراء الايطالى حينذاك، بتلاوة البرقية التى وردت من القيادة الايطالية العاملة بالمنطقة، بخصوص احتلال موقع ضريح «سيدى سعيد» على مجلس الشيوخ عندما كان منعقداً فى ذلك الصيف.

4 ـ لم تنتصر القوات الايطالية فى معركة سيدى سعيد التى خاضتها ضد قوات المجاهدين بالمنطقة نفسها بفضل تفوقها العسكرى بقدر ما قامت به من تتبع لرصد تحركات المجاهدين، وتحديد مواقعهم حول ضريح سيدى سعيد نفسه للسفن الايطالية، فتمكنت من قصفها بسهولة ودقة بهذه المعركة، بجانب تضليلها فى تحركاتها الوهمية، إذ أن ما أحاط بهذه المعركة من محاولاتها، هو الذى رجح كفة النصر لصالح القوات الايطالية، أكثر من غيرها، وهي نقاط ضعف مرت على القوات الوطنية، واستغلتها القيادة الايطالية، واستفادت منها.

5 ـ بالرغم من تفوق القوات الايطالية من حيث العدد والعدة والعتاد الحربى، فقد استمر المجاهدون فى مقاومتهم عدة أشهر، وكلِّلت مقاومتهم بعدة انتصارات فى المعارك، وسجل فيها المجاهدون عدة مواقف بطولية، بتفانيهم فى القتال شهد بها التاريخ.

6 ـ استطاع المجاهدون ايقاف تحركات القوات الايطالية فى طلعاتها باتجاه الجنوب للسيطرة على طريق القوافل الثانى، وحافظوا بذلك على استمرار تدفق المؤن والمساعدات الخارجية التى تمر عبر هذه الطريق، ولم يحصل أن استولت القوات الايطالية الغازية على أية قافلة مرت بها مهما كان الأمر.

7 ـ إن المساعى السِّياسية التى قامت بها الدول الأوروبية فى تقريب وجهتى النظر بين تركيا وايطاليا بتدخلها السياسى، فى حل القضية الليبية، بجانب التحركات الايطالية فى بحر إيجة واحتلالها لجزر الدوديكانيز، وتهديدها للسواحل التركية، ثم عودة العلاقات السياسية بين فرنسا وايطاليا، أثرت تأثيراً سلبياً على حركة المقاومة الوطنية فى ليبيا بشكل عام، وعلى هذه المنطقة

بشكل خاص، بتناقص المؤن والمساعدات الخارجية، التى كان الجيش التركى على الأقل فى حاجة إليها، بجانب قوات المجاهدين الليبيين التى كانت تقاوم القوات الايطالية منذ عدة أشهر، بالرغم من اعتمادها إلى حد كبير على نفسها الأمر الذى أدّى إلى عودة بعض المجاهدين إلى بلدانهم للقيام بشؤون اسرهم وتأمين حاجياتهم، عندما تأخرت رواتبهم، التى كانت تعطى إليهم من القيادة الوطنية حيث أصبحت عاجزة عن توفيرها، بسبب ما حدث.

8 ـ مثلت حركة المقاومة الوطنية بهذه المنطقة جانباً هامّاً من حركة المقاومة ضد الغزو الايطالى على طول الساحل الليبى من طبرق شرقاً حتى بوكماش غرباً، بالمرحلة الأولى، واعتبرت هذه الجبهة السادسة التى فتحتها القوات الايطالية ضد المجاهدين، بعد طرابلس وطبرق ودرنه وبنغازى والخمس إذ حالت القوات الوطنية بالمنطقة المعنية دون تغلغل القوات الايطالية إلى الدواخل، لما كانت تهدف إليها فى تحركها من جهة الغرب، بالرغم من الظروف الصعبة التى كان عليها المجاهدون.

وقد كانت قيادة المجاهدين بالمنطقة مرتبطة كما اتضح بالقيادة العامة، التى كانت حول طرابلس، الأمر الذى جعلها تتأثر بمجريات الأحداث التى نجمت أثر معاهدة أوشى لوزان فى 18 اكتوبر 1912م إلى حد ما، فى حدوث بعض التصدع فى جبهات المقاومة العسكرية الوطنية ضد القوات الايطالية الغازية بشكل عام.

9 ـ إن حركة المقاومة الوطنية بهذه المنطقة كلّفت القوات الايطالية الغازية ما يربو على الألف مقاتل بين قتيل وجريح خسرتهم مقابل احتلال مساحات قليلة من الأراضى بجانب الخسائر المادية التى تكبدتها، كما سقط من قوات المجاهدين ما يقرب من الألف بين شهيد وجريح، وهذه الخسائر الوطنية فرضتها الضرورة لمواجهة القوات الاستعمارية دفاعاً عن الأرض والعرض دون خيار.

وعلى كل حال فصمود قوات المجاهدين أمام القوات الايطالية بهذه المنطقة قد أعطى صورة مشرفة، تجلت فيها الوحدة الوطنية على كامل التراب

الليبى، وعبرت أيضاً عن الأخوة العربية الليبية التونسية فى مكافحة الاستعمار الذى بدأ على الأرض الليبية ضد الايطاليين، وعلى الأرض التونسية ضد الفرنسيين فيما بعد.

وأكّدت حركة المقاومة الوطنية هذه أيضاً عن مدى التفانى فى التضحيه بالنفس والنفيس فى سبيل الوطن، حاثة الاجيال القادمة على ضرورة التضحية فى الذود عن هذا الوطن، مخلّدة ماضياً مشرفاً فى تاريخ أمتنا العربية بين حركات التحرر ضد الاستعمار مجسِّدة الكفاح الوطنى فى أجمل صوره، وأسمى مواقفه. وبالله التوفيق لما فيه خير البلاد.

حسن أبو يوسف اللويشي

ملحق رقم «1»

رسالة من محمد فرحات الزاوي إلى مقرّ قيادة المجاهدين بشأن إنتصاراتهم في معركة بوكماش بتاريخ 25 ربيع الأول 1330هـ/ 13 ابريل 1912م.

تحمل توقيع محمد فرحات الزاوى موزعة على بقية المناطق.

«يسرنى أن ابعث بنص البرقية المؤرخة فى 24 من ربيع الأول 1330هـ/ 12 ابريل 1912م الواردة من جهة قيادة زوارة إلى القيادة العامة».

«النص»

«إن العدو الذى يقصد أبى كماش لا زال محاصراً كما هو فى السابق وإن كل محاولات قيادته لنجدة المحاصرين بواسطة القوارب قد باءت بالفشل، وسحقت امداداته بعناية البارى سبحانه وتعالى، وقد شدد الحصار عليه وقطعت اتصالاته بحراً وسيكلف بالاستسلام وإذا لم يستجب لهذا الانذار فسوف تنسف مواقعه وقد تطوع فدائيان لتنفيذ هذه الخطة بوضع متفجرات تزن ثلاث وقات (4 كيلو غرامات تقريباً).

هذا وارسلت قوات أخرى ومدفع لجبهة زوارة وسنوافيكم بالنتائج التى ستكون بشائرها سارة بإذن الله».

نائب الزاوية/ محمد فرحات

نقلت هذه الوثيقة من مقال محمد الأسطى بعنوان «وثائق لم تنشر بعد عن الجهاد» نشرت بجريدة البلاغ التى كانت تصدر فى ليبيا فى السابق، والتى صدرت بتاريخ؟

ملحق رقم «2»

برقية من سليمان البارونى ونشأت بك إلى الهادى كعبار فى غريان رقم 1282 بتاريخ 27 من ربيع الأول 1330هـ/ 14 ابريل 1912م.

«إن عساكر العدو الذين نزلوا فى سيدى سعيد قد اجبروا على الرجوع إلى سفنهم ولا توجد فى الوقت الحاضر أية قوات للعدو فى البر سوى عدد من جنوده فى قصر فروة وحيث أنه قد ترتب هجوم شديد عليهم فلا يوجد أى خطر يهدد الطريق إلى بن قردان وإذا وقع أى ضرر لأى أحد فى هذا الخصوص فالقيادة تتعهد بدفع التعويض اللازم إليه ،

وعليه فإن القوافل التى رجعت بالأمس حسب المعلومات التى وصلت يجب العمل على اعادتها من جديد وارسالها إلى موقع العمة كما كان مقرراً، اوصيكم الاهتمام بالأمر.

والسلام

القائد/ نشأت

ملاحظة: نقلت هذه الوثيقة من مقال الاستاذ محمد الأسطى بعنوان «وثائق لم تنشر بعد عن الجهاد». نشر فى أحد اعداد البلاغ التى كانت تصدر في ليبيا فى السابق. والتى صدرت بتاريخ؟

ملحق رقم «3»

برقية من العزيزية

إلى قائمقامية غريان

لايوجد مكان توضح فيه المواد التموينية لكثرتها فى قصر العزيزية ولا زالت كميات أخرى فى طريقها يجب نقل الفائض إلى غـريان. ولا يـوجد القدر الكافى من الإبل هنا، رفعنا اجرة النقل إلى اربعين قرشاً عن الجمل الواحد للترغيب ارسلوا اليوم الإبل إلى العزيزية.

14 نيسان 1328 /27 ابريل 1912.

الوالى

نشأت

دار المحفوظات التاريخية

تعريب: محمد الأسطى

ملحق رقم «4»

برقية رقم 2098 عدد الكلمات 80 ،

العزيزية 22 نيسان 1912/5 مايو 1912

بناء على اشعار من قيادة منطقة سيدى سعيد أن العدد الذى نزل فى قصر أبى كماش حاول قطع طريق القوافل بهجوم فى اتجاه الجنوب فى (20 نيسان ـ 3 مايو 1912) بقوة قوامها ثلاثة آلاف من المشاة ومدفعين رشاشين ولكن المقاومة التى واجهته والهجوم على جناحه الأيسر أجبراه علـى الانهزام والرجوع إلى موقعه وقد تكبد العدو خسائر فى الأرواح يدل على ذلك تركه لثلاث جثث والكثير من آثار الدماء فى ميدان المعركة.

القائد

نشأت

المترجم: محمد الأسطى

ملحق رقم «5»

بناء على تقرير من قيادة سيدى سعيد (زوارة) أن العدو خرج من جهة (بونومه) فى 7 مارس بقوة قوامها خمس كتائب من المشاة ورشاش ومدفعين وبدأت المعركة مع العدو قرب الملاحة وبعد ساعة من نيران المشاة والمدفعية انهزم العدو هارباً وتعقبته قوات المجاهدين حتى تحصيناته واستمر اطلاق النار إلى ما بعد المغرب إن العدو الذى تكبد خسائر جسيمة فى الأرواح ترك فى ميدان المعركة كثيراً من المهمات الحربيـة منها الـذخائـر والفؤوس والمجارف والخيم والبرانيط والبغول وبعض الإبل. استشهد من المجاهدين ثمانية وجرح واحد وعشرون بلغوا هذا النصر للمجاهدين.

7 مارس 20 مايو 1912،

تقديم صورة البرقية التى بعث بها قائد الفرقة إلى قائمقامية غـريان لأجـل تبليغها للمجاهدين.

9 مارس 1328/ 22 مايو 1912.

قائد حامية غريان

العقيد جمال

المترجم: محمد الأسطى

ملحق رقم «6»

قصيدة حول جهاد الليبيين ضد الايطاليين بسيدى سعيد للشاعر المرحوم سالم موسى الحران من زوارة شريط 85/1 :

1 ـ جاء العدو ناوى بلاد زوارة	فى فروة نزل جيشه قوى تياره
2 ـ جاب قوته على الموجه	يحساب يلقاها أولاد علوجه
3 ـ لقاها صيوده تشد عند الحوجه	ويجاهدو على وطنهم نغارة
4 ـ سحقوه خلوا كبدته ممروجه	يحساب يربح كبدوه خسارة
5 ـ جانا العدو ناوى بلاد زوارة	فى فروة نزل جيشه قوى تياره
6 ـ ظهريوم لبونومه جت طلعته	حرفه عليه مشومة
7 ـ فزعوا النوائل جوه بالمسمومه	طبابة السامور تشعل ناره
8 ـ للهم شوائد سابقه معلومة	وخزامة العدو ركابة العبارة
9 ـ على الفجر ناض لحاقه	كشح بيننا اصلفق بدى بزاقى
10 ـ قدام بوكماش فى صلياقة	كلى كف وإشّاوم عليه نهاره
11 ـ أعطيناه كاس مليح مر مذاقه	بقوله عسل شربه كما المرارة
12 ـ أتى على الفجر دار ضباحه	نهار الظليله قريب للملاحة
13 ـ فزعت زوارة عاملة طراحة	متحسوره متحزمة فى سوارى
14 ـ بموزر خفيف الفز زين سلاحه	وكل من لهف عظمه مشى شطارة
15 ـ نهار فم الواد حشد قواته	ما بعدها عداده
16 ـ رسم سوقنا بين جاى وغادى	بدى الضرب بالسكين والبنياره
17 ـ ذبحناه ذبحه بالحديد الماضى	مثل الغنم هافو لها جزاره
18 ـ نهار الخميس وليله	لاصار مثله ولا يصير مثيله
19 ـ رسم بيننا وما بين بوبرطيله	نيران تشعل فى السماء وقادة

20 ـ الـتز لـزينـاه عـلى الجبيلة	خـلى جنوده يتـلاوحوا بـالحـارة
21 ـ نهار سيدى سعيد فى الضحويه	رسم بيننـا يـرحى تقـول قـليـة
22 ـ ترى جيف العدو يساقطو بالمية	وإحـنـا وراهم طـالـقـين الغـارة
23 ـ خسر خسرنـا راح تـكـيـة	مشى غيم جـرفـه وادى فى تـيـاره
24 ـ سـيـدى عـلى واهـشـامـه	رقى غيمـه تعكر سـواد ظـلامـه
25 ـ جاتـه زوارة حـاشـدة تـطامى	مـتـحـيرة عـلى ديـنهـا محـتـاره
26 ـ عـمـل وجـاب حـشـادة	نـوى بـلادنـا بـالغصب والارادة
27 ـ رقى غيمها تعكر ظـلام سواده	كشـح كـح بـوسفـه رقيق غبـاره
28 ـ رسم بيننـا ما يـطيقـوا الحـرارة	مـن الفـجـر حـتى لـعـقـاب نهاره
29 ـ نهار عبد الصمد فى الضحـويه	جـى وجـاب جـنـوده
30 ـ نهار عبد الصمد جند وجاب أجناده	جـت تـدبى كـما الـنـمالـة
31 ـ تـرمـى نـيرانها شـعـالـة	فـوشيـك والمـدفـع عمـل كبـاره
32 ـ منـين لزنـا اللزوه دالـة بـدالـة	من الفجر حتى لين ضو النهار توارى
33 ـ جـنـد وجـاب جـنـوده	جنـود جـانـده وهمـوم تـدبى سـودة
34 ـ قـداش خلى من جيف ممـدودة	وقـداش خـلى من أمـوال خسـارة
35 ـ تى هـاهـو قصر مـيـعـودة	انسلُّوا عـروقـه وانـقـطع جـداره

الملحق السابع

منـظومة: فى الشعـر الشعبى الحماسى لحث المجـاهدين عـلى التـطوع للمرحوم سالم موسى الحران 1/83.

1 ـ يـاسـيـادى كـونـوا مـلاح	كـونـوا فـرسـان المـلام
2 ـ كـونـوا فـرسـان الـفـلاح	كـونـوا لـلكـفـرة خـزام
3 ـ استعـدُوا عـلى رأى الصـلاح	وإمـشـوا بـشـيرة الحـكـام
4 ـ كـان سـلمتـوا ديـنكـم راح	خـشـيـتـوا بـاب الـعـدام
5 ـ جـدبـث وهـزتـنى الأريـاح	دفـعـتـنى غـيرة الإسـلام
6 ـ دمـعـى مـن عـيـنى سـيـاح	نـفسى مـا تجـد مـنام

الملحق الثامن

منظومة من الشعر الشعبى تصف دخول الايطاليين إلى جزيرة فروة للشاعر الشعبى عمر مولود 22/1 من صبراته

1 ـ قالوا ظهر على فروة　　ولزوه لزّان القزى فى شروة
2 ـ وأعطوه المسكوف خله يروى　　واجب على المسلم يحافظ دينه
3 ـ قداش جافت ميه　　من جيش الكفر فى كل ثنية

الملحق التاسع

منظومة شعر شعبى تصف حالة المجاهدين للشاعر/ خليفه زهيمة 76/10

1 ـ اشتاحشت حرب الكافر　　وبالفزع عموم الجيش جى مضًافر
2 ـ عقاب ليل عند الصبح جانا طافر　　طفر طفر الواد فى محداره
3 ـ ببغلات ومدفع وقوة حافر　　ويحساب ناس طرابلس خواره
4 ـ تكسّر جيش جانا من بعيد مسافر　　طلب برّنا من مصر إلى زوارة
5 ـ كلى كف بعد الكف يأكل دافر　　ويمشى على سوق البلا وشراره
6 ـ يندم على من شاور　　وعمره ما إنكوى بالحياة محاور
7 ـ وعلى قد ماحط البحر من قاور　　وعلى قدما ضاعت معاهم تجاره
8 ـ وبين الدول يقعدوا والشى مجاور　　كيف قبل ناسهم يخدموا بالباره
9 ـ من وين كانت ناسه　　من مصر وتونس إلى مكناسه
10 ـ من وين برخالى قائمين عساسه　　ومن وين ساس خائب خاليين عماره
11 ـ ويارب تفتح بخلاص خلاصه　　فى يوم ساعة النصر تخلى داره

الملحق العاشر

منظومة شعر شعبى تصف حركة المقاومة الوطنية للشاعر الشعبى، عبدالله إ محمد ـ من العلالقه بصيراته

1 ـ سنين كاسدة وهم الكفر كدًّرها　　وفى عين زارة هااللعين حشرها

2 ـ سنين كاسدة ما أشناها متحيرة وهم الكفر جلاّها
3 ـ والإسلام ترجى النصر من مولاها ولاملاك بيها يفعلوا يامدها
4 ـ وقادر المولى بعزته يفناها والكفار تصبح جائفة فى طمرها
5 ـ إحنا طاليا طالتنا وبالسيف فتنا وطننا جلتنا
6 ـ وياخوت من همِّ الكفر موتنا وفى وين كانت عامره دمّرها
7 ـ السلطان خيره نصرته ماجتنا نسى بلادنا ما عاد متفكّرها
8 ـ لاتريك والفرقاطه سريع ضربهم بالكور مايتباطى
9 ـ الخنزير عامل فى السماء خرواطة كان ريت البوميه حذَّرها
10 ـ مظاليم غدرهم عرب شاماطه كل من فلان بلادنا دمَّرها «حسونه»
11 ـ فلان معاه أصحابه وباعوه جملة وطننا بترابه
12 ـ لاترحمه هو ولا اللى جابه إيهالى المناشى كلها يسَّرها
13 ـ معاه باشكه وزيد الوصيف قنابه وخليت منين الطابّو فوَّرها
14 ـ إيها لى المناش راحت خليو السوانى والبناية طاحت
15 ـ وأمّا السواحل فى الجفاير ساحت بأسعايها وصغارها وبقرها
16 ـ إعيوا فى الزها ولكن عليهم ماحت مكاتيب من عند العلى قدَّرها
17 ـ خذا اللعين خيانه وحشد على وجه النخل قومانه
18 ـ أعطى لأمر الكوماندو قبطانه وزاد قالله بمدافعك كسرها
19 ـ وجدَّد لهم فى الصبح بضربانه ولكن المولى بعزته ساترها
20 ـ بعزِّته وجلاله من الكور حافظها الكريم تعالى
21 ـ عبد السلام الأسمر وبودرباله وسيدى الرفاعى لأوِّلى يحضرها
22 ـ وجت حاشدة صلاح كل اعماله المجاهدين الله ينورها
23 ـ قهروه ولى جافل وهارب على وجه البلاد قوافل
24 ـ ويالو عطى للى غافل صار وفق من الكومندار نظرها
25 ـ إيهالى الصفا والجود ماتسافل وهمِّ السَّخاء وكل الجدب ودَّرها
26 ـ قسيت فروع الدولة بدى الحكم شرطية عرب مجهوله
27 ـ خطوا الحق كان اللى شكى بيفتوله وقوت علينا الساهلة ما أوعرها

28 ـ ويابي نبيّ نخبرك بالسيرة أنا حلمت وأنت حلمتى فسِّرها
29 ـ أنا حالها واجعنى وقالت فلان طرابلس بايعنى
30 ـ من غير قيمة بثمن ضيعنى خليت سوانى سكرة وشجرها
31 ـ أنا كنت مرتاحة العدو روّعنى ليالى الهناء جربتهم ما اقصرها
32 ـ ليالى الهناء جرَّبتهم يقصاروا ليالى الهنا توَّة علينا داروا
33 ـ إحنا بعدكم عادش نذكاروا منين النوائح لأربعه قوَّرها
34 ـ وفيهم حضر ميعود ناس كباروا لهم جنة الرضوان ياماخضرها
35 ـ لهم فى الجنان روائح عجيب البناء معورض عطوره فائح
36 ـ ورعى لبنات اللفا تصايح مكاتيب مولانا العلى صوَّرها
37 ـ وهاذول للمجاهدين منايح ولدان تطاف اليدين صفرها
38 ـ جت هادَّة من غربه والبى بن فرحات حشَّد عربه
39 ـ استفتاحنا بالاثنين طاحت صربة ويوم الخميس الموت ما حيَّرها
40 ـ جت هادَّه من بالموزر والحربة وبعداد عشرة البندقه عمرًّها
41 ـ وجت هادَّه من غادى بوفق من حضرة احمد والهادى
42 ـ وتسمع زنين الطبل من لأبعاد مش غصب جاته هائِفه بالشرهة
43 ـ أولاد من السابق تروم الصادى خذى اسم الكوماندة دفدرها

الملحق الحادى عشر: قصيدة شعر شعبى
تصف معركة الملاحة:

جا ظاهر قدي الملاحة
المسلم على السَلُّوم مد سلاحه
بدا قومنا فى قومهم طياحة
فعل قوم بن علاق يرحم دينه
ذرارى صغار كلهم بنداقه
جابوا الشناما خلَّفوش الشينة

المصادر والمراجع

أ ـ الوثائق والتقارير.

ع13 ـ ملفات ووثائق المجاهدين. شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز جهاد الليبيين.

2 ـ تقارير وزارة الخارجية الألمانية ـ شعبة الوثائق والمخطوطات، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

3 ـ الوثائق الأميركية. ترجمة مركز دراسة جهاد الليبيين. شعبة الوثائق الأجنبية بالمركز.

4 ـ الوثائق الفرنسية، ما يوجد بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الفرد الإيطالي.

5 ـ الوثائق الإيطالية، ما يوجد بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الفرد الإيطالي.

ب ـ المقابلات والأشرطة.

1 ـ المرابط الهلاك شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/13

2 ـ خليفة بوعزيز شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 6/45

3 ـ خليفة زهيمة شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/8

4 ـ خليفة عمر أحمد الزروقي شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/31

5 ـ محمد يوسف بو سمين شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/65

6 ـ محمد سالم قاموكة شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/50.

7 ـ محمد المبروك الموسى شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/79

8 ـ سالم موسى الحرّان شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/81 ـ 1/83

9 ـ عبد القادر بو هادي شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/22
10 ـ عبد السلام بو عبدالله شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/7
11 ـ علي أحمد زايد شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/30
12 ـ علي شلبي شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/32
13 ـ عمر علي الطرابلسي شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/2
14 ـ صالح بوسكال شعبة الرواية الشفوية رقم الشريط 1/76.

الكتب :

1 ـ التليسي، خليفة محمد معجم معارك الجهاد في ليبيا. 1911 ـ 1932 بيروت. دار الثقافة 1972.
2 ـ الجابري، محمد صالح، يوميات الجهاد الليبى فى الصحف التونسية، ليبيا ـ تونس ـ الدار العربية للكتاب ـ 1980
3 ـ رحومة، مصطفى حامد. المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي ـ اكتوبر 1911 ـ اكتوبر 1912. رسالة ماجيستير نوقشت بجامعة الفاتح 1984 م. وقدمت للطباعة بمركز دراسة الجهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.
4 ـ الزاوي ، الطاهر أحمد. جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب. بيروت، دار الفتح، ط 3. 1973 م.
5 ـ الزاوى، الطاهر أحمد ـ أعلام ليبيا. طرابلس، مكتبة الفرجاني 1381 هـ / 1961 م.
6 ـ البارونى، زعيمة سليمان، صفحات خالدة من الجهاد الليبى. للمجاهد سليمان البارونى. بيروت، مطابع الاستقلال 1964م.
7 ـ فون غرينتشن ـ تاريخ الحرب الليبية الإيطالية ـ تعريب عماد غانم ـ مخطوط بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.
8 ـ مالتيتري باولو ـ ليبيا: رصن الميعاد. منشورات مركز جهاد الليبيين ـ 1980.

General, Kurny Askaki, Tarih ve states Ikitat Buskamliei Esmanli Italian, Harbi 1911-1912 Ancora 1981

ترجم هذا الكتاب الى العربية من قبل على عزازى، والاستاذ / محمد الأسطى.
ولم ينشر بعد.

الصحف والمجلات.

1 ـ مملكة ايطاليا ـ الجريدة الرسمية لمملكة إيطاليا. ترجمة مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي. شعبة الوثائق والمخطوطات.
2 ـ صحيفة البيان. كانت تصدر من الجماهيريين السوريين بالولايات المتحدة نيويورك.
3 ـ مجلة الشهير. منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى تصدر مرة واحدة في السنة منذ عام 1980 م.
4 ـ مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى. تصدر مرتين فى السنة إعتباراً من سنة 1978 م.

فهرس المعارك

(*) أينما ذكرت في الكتاب وضعت لها أرقام الصفحات اما كموقع أو كمعركة. متوالية

(**) سيدي سعيد أينما ذكرت اما موقع. أو معركة وضعت لها أرقام الصفحات متوالية.

فهرس الاعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ص)

(ض)

(ع)

(ل)

(م)

(ن)

العشائر والقبائل

الدول

المدن والأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

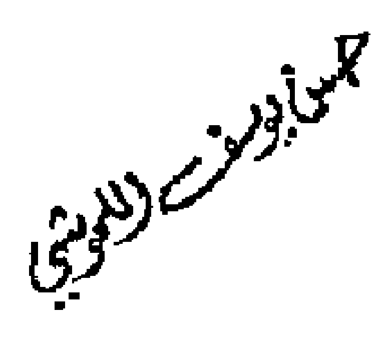
(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(ي)



المحتويات

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الملاحق

الخرائط:

الجداول:

